حكايتي مع صدام . . . وحكايات أخرى

هذا الكتاب :

هو كتاب قصص وحكايات تروى بأسلوب شيق .. تحكيها لنا صاحبته الدكتورة انشراح الشال الأستاذ بكلية الإعلام - جامعة القاهرة.

سيرة ذاتية ؟ربما ... شهادة للتاريخ ؟ ربما ... غير أنها لم تنس أنها باحثة أكاديمية فأخذت تطوف بنا فى جنبات علمها الغذير ودراساتها الواعية، عسى أن يستشف القارئ ما بين السطور.

اسم الكتاب : حكايتي مع صدام ... وحكايات أخرى

اسم المؤلف : أ.د. انشراح الشال
أستاذ متفرغ بكلية الإعلام - جامعة القاهرة

الغلاف والإشراف الفني :
وائل حسان

الطبعة :
الأولى "٢٠٠٤م"

عدد الصفحات :
٣٥٦ صفحة

الترقيم الدولي (*I.S.B.N.*) :
٩٧٧-٦١٣٠ - ٠٣ - ٨

رقم الإيداع :
٢٠٠٤/٨٨٦٧

الناشر :

المدينة برس
طباعة - نشر - تسويق إعلامي
Al Madina Press

١٠ ش النورس - خلف كازينو الأندلس - التعاون - الهرم - ج.م.ع.
تليفاكس : ٧٤٠٥٠٥٧ - ٠١٠/٥٤٧٥٧٤٧
Email : elmadinapress@hotmail.com

حكايتي مع صدّام

وحكايات أخرى

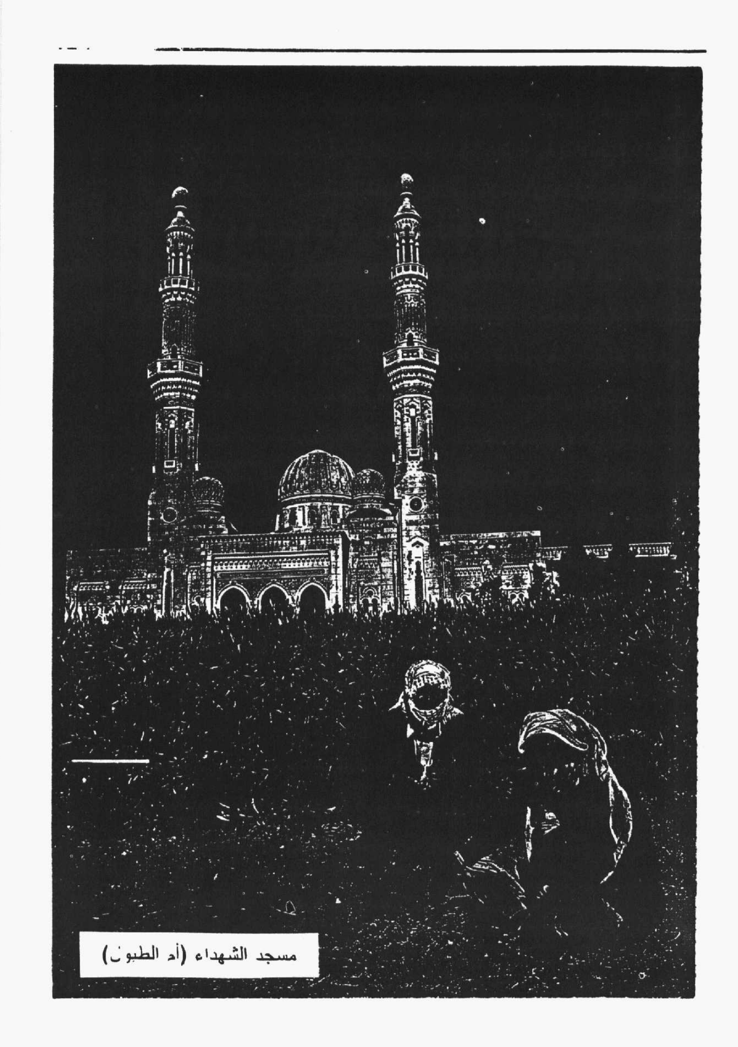
ترويها

د. انشراح الشال

أستاذ متفرغ بكلية الإعلام

جامعة القاهرة

المدينة برس



مسجد الشهداء (أم الطبول)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

" ن . والقلم ومايسطرون "

صدق الله العظيم

(القلم : الأية)

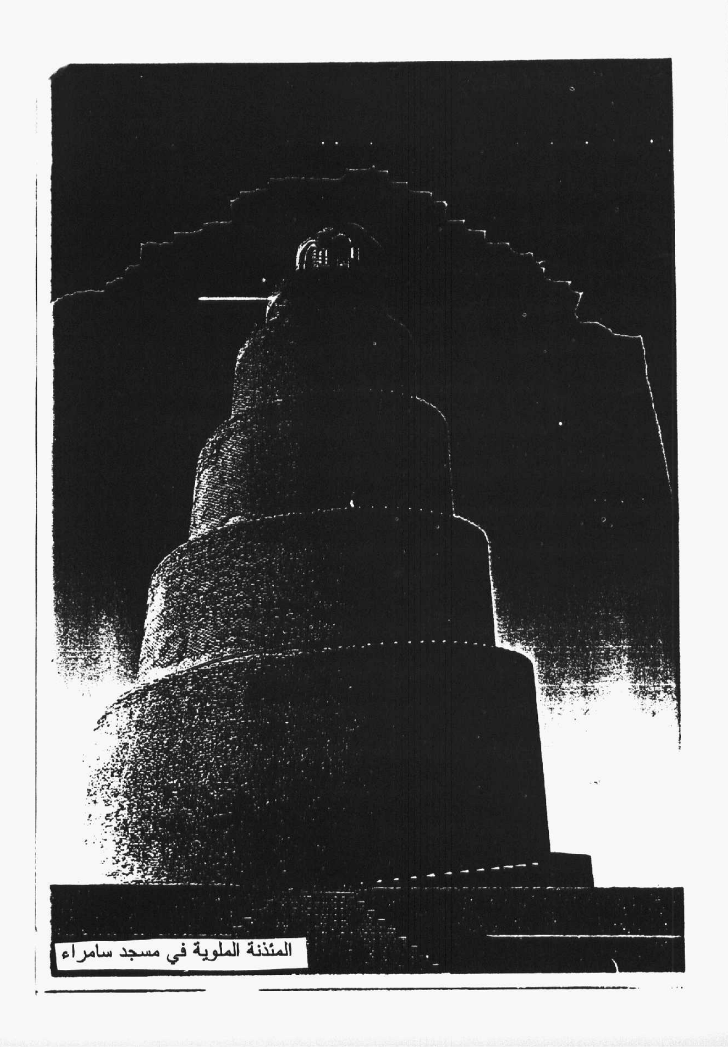


صدام يستعد للفحص (قناة الجزيرة)

إهداء ..

إلى كل من تنتظر عودة عزيزها الغائب ،،،

د.انشراح الشال



المئذنة الملوية في مسجد سامراء

بسم الله الرحمن الرحيم

حكايتي مع صدام ... وحكايات أخرى

خلفية : بصدد تسجيل سيرة ذاتية

"حكايتي مع صدام ... وحكايات أخرى" ، قد تكون في يوم ما فصلا في كتاب يحمل عنوان "ذكريات ومواقف" ، بالرغم من اعتذارنا من قبل في كل مرة طلب منا فيها كتابة السيرة الذاتية ، ونحن نرفض ، خصوصا ولم نسجل من قبل مذكراتنا التي كان من الممكن أن تساعدنا في هذه المهمة عندما لا تسعفنا الذاكرة لكتابة بعض فصول من حياتنا ...

الحل قدمه وائل حسان[1] ، فما دمت أرفض كتابة سيرتي الذاتية ، فما عليّ إلا أن أروي له الأحداث ، وأن أسمح له هو بكتابتها ... ليه لأ ؟

وفكرت في أهمية تقديم جزء من سيرتي الذاتية في هذه المقدمة ، خصوصا بعض لمسات إنسانية ربما تخفف من مضمون هذا الكتاب الذي قد يكون جافا بالنسبة للقارئ ، ولتعريفه بالإنسان الذي تعيشه صاحبة هذه الكلمات ...

وكانت الزميلة الدكتورة عواطف عبد الرحمن ، وقد جمعتني بها مواقف عديدة ، أكثر من طالبني منذ سنوات وألحت عليّ مرارا لكي أكتب سيرتي الذاتية ، وآخر مرة كانت في الحفل الذي نظمه لنا مركز دراسات المرأة برئاسة الدكتورة نجوى كامل في شهر أبريل عام ٢٠٠٤م ، في تقليد جديد سنته الدكتورة ماجي الحلواني عميدة كلية الإعلام لاختيار أم مثالية للكلية وأم روحية للدراسات الإعلامية ، وكانت مفاجأة للجميع وخصوصا

---

[1] ابن من خريجي كلية الإعلام ونشر لي كتابا من قبل .

للدكتورة عواطف عندما قلت إنني قد بدأت فعلا تسجيل بعض لقطات من حياتي في كتاب سوف يخرج من المطبعة بعد أيام قليلة ...

ولكن ، ما لايعرفه عني بعض الأصدقاء ، أنني بعد عودتي من زيارة ليوغسلافيا منذ قرابة ربع قرن ، قدمت للقارئ العربي دراسة عن وسائل الإعلام الإليكترونية في يوغسلافيا . ومن الصدف الغريبة ، أننا تحدثنا في الكتاب المذكور عن هذه الوسائل في يوغسلافيا "مفتتة" (وهي كلمة نستعيرها من عنوان كتاب "La France en miettes" ، نشر في فرنسا ، ويرفض فيه صاحبه فكرة انفصال إقليم الباسك الفرنسي عن فرنسا[١] ، كما يرفض أيضا تدريس لغة الباسك في مدارس هذا الإقليم) ، وذلك قبل سنوات من تقسيم يوغسلافيا في مجموعة من الدول المستقلة .

وهناك ، في يوغسلافيا ، وبعيدا عن العاصمة بلجراد ، قابلنا بعض المسلمين اليوغسلاف في زغرب ، واستمتعنا لأول مرة بزيارة كهف من الكهوف الجليدية ، وأخذنا لقطة تذكارية بجوار هوائي صحني لا يزيد قطره عن ٤٥ سنتيمترا مثبت على حائط شرفة في الدور الأرضي لأحد المنازل لالتقاط البث التليفزيوني المباشر الذي يصل عبر الأقمار الصناعية ، وقد عرضنا هذه الصورة في الكتاب الذي تحدثنا فيه عن وسائل الإعلام في يوغسلافيا .

وهناك ، شاركنا أيضا في مؤتمر للإعلام عقدته الجمعية الدولية لبحوث الاتصال في مدينة "بليد" (Bled) في سلوفينيا . وكما هي العادة في المؤتمرات الدولية — والتي نحرص على المشاركة فيها منذ عام ١٩٧٨م —

---

[١] بالنسبة لإقليم الباسك في شمال إسبانيا ، حيث ينتشر الباسك بين فرنسا وأسبانيا ، يوجد أيضا من يطالب بانفصاله عن إسبانيا مما يسبب قلقا للساسة في تلك الدولة بسبب العمليات الإرهابية التي يقوم بها بعض من ينتمون لهذا الإقليم ...

نظمت على هامش جلسات المؤتمر رحلتان ، إحداهما على الأقدام للصعود إلى أعلى قمة جبلية تحتضن هذه البلدة الجميلة بين أقدامها عند السفح ، والرحلة الأخرى نزهة بقطار "تقليدي" ، واخترت الصعود إلى قمة الجبل ...

وبرفقة مرشد همام ورشيق ، وكانت معنا الزميلة عواطف عبد الرحمن وآخرون من دول مختلفة ، اخترقنا دروبا صاعدة حول الجبل ملتوية كما الثعبان ، ومعظم أجزائها محفور في الجبل ، وبعضها عبارة عن كبار خشبية معلقة بالحبال ، وكان علينا أحيانا تسلق سلالم متدلية من فروع الأشجار للانتقال من مستوى إلى مستوى أعلى ، ولكن بحذر شديد حتى لا نسقط في الهاوية بسبب وعورة الطرق التي نسلكها وعدم اتساعها بحيث لا تسمح بمرورنا إلا في شكل طابور ، الواحد خلف الآخر ، وكان هذا "القول" يتوقف أحيانا لكي يمر كل واحد منا بمفرده فوق كوبري هزاز من الحبال .

وبالرغم من كوني أكبرهم حجما ووزنا ، كنت في مقدمة هذا الطابور ، والمرشد والباقون خلفي ، أسير ، بل أقفز كما الطفلة التي تسبقها قدماها في تطلع شديد إلى ما وراء هذه المغامرة بين أدغال ولكن من نوع اخر ؛ فالخضرة الزاهية تغطي المكان ومغسولة بصفة دائمة بمياه الأمطار . من السهل الذي يحيط بالجبل ، ومتسلقة سفحه في تدرج لوني لا مثيل له ، وتحيط بنا هذه الخضرة التي كنا نراها أحيانا عن يميننا ، وفي أحيان أخرى هي عن يسارنا ، ثم نفاجأ بها تلامس رؤوسنا داخل ممرات شقت في الجبل حيث لا تسمح هذه الممرات بطبيعة الحال إلا بمرور فرد واحد .. وكم كان مشهد الزملاء الذين لديهم "فوبيا" الأماكن العالية مؤلما ، حيث خوفهم هذا كان سببا في عدم استمتاعهم بهذه المناظر الخلابة ، فقد استسلموا لقدرهم الذي قذف بهم إلى هذا المكان ، وساروا كما لو كانوا منومين ، تكاد تسمع

أنفاسهم المتلاحقة مع كل "خروشة" لورقة شجر جافة داس أحدهم عليها ، ويخشون النظر إلى أسفل الجبل حتى لا يصابوا بالدوار ...

واستمر الصعود حتى وصلنا إلى سطح قمة منبسطة للجبل نثرت عليها مقاعد مثل تلك التي توضع في الحدائق العامة وتسمح للجالسين فوقها برؤية مشهد "بانورامي" رائع لمدينة بليد ، مشهد يمكن للقارئ تخيله فيما نراه للقاهرة إذا ما صعدنا إلى قمة جبل المقطم ، مع الفارق في التشبيه ، فهناك جو نقي وسماء صافية مما يسمح لزائر المكان بالاستمتاع الكامل بالهواء الخالي من "الشوائب" ، ويوفر له رؤية صافية بلا "تشويش" وهذا يسمح برؤية هذه البلدة كما لو كان الفرد يراها من طائرة "هليوكوبتر" (حوامة) على ارتفاع قريب من الأرض ، ومقابلها سماء مظلمة بفعل "السحابة السوداء" والأدخنة والعادم والغبار الذي يغلف القاهرة ويحيط بها حتى أن الرؤية تنعدم أحيانا ، هذا إلى جانب أنها "تكبس" على أنفاسنا وتكاد تخنقنا ، فنسارع بالهبوط من المقطم بخفي حنين !

وعند العودة من هذه الرحلة ، تقابلنا والزميل الدكتور محمد الوفائي ــ رحمه الله ــ الذي اختار رحلة القطار ، واشتكى منها كثيرا بعد رجوعه ؛ فقد كانت الرحلة نزهة بقطار تسحبه قاطرة تنتمي لعصر مضى وتعمل بالفحم ؛ فأدخنة القطار (الذي يستمد الطاقة من حرق الفحم) حولت ملابس المشاركين في تلك الرحلة من اللون الأبيض إلى اللون الأسود ، وصبغت وجوههم أيضا بطبقة من "الهباب" ، كما أثرت على الجهاز التنفسي لبعض منهم ... ، وتذكرت رحلاتنا ونحن أطفال عندما كنا نذهب إلى قريتنا على

ضفاف النيل[1] باستخدام أكثر من وسيلة للمواصلات منذ خروجنا من منزلنا في منيل الروضة ، بسيارة أجرة في أحيان نادرة وفي سيارات النقل العام أو الترام في غالب الأحوال (والتي كانت توفر للمتعاملين معها رحلة آدمية فكل واحد يجد لنفسه مكانا للجلوس) ، وقد تكون هذه الرحلة إلى محطة "مصـــر" (باب الحديد) لركوب قطار يؤمنا حتى مدينة بنها (بمحافظــة القليوبيــة) ، أو إلى محطة "الخازندار" بشبرا مصر لركوب "أوتوبيس" لنقــل الركـــاب بـــين العاصمة القاهرة وأهم مدن الوجه البحري في مصر . وفي بنها كنـــا نبحـــث عن وسيلة أخرى ، سيارة أجرة "بالنفر" أو سيارة خاصة إذا لزم الأمـــر ، أو نركب في "الكافوري" (وهو أوتوبيس لخدمة الركاب في الانتقال بـــين مـــدن الوجه البحري والذي ينتسب لصاحبه ؛ فقد كان "قطاعـــا خاصـــا" بأســـلوب عصرنا الحالي) . وعندما نصل ميت غمر (بمحافظة الدقهلية) ، كان علينـــا البحث عن سيارة أجرة "بالنفر" أو خاصة لكي تقلنا إلى قرية "ميت دمسيس" على الضفة الشرقية لنهر النيل ، ومنها نأخذ مركبا نعبر به النهر لكي نصـــل إلى قريتنا . وكان يمكن بطبيعة الحال الانتقال من بنها إلـــى مدينـــة زفتـــى (بمحافظة الغربية) ، ومنها نبحث عن وسيلة أخرى للـــذهاب إلـــى القريـــة . والاختيار بين أن نمر بزفتى أو بميت غمر كان يتحـــدد بظـــروف الطريـــق وظروف كباري المنطقة .

ونتذكر هنا ، أنه بعد عودتنا من فرنســـا فـــي بدايـــة الثمانينيـــات ، اصطحبنا البنتين في سيارتنا الخاصة لزيارة القرية . وفي زفتـــى ، شـــاهدنا الحنطور والكارتة ، وهما من الوسائل المستخدمة للانتقال من منطقـــة إلـــى

---

(١) بالرغم من أنني ولدت بمنيل الروضة التابع لقسم مصر القديمة بمدينة القاهرة ، إلا أن انتمائي لهذه القرية قوي ، فهي القرية التي نشأ فيها والدي ووالدتي - رحمهما الله - بل وزوجي أيضا ، وكانت المكان الوحيد في طفولتنا الذي كنا نقضي فيه العطلة الصيفية .

أخرى في هذه المدينة وبين ضواحيها ، ورغبت البنتان ركوب الحنطــور ، وكان معنا ابن من أبناء قريتنا ، فطلبت منه اصطحابهما والذهاب من زفتــى إلى القرية بالحنطور (حوالي ١٢ كيلومترا) . استغرب محمــد أبــو الفتــوح (مهندس وعاش في فرنسا شهورا) ، ولكن لم يكــن أمامــه إلا الموافقــة . ووصلت بطبيعة الحال قبلهم ، وفوجئ أبناء القرية بهــذا الحنطــور يــدخل قريتهم ، ربما لأول وآخر مرة ...

وكانت حكاية ... ظلوا لسنوات طويلة يتحاكون بها ، فقد كان ذلــك خروجا عن المألوف ، وخرقا لقوانين سنوها لأنفسهم ...

ورحلتنا إلى القرية كنا نستمتع بها كثيرا ، سواء من بنها إلى زفتــى بالأشجار الباسقة التي تحيط بنا من الجانبين ، والتي كنا نراها ونحــن فــي فرنسا في الطريق من مدينة بوردو إلى "أركاشون" أجمل مصيف في جنــوب غرب فرنسا (يقال إن سوزان زوجة الدكتور طــه حســين منهــا) ، كــذلك كوبري "دهتورة" بالمياه المندفعة أسفله وشبه الجزر الممتدة تحتــه ، وأيضــا الكوبري الذي بني في عهد محمد علي ويربط بــين ميــت غمــر وزفتــى ويطلقون عليه اسم القناطر ، أو "الخمسين عين" ...

أما إذا اضطرتنا الظروف للوصول أولا إلى ميت غمر ، ولم نستطع عبور الكوبري إلى زفتى لسبب أو لآخر (حيث المرور عليه كان يمنع عنــد انتظار مرور القطار) ، وكان علينا الذهاب إلى ميت دمسيس لكــي "نعــدي البحر" ، النيل ، في قارب ـــ أحيانا قارب صيد ـــ فإننا كنا نمر على الضــفة الشرقية لنهر النيل حيث تنمو أشجار الجميز والذي نراه في اللوحــات التــي أبدعها الفنان المصري القديم والذي نعشق أكله حتــى الآن ـــ ربمــا لأنــه يذكرنا بطفولتنا ـــ كذلك يوجد شجر التوت والذي لا يأكل منــه الفرنســيون

وتوجد أكثر من شجرة توت أمام المسجد الكبير في منطقة "باريس5 "، التـي بها الحي اللاتيني وجامعة السوربون ، وبالقرب من حديقة النباتات ، وثمراته على الأرض يداس عليها . ولكن يوجد في فرنسا نـوع آخـر مـن التـوت "البري" ، وهي ثمرة شبه مستديرة ذات لـون "نبيتـي" (بـوردو) ورقيقـة ، وشجيرات هذا النوع من التـوت قريبة في حجمها مـن شـجيرات الـورد البلدي ، والمربى التي كنا نعدها منه من أرقى أنواع المربات وأطعم بالنسبة لنا من مربى الفراولة ، ونذكر هنا أيضا أننا استخدمنا "الحرنكش" في مصـر لإعداد مربى راقية جدا طعمها قريـب من طعم مربى المشمش) .

وشجرة النبق (والذي نسمي ثمرتها "الكريز المصـري" وهـو لـدينا أطعم بكثير من الكريز الذي نعرف منه في مصر اللون الأحمر فقط ولكـن منه ما هو أصفر وطعمه أفضل ، حتى البرقوق ، وجدنا منه نوعـا أخضـر أصغر ولكن أحلى بكثير من البرقوق الذي نعرفه في مصر واسمه (Reine Claude) ولا نعـرف من هي الملكة "كلود" هذه التي نسـبوا إليهـا هـذه الفاكهة الرائعة ، ولماذا . كذلك نرى في طريقنا إلى القرية شجر الكـافور ، و"الصفصاف" ، و"أم الشعور" و"اللبخ" ... ، وهي أسماء يطلقهـا القرويـون على هذه الأشجار ، ولن نثقل على القارئ بالبحث عن أسمائها العلمية .

أما شجرة السنط ، وهي شجرة إبرية موجودة أيضا في قريتنا ، فقـد كنا نصنع من شوكها إبرة بعمل خرم في الشوكة بالاستعانة بشوكة أخـرى ، وذلك لاستخدامها في خياطة ملابس العرائس التي كانوا يصنعونها لنـا مـن القماش ونحشينها بالقطن ، والذي كان يزرع بكثرة في بلدنا وله تجاره مـن أبناء القرية الذين كانوا يشترونه من المزارعين لبيعه لكبار التجار في المحلة الكبرى ، ولكن هذا الذهب الأبيض اختفى من قريتنا ولم نعـد نـراه . أمـا

الخيط المستخدم في الخياطة ، فقد كنا نغزله بأنفسنا من القطن وباستخدام مغزل شبيه بالنحلة التي يلعب بها الأطفال الذكور بوجه خاص . وأذكر جيدا أنني كنت أرسم عينين وفما لعروستي ... ، بل وكنت أستخدم المقص أيضا وأنا في هذه السن المبكرة ، لكي أفصل ملابس لعروستي أحصل على قماشها من ملابسي "القديمة" ! ، بل وكنت أقص خصلات من شعري لعمل شعر لعروستي . وعلى القارئ تصور العقاب الذي يمكن أن يصيبني بسبب هذا التصرف العفوي من طفلة تحاول أن تتميز عروستها عما في يد الأخريات من صويحباتها . وبمناسبة العروسة ، كانت خالتي — رحمها الله — تصنع لنا نحن البنات عروسة لكل منا من العجين المستخدم في صنع الكعك ، وعروسة الكعك هذه كانت أيضا تعد وتخبز وتوضع على وجه الكعك الذي يوضع في صندوق لا يقل حجمه عن صندوق الملابس ، وأحيانا تدلل الحماة زوج ابنتها فتعد له قوسا من هذا العجين في شكل دائرة كبيرة مفتوحة من وسطها مثل"السميطة" ولكن أكبر حجما ... وترسل كل ذلك قبل نهاية شهر رمضان مع العروسة والكعك والبلح (فطرة) ... إلى ابنتها التي تزوجت حديثا ، وقد تستمر هذه العادة سنوات طويلة . وفي أطباق من "الساكسونيا" وبها زخارف ذهبية اللون (وهو اسم منطقة في ألمانيا مشهورة بصناعة الصيني) ، ولها غطاء من الساكسونيا أيضا. وأم الزوج — والتي يعيش ابنها وزوجه معها — غالبا ما تقوم بإرسال بعض من هذا الكعك إلى الأقارب والأحباب والجيران ، الذين عليهم أن يعيدوا إليها الطبق الذي كان به الكعك ، مع هدية للعروسين ، العريس هنا بوجه خاص ، والذي عليه فيما بعد رد هذه الهدية إلى الأسرة التي أرسلتها له (عندما يتزوج أحد أبنائها) ، وغالبا ما تكون هذه الهدية مبلغا من المال ، يطلق عليه اسم "نقطة". أما في حالة ما إذا لم يكن لهذه الأسرة ابن أو ابنة يمكن استرداد النقطة عند زواج أي منهما ، أو عند طهارة طفل في الأسرة ، أو رجوع فرد منها بعد أداء مناسك الحج ... ، فإن بعض الأفراد الذين

النقطة على أنها دين ، وعلى من أخذه أن يرده ، فإنهم قد يطالبون صراحة برد هـذا الدينا .

أما شجرة "أم الشعور" ذات الأفرع التي تنسدل ويلامس بعضها سطح المـاء والتي اهتم الأمير محمد علي بزرعها في حدائق قصره الموجود في منيل الروضة ، والتي رأيناها موجودة على شط النيل بالقاهرة في المسافة بين القصر العيني وكوبري الملك الصالح وسمعنا أنهم قطعوها بحجة أنها شاخت ويمكن أن تقع ، فقد كنا نتأرجح بأفرعها ونسعد بالفوز إذا كنا آخر من ينزل على الأرض بعد كـل البـاقين ، وهـي الشجرة التي يطلق عليها الفرنسيون اسم الشـجرة "الباكيـة" (L'arbre pleurant) .

وشجرة اللبخ لها أيضا حكايات وروايات معنا وكم نعشقها ورائحـة زهرتهـا حتى الآن ، وملمسـها ناعم فهي من شعيرات دقيقة ، وكنا نطلق عليها اسم "شمامة"، فلونها أصفر "كناريا" . وكان يحلو لنا النوم بين أفرعها ، وكلما كـان مكاننـا قـرب "الشواشي" في أعلى ما يمكن من الشجرة ، فإن هذا يدل على مهارتنا فـي تسـلقها . وأتذكر أنني أفقـت يوما على صريخ وعويل خالتي ـ رحمها الله ـ وأخريات معها من العائلة والجيران ، وعلمت بعد أن "رجعت لي الروح" ، كما يقولون ، أنني وقعت من على الشجرة ، و"لم أحط منطق" على حد تعبيرهم . وقد وضعت هذه الحادثة حدا لهذا النوع من المرح والانطلاق لأعلى ، خصوصا وأن أسرتي كانت بالقاهرة وكنت وحدي مع خالتي وزوجها، والذي هو عمي أيضا فهو أخ لوالدي ، رحم الله الجميع .

وقرية "ميت دمسيس" وهي تابعة لمحافظة الدقهلية على الضفة الشرقية لنهر النيل وفي مواجهة قريتنا ، كانت بالنسبة لنا موضع اهتمام ، ومن بعض أبناء القريـة ممن يعيشون خارجها ، في القـاهرة وفي أماكن أخرى ، حيث يحتفل فيهـا إخواننـا المسيحيون ، ويشـاركهم في الاحتفال المسلمون في منطقتنا ، في شهر أغسـطس ، ومع أعياد وفاء النيل ، بمولد "أبو جرْج" (بكسر الجيم) فتضاء فيها أنوار "الكلوبات" ـ

وذلك قبل دخول الكهرباء إلى القرية — فتنعكس أضواؤها متلألئة ليلا علـــى سطح مياه النيل (فرع دمياط) في موسم فيضان النهر ، فيحلو لنا السهر على شط النيل للاستمتاع بهذه الأضواء . وفي هذه المناسبة ، تصبح قريتنا ممـــرا لمن يريد العبور إلى ميت دمسيس لزيارة الكنيسة ، من القادمين إليهـــا مـــن مدن وقرى وسط الدلتا بل ومن القاهرة ومن صـــعيد مصـــر ... ، والـــذين يصلون إلى القرية فرادى ولكن في الغالب في جماعات ، مستخدمين في ذلك سيارات من أنواع مختلفة ...، وتشد الخيام لاستقبال ضيوف المولد على شط النيل حيث يستقبلهم شيخ البلد ويسهر معهم ، وتنشط حركة التجـــارة فـــي القرية ، والنزهات النيلية . وكأي مولد ، فإن الأمر لا يخلو مـــن راقصـــة ، ومطربة أو مطرب شعبي ... ، هذا إلى جانب ألعاب القوة مثل دفع القطـــار وما شابه ذلك من أنشطة تتميز بها الموالد المصرية ، الموالـــد المســـيحية أو الموالد الإسلامية .

والذهاب من زفتى إلى القرية في ذاك الزمن الجميل كنـــا نســـتقل لتحقيقه قطارا كان يطلق عليه اسم "الدلتا" — اختفى من على الخريطة الآن — والذي كان ، دائما ، بلا أبواب أو شبابيك ، فكلها كانت عبـــارة عـــن فتحات ، والقطار على خط واحد غير مزدوج يتبادل السير على قضـــبانه قطار الذهاب وقطار العودة ، وربما كان قطارا واحدا يذهب ويعود علـــى نفس القضبان . وكان يمكن لكل من يريد الصعود إليه أو الهبوط منه فـــي أي مسافة من "الخط" أن يطلب ذلك من السائق ... ، وكان علينا أن نصعد إلى القطار بسلالم من عدة درجات كنا نتسلقها بصعوبة شديدة حيث لم تكن توجد محطات مزودة بأرصفة ، والتي تسمح لركاب القطارات حاليـــا — أو على الأقل ركاب بعض عرباته (حيث يتوقف ذلك على عدد العربات التـــي

يتكون منها القطار ومدى تناسب ذلك مع طول رصيف المحطة) ـــ كما أن قضبان قطار الدلتا كانت على مرتفع أشبه بتبـّة (بفتح التاء وشدة على الباء) . أما داخل عربات الدلتا ، فقد غاب عن مخرجي الواقعية في السينما المصرية تصويرها ؛ عديد مخلوقات الله مسموح لهـا بالانتقـال والسـفر بقطار الدلتا ، فيما عدا القطط والكلاب التي لم نشـاهدها أبـدا فـي هـذا القطار ، والمدلل حاليا بعضها من أصحابها الذين يحرصون على أن تكون معهم في سياراتهم من آخر موديل !!

ولم يكن يزعجنا عند الصعود إلى القطار أو الهبوط منه الاسـتجابة الجبرية لرجاء من إحدى الريفيات "المَعيلة" ، حسب التعبير المستخدم حاليا ، أو ، وبأسلوب آخر ، المشاركة للرجل فـي المسـئولية الاقتصـادية للبيـت المصري ، قائلة لنا "والنبي يابنتي تمسكي الحبل ده أحسن المعزة تـنط مـن القطر" وتضع الحبل في يدي الصغيرة دون انتظار أي رد مني بالموافقـة ، حرصا من هذه المرأة على ألا تطير منها بطة من خمس بطات تحملها داخل "مشنة" ، أو أن ينزل هذا الحيوان الذي يرافقها في غير محطته ...

وعند الوصول إلى زمام قرية "كفر شبرا اليمن" ، ونهبط بسلام مـن "الدلتا" ، كنا "نأخذها كعّابي" على الأقدام ، حوالي كيلو متر ، ويشاركنا فـي الطريق بقية مخلوقات الله المستأنسة في القرية والتي طوّعها الإنسان لخدمته واحتواها . وأحيانا قد نجد من ينتظرنا بوسيلة الانتقال التقليدية فـي الريـف المصري ، "الركوبة"، والذي هو في الغالب أجمل وأقوى حمار من فصيلته ، وتخصصه الأسرة عادة للركوب ، فتجهز لـه "سـرجا" يـتلاءم والوضـع الاجتماعي / الاقتصادي للأسرة ، ويتفننون في إخراج هذا السرج وتنفيـذه . أما بقية "عشيرته" فإن عليهم واجبات ومهام أخرى ، إذ هم ينقلون التـراب ،

والطوب ، والقش ، وبالات القطن ، وكذلك "السباخ" الذي هو سماد عضوي طبيعي يستخدم في "تغذية" الأرض ، وكان مستخدما بكثرة قبل دخول الأسمدة الكيماوية مصر ، وينسب للسماد الكيماوي أنه سبب معظم الأمراض التي تنتشر حاليا في مصرنا الحبيبة ...

طبقات .

حتى بين الدواب !!

وفي ممالك أخرى ، مثل مملكة النحل ...

سبحانك يا خالق كل شيء .

سبحان الله .

وبخصوص الدواب ، وقرية كفر شبرا اليمن ، والمحلة الكبرى ....، نتذكر أسرة فرنسية صديقة زارتنا في مصر ، ونظمنا لها إلى جانب الزيارات التقليدية في القاهرة ، خان الخليلي والمتحف المصري وقلعة صلاح الدين ومسجد محمد علي ومسجد السلطان حسن ومسجد الرفاعي وبوابات القاهرة الفاطمية ، ومجرى العيون ، وقصر المانسترلي ومقياس النيل وقصر محمد على بمنيل الروضة ، والبرج والمنصة [1] والأهرام وسقارة ودهشور والصوت والضوء ... ، وأيضا الزيارات التقليدية بالنسبة لصعيد مصر وخصوصا في المنيا والأقصر وأسوان وجزيرة النباتات وأبو سمبل ... ، نظمنا لهذه الأسرة زيارة من نوع خاص . فقد اتصلنا بالعلاقات

---

(1) أتذكر هنا الصديقة الدكتورة "بتول يحفوفي" الأستاذ بإحدى الجامعات في بعلبك بلبنان . فقد حضرت مؤتمرا في مصر ، واستضفتها في أسرتي ، فهي إحدى أبنائي في جامعة بوردو بفرنسا . ولما كانت هذه أول مرة لها تزور فيها مصر ، فقد نظمنا لها عددا من الزيارات ، لكنها طلبت مني أن تكون زيارة قبر الرئيس جمال عبد الناصر على رأس هذا البرنامج . وقد حدث . وعندما وصلنا إلى المسجد الذي به قبر عبد الناصر في منشية البكري حيث يوجد بيته ، انفجرت بتول في بكاء حار ، فعبد الناصر بالنسبة لها ولكثيرين من أهلها كان رمزا للقومية العربية .

العامة في مصانع الغزل والنسج في المحلة الكبرى ، الأستاذة عصمت ، وأخذنا موافقة منها وتصريحا لزيارة المصنع — خصوصا ومعنا رجل أعمال . والمحلة الكبرى وحتى وقت قريب ، كانت قلعة صناعية ، ويرجع الفضل في وجودها للاقتصادي الكبير طلعت حرب ...

وفي طريقنا إلى المحلة الكبرى ، مررنا بكفر شبرا اليمن ، وتوقفنا أمام أول بيت في مدخل القرية بعد الكوبري مباشرة ، وهو لعائلة السلهاب ، — فكلنا أقارب ونسايب وأصهار — وحتى لايضيع منا الوقت إذا دخلنا القرية . وتناولنا وجبة إفطار ريفية ، فطير مشلتت وقشطة فلاحي وعسل اسود ولبن رايب ، ثم واصلنا طريقنا حتى المحلة الكبرى . وهناك ، استقبلنا من المسئولين بترحاب شديد ، وتفقدنا أجزاء المصنع ، ثم فوجئنا بدعوة كريمة لتناول وجبة سريعة في المطعم الملحق بقاعة كبار الزوار ، إلا أنها كانت وجبة لا تقل عن مستوى ما يقدم في أرقى فنادق القاهرة ، وخدمة رائعة ، حقيقي "حاجة تشرف" ، وتركنا للعاملين في المطعم مبلغا (Tips) قدرناه قيمة لهذه الوجبات الأربعة إذ كانت معنا ابنتي أميمة [1] ، وانتهت الزيارة بشراء "جاكلين" فوط ومفروشات قطنية من معرض المصنع بأسعار زهيدة مقارنة بالأسعار في فرنسا ، خصوصا وهي من القطن المصري ! أين هو الآن ؟؟

وفي طريقنا للعودة إلى كفر شبرا اليمن سألني "ميشيل" : هل يمكن أن ألتقط صورة للحمار الفرعوني ؟ وصورة لأوز ميدوم ؟ طيب ، أوز ميدوم يا ميشيل ، وعرفناه ، فقد ظهر هذا الأوز مرسوما على جدارية في

---

(1) الدكتورة أميمة الشال ، حيث حصلت على دكتوراه في علم المصريات من جامعة شارل دي جول في فرنسا وحاليا مدرسة بقسم الإرشاد في كلية السياحة والفنادق بجامعة القاهرة فرع الفيوم .

ميدوم ذاع صيتها على مستوى العالم لدقة الرسم وأناقته ، ويتم تصويره أو رسمه حاليا على ورق بردي . فما هو الحمار الفرعوني يا ميشول ؟؟ إنه حمار لونه رمادي ويعرف بأذنيه المنتصبتين لأعلى في خطين متوازيين ، وغرة من الشعر الأبيض وكأنها "شامة" بين العينين !!! ياعيني "ع الروقان" يا ميشيل !! هيا بنا نبحث له إذن عن الحمار الفرعوني ، إرضاء له من ناحية ، وحب استطلاع من ناحية أخرى ، ومن أجل عيون ابنتي أميمة صديقة زوجته المحامية ؛ فقد كانت أميمة تعد رسالة الدكتوراه في فرنسا وتزورهذه الأسرة في المناسبات أو عند شعورها بالحاجة إلى إقامة حوار أسري ، فالإنسان حيوان اتصالي بطبعه .

في طريق العودة إلى القرية ، فضلنا إذن دخول القرية من الناحية الشمالية الشرقية لها والمطلة على نهر النيل بدلا من الذهاب إلى الكوبري عند الرغبة في الوصول إلى القرية من مدخلها الرئيسي . لذلك ، كان لابد من المرور بقرية شبرا اليمن[1] والمطلة هي أيضا على النيل شمال قريتنا ، وبدأنا نبحث عن الحمار الفرعوني وبط ميدوم بين القريتين ، وكأننا نبحث عن شيء ضاع منا ، وعثرنا على الكنز ، الحمار الفرعوني وبط ميدوم ، والتقطت صور تذكارية ، كانت من أهم ما عرضته هذه الأسرة علينا في شرائح وعلى شاشة خاصة باستخدام "بروجكتور" عندما زرناهم بعد ذلك في منزلهم بضاحية من ضواحي باريس !

---

(١) وهي مسقط رأس الأديب أحمد الألفي عطية والذي عمل في مجلة "الإثنين" والتي كانت تصدر عن دار الهلال ، وهو صاحب الكلمات التي تغنت بها ليلى مراد للحبيب المجهول وسجل اسم قريته على لسان الفنان اسماعيل يس في الأغنية "والعزبة دى في شبرا اليمن وح بيعها بكرة مقدما ...." . وهذه القرية ، وقريتنا ، جاء ذكرهما في واحد من الكتب في سياق الحديث عن سيدنا موسى عليه السلام وإلقائه في اليم أو التقاطه منه ، وربما نتحدث عن ذلك في كتاب لاحق عندما يتوفر في أيدينا ما يفسر ذلك ويثبته.

والأوز والبط في القرية المصرية لها لدينا ذكريات ، ليس بوصـفها من الوجبات المحببة والتي نتفنن في إعدادها ، حيث لابد أولا من أن نسـقى الأوزة مقدارا من الخـل قبل ذبحها للحد من "سموم" المادة الدهنية فيها ! ـ هكذا تعلمنا من أمي ـ رحمها الله ـ ولا لحشو الأوزة أو البطة بخليط مـن البصل وبعض التوابل والتي يطلق عليها اسم "مَرْتة" (بفتح المـيم وتسـكين الراء وهي غير المُرتة بضم الميم والتي نحصل عليها عند تسوية الزبد على النار للحصـول على السمن البلدي) ، ولا للطبق الشهي "المملـح المسـكّر" (نسبة إلى الملح والسكر بضم السين وتشديد الكـاف) للـبط بالبرتقـال ... ، ولكن اهتمامي ينصب على أسلوب حياة هذه المخلوقات وسلوكياتها في القرية المصرية ، حيث تخرج كل منها من دارها صباح كل يوم متوجهة إلى النهر أو الترعة ... ، وقد تلتقي وصديقات لها في الطريق فيذهبون في جماعـات لقضاء يوم من المرح بعيدا عن جدران المنزل ، ولكن بين الماء والخضـرة وصيد الأسماك الصغيرة ... وقبل غياب شمس اليوم ، تخرج هـذه الطيـور من الماء وتتحرك كلها في جماعة واحدة لكي تدخل كل واحدة منها دارها ـ حيث البيوت في القرية أبوابها كانت دائما مفتوحة ـ ونادرا ما كنا نسمع عن أوزة أو بطة خرجت ولم تعد ؛ ساعتها كانت صاحبتها تسـأل عنهـا لـدى أصحاب "رفيقاتها" موضحة لهم العلامة المميزة لهذه العزيزة الغائبة ـ والتي قد تكون مجرد فتلة وغالبا "سلخة" من قماش بلون معين ومربوطة في الرجل اليمنى أو اليسرى أو في واحد من الجناحين أو في كليهما ، ونادرا ما تكـون ملفوفة حول الرقبة ...

وأتذكر يوما طلبت مني أمي ـ رحمها الله ـ الذهاب لشراء بطة من أحد المنازل قبل حاجتنا إليها بأيام حتى نطعمها أو "نزقها" بحبوب محـددة ،

وخصوصا الفول وليس الذرة ، وخضرة معينة[1] مما يضمن لنا ، إلى جانب نظافة لحمها وطهارته ، زيادة في كمية اللحم وكبر الحجم بدلا من الدهن ... ، ولكن صاحبة المنزل ردت بأن ليس لديها بط ، وهي صادقة فعلا إذا كانت تعني اللحظة التي كانت تتحدث معي فيها . ولكن في أثناء الحوار بيننا ، رجعت الطيور إلى المنزل ، ولم تعرض المرأة قبولها بيع واحدة لي ، فنظرت إليها باستنكار ، ولم أستطع أن أقول لها إنها "كذابة" خوفا من الرد الطبيعي في مثل هذا الموقف لامرأة خبيثة "كيف تكذبيني وتصدقين البطة؟" أو أن تسيء الأدب في ردها عليّ فتحدث مشكلة ...

وعودة مرة أخرى إلي ذكرياتنا عن يوغسلافيا . ففي بلجراد العاصمة ، وإلى جانب زيارتنا لمبنى الإذاعة والتليفزيون ، ومقابلة بعض المسئولين عن البث التليفزيوني عبر الأقمار الصناعية ، وتحاورنا مع مسئولين عن الدراسات والبحوث في هذه المجالات التي تهمنا ، واطلاعنا على أهم نتائج البحوث الميدانية بالنسبة لمشاهدة برامج التليفزيون بوجه خاص ، وزيارة مكتبنا الإعلامي في بلجراد حيث تقابلنا مع الإعلامية رجاء أبو شهبة ، فقد حرصنا أيضا على الصلاة في مسجد بلجراد حيث التقينا وتحاورنا مع المفتي ، الشيخ حمدي (وهو يوغسلافي الجنسية ومن خريجي جامعة الأزهر وعضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ممثلا للمسلمين في يوغسلافيا) وقد دعانا للقاء مع أبنائه وزوجته المصرية .

---

[1] وهو أسلوب متبع في مزارع خاصة جدا للأوز في فرنسا للحصول على أكبر حجم لكبد الأوز الذي يتضاخم حجمه بفضل هذا الأسلوب في التغذية ، (Foie gras) ، ويعتبر من أغلى الوجبات ، وله موسم خاص يقدم فيه على المائدة الفرنسية ، وخصوصا عند الاحتفال بـ"الكريسماس" لدى الأخوة الكاثوليك في النصف الأخير من شهر ديسمبر ، ويباع في غير "أوانه" في علب صغيرة مثل علب التونة ، ويقدم مع المقبلات التي تقدم في حفلات الشاي أيضا فوق لقيمات (Canapé) ، هو و"الكافيار" (بيض السمك ، والذي يطلق على بعض أنواعه اسم "بطارخ") ، ويستخدم الجبن بأنواعه والزيتون وشرائح اللحوم الباردة والجمبري أيضا وأنواع أخرى في إعداد هذه اللقيمات... ، وكل هذا قد يكون فوق طبقة رقيقة ، أو بأسلوب آخر "فرشة" ، أو "مسحة" ، من الزبد الطازج ...

وفي اليوم التالي ، كان لنا لقاء مع المهندسة "المصرية" المسئولة عن بناء مسجد آخر في بلجراد وحوار حول بعض نقاط تتعلق بالصرح الإسلامي الجديد في قلب العاصمة بلجراد ... ، كذلك زرنا ضريح أحـد "أولـيـاء الله الصالحين" ، (والذي يحرص المسلمون هناك على زيارته ويلقون بالنقود من النافذة إلى داخل الضريح ، نذور ؟ ربما ، وقد يكون ذلك مساعدة من الزائر لمن يقومون بالحفاظ على نظافة هذا الضريح ... ، والذي لا يبعد كثيرا عـن التمثال الذي يرمز ليوغسلافيا "الخصبة" ...

ولبينا دعوة من المستشار الإعلامي الأستاذ أحمد شهدي وغداء على شاطئ نهر الدانوب على أنغام كمان يعـزف "الـدانوب الأزرق" للموسـيقار العالمي "ستراوس" ، وزرنا غابة "الخالدين" على مشارف العاصـمة بلجـراد حيث شاهدنا من بين أشجارها شجرة مورقة غرسها الزعيم الراحـل جمـال عبد الناصر ، بينما اختفت الشـجرة التـي زرعهـا الماريشـال تيتـو ... ووجدناها فرصة للحديث مع المسئول الذي كنا برفقته عن علاقات الصـداقة التي ربطت بين عبد الناصر وتيتو ، بين مصـر ويوغسـلافيا ودول عـدم الانحياز الأخرى ... ، وأشرنا إلى بقاء هذه الشجرة الرمز ، وكيف نزعـوا الشجرة التي زرعها تيتو ، بالضبط كما كان بعض الملوك في مصر "القديمة" يحطمون آثار من سبقوهم في حكم البلاد ، ولكن هناك ، فـي يوغسـلافيا ، حتى الشجرة "ياولداه" خلعوها من "جذورها" !!!

ونحن ننتمي للمدرسة الإسلامية التي تأخذ بقول رسـول الإنسـانية صلوات الله وسلامه عليه ما معناه — إذا كان في يد أحدنا فسيلة فليزرعها — حتى لو كان ذلك عند قيام الساعة ؛ ورغم كل هذا ، نبوّر الأرض الزراعيـة ونقلع الأشجار لزرع غابات أسمنتية ، مضحين بالرقعة الزراعية التي يمكـن

أن توفر لنا حياة كريمة بعيدا عن تسول لقمة العيش ، وما أغلاها في هذه الحالة ، من بعض دول كنا ــ حتى وقت قريب ــ نصدر لها القمح ، وأخرى تتحكم في رقاب العباد ، وفي هذا السياق ، اسمحوا لي بأن ندعو الله للكاتبة سكينة فؤاد ، بأن يوفقها في أن تستمر في حملتها المباركة للخروج من هذا المأزق ، وقلوب المخلصين ، كلنا ، معها ننتظر أي إشارة ، مع رجاء حار ألا تيأس وتستسلم فتلقي بالقلم ، تحت ضغوط عنيفة لبعض ممن لهم مصالح خاصة وتستميت قوى الشر هذه لكي نظل تابعين لقوى خارجية .

هكذا يرى القارئ أننا في مقدمة الكتاب الذي تحدثنا فيه عن وسائل الإعلام الإليكترونية في إحدى دول الكتلة الشرقية ، يوغسلافيا ، لمسنا السيرة الذاتية ولكن على استحياء شديد وعلى عجالة ، فقد أشرنا إلى بعض "تحركاتنا" في تلك "الدولة" ــ والتي لاترقى ، من وجهة نظرنا ، إلى ما كتبه أنيس منصور عن رحلاته ــ وكانت هذه أول وآخر مرة نتحدث فيها عن جوانب خاصة تتعلق بنا ، حتى صدور هذا الكتاب ــ اللهم إلا عند التعليق على رسم لابنتي آية (وذلك عند نشر نتائج بحث تحليلي أجريناه على عينة من رسوم الأطفال) ، أو عند تسجيل لقطات سجلناها بدقة عن أول لقاء مع الأستاذ الفرنسي (Emile Sicard) الذي حددنا معه موضوع الرسالة التي حصلنا بها على درجة دكتوراه الدولة من جامعة بوردو ٢ وأكملتها بعد وفاته مع الأستاذ (François Chazel) ، أو عند شهادة حق على ماحدث في دولة شقيقة عشنا فيها تأثير البث المباشر الأجنبي على أسر عربية ... ، وذلك قبل أن نقرر نشر هذا الكتاب ، "حكايتي مع صدام ، وحكايات أخرى" .

الجيزة ، ربيع أول ١٤٢٥هـ / أبريل ٢٠٠٤م د. انشراح الشال

حكايتي مع صدام

في لقطـــات

لمــــــاذا ؟

أخذ علينا أستاذ التربية الفرنسي "فيتفيــر" (Witweir) الـــذي كـــان عضوا في اللجنة الخماسية التي شكلت لمناقشة الرسالة التي حصلنا بها على دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية من قسم اجتمـــاع وعلـــم نفـــس بجامعة بوردو ٢ بفرنسا (عن المسئولية الاجتماعية للتليفزيون فـــي الـــدول النامية مع التطبيق على مصر) عدم كتابة فصل عن مصر ، وبأن أي طالب أجنبي لديهم يقدم فصلا في الرسالة للحديث عن بلده الذي يدور حولـــه فـــي الغالب موضوع الرسالة . فاعتذرت لسيادته وللجنة المـــوقرة بـــأن الرســـالة (والتي تقع في ١٥١٧ صفحة) من الصعب أن تكون أكبر من ذلك ، هذا من ناحية ، وبأن كثيرا مما كتب عن مصـــر كان بأقلام فرنسية بداية من كتـــاب وصف مصر الذي نشرته الحملة الفرنسة . لذلك أسعدني وصول خمس كتب عن مصر أرسلها لي الدكتور ممدوح البلتاجي ، وزعتها مع كلمة شكر على كل واحد من أعضاء لجنة الحكم على الرسالة بعد حـــوالي أســـبوعين مـــن مناقشتها وحصولي على الدرجة العلمية ، وداعبت فيتفير وأنا أسلمه هديتـــه والذي تقبلها بفرحة واهتمام بأنني أسلمه الفصل الذي كان من المفـــروض أن أكتبه في الرسالة عن بلدي مصر ...

وهنا ، وفي هذه الصفحات ، ونحن نركـــز حـــديثنا عـــن العـــراق وزيارتنا له ، تذكرنا فيتفير ، ففكرنا في تضمين الكتاب جزءا عن العـــراق ، أو حتى عن صدام أو الكويت ، لكننا لم نقتنع بذلك ، ففكرنا في أنه ــ علـــى

الأقل ـــ من الممكن وضع خريطة للعراق نوضح فيه مثلا المدن والأمـــاكن التي زرناها .

وبالبحث عن خريطة "حديثة" للعراق ، عثرنا على مطبوع للمجمـــع العلمي العراقي صدر عـــام ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م ، بعنـــوان : **العـــراق فـــي الخوارط القديمة** ، جمعه وحققه الدكتور أحمد سوسه ، ووصل عدد الخرائط التي جمعت في هذا السفر ٣٩ خريطة ، منها خريطة ـــ أو "خارطة" حســب تعبير من جمعها ـــ وضعها البابليون للعالم قبل ٤٠٠٠ سنة مع حل رموزها وشرح تاريخها ... ، وأردنا أن يشاركنا القارئ في الاستمتاع برؤيـــة هـــذه الخرائط التي رسمت منذ سنوات طويلة للعراق وللمنطقة العربية وللعـــالم ، فاخترنا منها ست خرائط فقط نعرضـــها للقـــارئ فـــي الملاحـــق ، إذ مـــن المستحيل عرضها في المتن أو عرضها كلها هنا . وفيما يلي بعض سطور للدكتور سوسه عن كتابه :

"كان العـــراق أول من وضع أسس فن صنع "الخوارط" (Cartography) وعلم المساحة ، وبه أشهر الرسامين الجغرافيين من الذين ســـاحوا في العالم في القرن الرابع الهجري وسلمت آثارهم الموضحة بالخوارط ، ومنهم أبو القـــاسم محـــمد بن علي الموصلي المشهور بابن حوقل ، والذي ولد في بغداد ودوّن أخبـــار رحلته في سنة ٣٦٤هـ (٩٧٧م) في كتابه الموســـوم "المسالك والممالك والمفاوز والمهالك" .

لقطـــات

لقطة أولى : المثير والدافع لكتابة الحكاية

في الكتاب الذي بين أيدينا الآن ، نعرض لواقعة مرّ عليها حتى كتابة هذه السطور أكثر من ١٣ سنة ، ولم نفكر يوما أن نكتب عنها ، إلا بعـد أن أثير موضوعها من جديد في مجلة آخر ساعة (في العدد الصـادر بالقـاهرة يوم الثلاثاء في الرابع والعشرين من ديسمبر عام ٢٠٠٣م) . فقد كتب عـن تلك الواقعـة صحفي ـ نعتز به لأسباب عديدة ـ معتمدا فـي ذلـك علـى الذاكرة ، وجاء حديثه تحت عنوان : "انتصارا" للمرأة العربية ... ، ولكننا ـ من وجهة نظرنا ـ رأينا فيما كتبه عن هذه الواقعة إهانة ، غيـر مقصـودة بطبيعة الحال ، بينما رآها الصديق أحمد رجائي (نائب رئيس التحرير جريدة الجمهورية) وآخرون عكس ذلك ...

وفي إطار حق الرد ، بدأنا الكتابة في هذا الموضـوع لنشـره فـي المجلة التي نشر فيها الموضوع . ولكن ، تـداعي الأفكـار ، وتفصـيلات الواقعة التي حكي عنها التهامي منتصر في مجلة آخر سـاعة ، خصوصـا وتوابع هذه الواقعة مازالت تحت البصر وفي الذاكرة ، ضـخم مـن عـدد الكلمات ، وكان من الصعب أن نوجز ، فالإيجاز من شيم أسـاتذة البلاغـة ونحن لسنا منهم ، فتركنا القلم حرا يكتب ما يمليه عليه الضمير وما تبقى في ذاكرتنا ، سواء نشرنا ما نكتبه بعد ذلك أو احتفظنا به بين الأوراق الخاصة . ولكن كيف نجرؤ على الاحتفاظ بهذه الأوراق وهي شهادة للتاريخ لا يمكـن إغفالها أو كتمانها ؟

وهنا ، وفي الصفحات التالية نذكر القارئ ببعض أحداث قد يكون عاشها بنفسه أو قرأ عنها أو سمع بها ، كذلك نسرد بعض حكايات عشناها لكي يشاركنا القارئ أحداثها ، ونسجل حوارات بلغة أصحابها ، مما قد يجعلنا نزاوج بين اللغة العربية الفصحى والعامية ، وهذه اللغة "الثالثة" التي تمزج بين العربية الفصحى والعامية مقبولة بالنسبة لبعض علماء اللغة ، ولم نبتدعها في هذا الكتاب ، بل كتب بها أدباء مرموقون منهم توفيق الحكيم ومحمود تيمور[1] .

ـ تهمة بريئة منها ويراها آخرون بطولة !!

تحت عنوان "أستاذة مصرية تتهم صدام بالصلف والغرور في حضوره ... فيقول لها : أحيي فيك شجاعة المرأة المصرية" ، كتب رئيس تحرير مجلة آخر ساعة عن واقعة قديمة ، اعتمد في سردها على الذاكرة التي يمكن أن تخون أي فرد ، حيث لا يبقى سوى الحدث وتتلاشى التفاصيل الدقيقة ولا نتذكر سوى ما يتواءم مع أفكارنا ومعتقداتنا ... ، خصوصا والحدث يرتبط ارتباطا شديدا بواقع مرير تعيشه الأمة العربية بعد إلقاء القبض على صدام ووقوعه في الأسر ، فقد تداعت المعاني مع الأحداث لدى كاتبنا العزيز وتذكر موقفنا من صدام بخصوص الأسرى الإيرانيين ، وصورها في قالب أسطورة لامرأة شجاعة "خانتها الألفاظ التي استخدمتها في مخاطبة رئيس دولة ، ولكنه كان من سعة الصدر أن استجاب لطلبها متجاهلا تجاوزها في مخاطبته" ، وهذا الواقعة يمكن سردها في روايات

[1] الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم ، أستاذ الأدب العربي في كلية دار العلوم / جامعة القاهرة ، حوار خاص .

و"سيناريوهات" متعددة ومتباينة بحسب مكانة المتحدث والراوي من الشخوص التي تدور حولها الرواية ...

فقد اتهمني الكاتب بأنني "وصفت صدام بالصلف والغرور" — وهذا الكلام ، كما سبق وقلت منذ قليل ، لواقعة حدثت منذ أكثر من ١٣ عاماً — ويقول صديقنا الصحفي بأن الرئيس صدام ، وبكل الكبرياء (الذي وصفه به في الصفحة نفسها) ، وبكل ما كان يعرف عنه من بطش بأي شخص يسمح لنفسه بتجاوز الحدود الذي يرسمها صدام ، وأيا كانت قرابة وهوية هذا الشخص بالنسبة لصدام ، والأمثلة عديدة تؤكد ذلك ، إلا أن الرئيس صدام ، عندما قلت له "لا داعي للصلف والعناد والغرور" ، فاجأ الحضور بعد أن تكهرب الجو ، بأن نزل من المنصة ، واتجه نحوي وسلم علي ، وحياني ، ثم عاد إلى المنصة ليرد على كلمتي ... ياسلام !!

هل هذا "السيناريو" يمكن أن يقبله عقل ؟ هل الصحفي هنا يظن أن ما كتبه يرفع من قدري ؟ بالعكس ؛ فقد تعلمنا من الصغر أن لكل مقام مقالا ، وأن نخاطب الناس على قدر عقولهم . ومهما كانت قيمتي العلمية وصراحتي التي يشهد بها الجميع — العدو قبل الصديق — إلا أنني أحترم قدر الآخرين ، ويعرف ذلك كل صحفي ممن يتصل بي لأخذ آرائي في بعض موضوعات — خصوصا بعد القبض على الرئيس صدام — حيث قلت لأحدهم "ارحموا عزيز قوم ذل " ، وقلت لآخر "لاتسبق الأحداث ، ودع الأمر للخالق ولرجال القضاء لكي يقولوا كلمتهم ، خصوصا ونحن لانعرف ما حدث بالضبط إلا من خلال وسائل إعلام مغرضة ..." ، ونحن هنا أيضا نأخذ بقول المسيح ابن مريم عليهما السلام "اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله "، ونحن في خصامنا في حياتنا اليومية لم نلفظ كلمة تسيء إلى من هم

أكبر منا ، حتى ولو كانوا مخطئين ، ولو اشتدت الخصومة بيننـــا ، ونحـــن ممن يعرفون كيف يكظمون غيظهم ، وقد تمت تربيتنا على توقير مـــن هـــم أكبر منا . ونذكر هنا حوارا دار بيننا وبين الدكتورة جيهان رشتي — وكانت عميدة لكلية الإعلام — بخصوص الدكتور نصر أبو زيد الــذي كانــت قــد رفضت اللجنة الدائمة ترقيته ، ونشر في الصحف التقرير الذي كتبــه عــن إنتاجه العلمي الدكتور عبد الصبور شاهين ، وكان رأيي أن نصر أبو زيد قد أخطأ عندما حاول إثارة الرأي العام في موضوع خاص بالجامعــة ، ولكــن رأينا هذا وقد أضاع علينا كثيرا من حقوقنا بعد ذلك بأيــام قليلــة ، ولكــن ، استطعنا بعون الله استرداد حقوقنا ، ولكن بالطرق التي يكفلها لنا القــانون ، وداخل إطار الجامعة ، بعد تحذير أكثر من مرة لمن سمحت لهــم مناصــبهم على ظلم الناس وحاولوا الإساءة إلينا ، ولكن الله سبحانه وتعالى نصرنا على الجميع بدون أن نسئ لأي منهم بكلمة ، وتركنا الأمر للجهــات العليــا فــي الجامعة اتخاذ ما يتراءى لها من الوجهة القانونية ودعمناها بالوثــائق التــي تثبت حقنا الذي كاد يضيع بسبب اختلاف في وجهات نظر في أمور نتصــور أنها منطقية ولا جدال فيها ...

ومثال آخر على احترامنا لكل كبير ، أنه بعد غزو العراق للكويت ، والذي رفضناه تماما ، اتصل بنا صحفي في جريدة مـــن جرائـــد معارضـــة يسألنا رأينا ، وقلنا له "لاداعي لسب صدام أو العراق ، "وجادلهم بالتي هـــي أحسن" ، خصوصا وشخصية صدام والشخصية العراقية معروفة لنا منذ زمن بعيد . وفوجئنا بأن هذا الصحفي قد ذكر رأينا ولكن تحت عنوان بأنني أقــول إن "صدام كذاب" ، واتصلت برئيس تحرير الجريدة الذي وجد التناقض بــين ما ذكر على لساني في المتن وبين عنوان الموضـــوع . وبعـــد التحقيـــق ،

اكتشف رئيس التحرير أن سكرتير تحرير الصحيفة هو الذي وضع هذا العنوان والذي يتلاءم مع أفكاره هو ، معتقدا — ربما — استحالة الاختلاف مع رأيه الشخصي ، ونزل توضيح لذلك وتصويب في العدد التالي من الجريدة .

أقول هذا الكلام منبهة أبناءنا الصحفيين بالتروي عند اختيار الألفاظ والكلمات ... فإن لكل لفظ دلالة معينة في سياق محدد لدى جمهور خاص ... ، وأقول لكل من شاءت الأقدار أن تدفع به إلى كرسي السلطة : "تذكر قدرة الله الرحمن الرحيم" ...

لقطة ثانية : التعيين عضوا في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — اتصال تليفوني

رن جرس التليفون في المنزل وكان المتحدث من مكتب وزير الأوقاف الدكتور محمد علي المحجوب ، والذي طلب مني الحضور إلى مقر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في شارع النباتات بجاردن سيتي (فيلا الزعيم مصطفى النحاس سابقا) ، وحدد لي موعدا في اليوم التالي لمقابلة معالي الوزير في الساعة السادسة ، على ما أتذكر .

وعندما ذهبت ، لم أجد أحدا ، وقطعت الصالة كلها ، ووصلت إلى باب مفتوح في نهايتها ، وكان الدكتور البهي موجودا بالمكتب ينجز بعض أعماله ، سلمت ، وعرفته بنفسي ، وأن شخصا اتصل بي للحضور لمقابلة الدكتور الوزير ، وخير إن شاء الله ، فطلب مني الانتظار قليلا ... ومرت دقائق طوال قبل أن أرى الدكتور الوزير وهو يهبط السلم ويتجه إلينا .

وبعد السلام ، عرفني بأنه قد تم ترشيحي واختياري عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، فقلت له "أعتقد أن أعضاء هذا المجلس المفروض أن يكونوا من علماء الأزهر" ، فقال "بل ومن سيدات أيضـــا" ، وكـــان ردي "لديكم الدكتورة نعمات فؤاد" ، فقال "إنها فعلا في المجلس" ، وذكرت له عدة أسماء أخرى لسيدات فضليات أتوسم فيهن الإخلاص لدينهن ويمكن أن يكون لهن حضور ونشاط أكثر مني في هذا المجلس المــوقر ، إلا أنـــه رد بـــأن نشاطي يعرفونه جيدا . والمهم أنني قلت له إنني مستقلة تماما ، وليس لي أي انتماء حزبي ، فأكد لي أن هذا المجلس بعيد تماما عن الأحزاب ، عندها قلت له إنني أبدي دائما برأيي ، فقال بأن هذا هو المطلوب ...

ـ الملف الخاص

ولكن ، أتذكر أن اختياري هذا عضوا بـــالمجلس الأعلـــى للشـــئون الإسلامية جاء بعد أيام قليلة من مقابلة لي مع الصـــديق الصـــحفي د. فـــرج الشناوي وكان اللقاء في مكتب عميد كلية الإعلام الدكتور مختار التهـــامي ، فقد قال لي الشناوي إنه كان في مكان "سيادي" وكان ملفي الخـــاص مفتوحـــا للدراسة ، وقلت له ساعتها "اللهم اجعله خير" .

وقبلت أن أكون عضوا بالمجلس .

لقطة ثالثة : اشتراك إيجابي في جلسات المؤتمر الأول للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في المؤتمر الأول للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، والذي عقد بالقاهرة عام ١٩٨٨م ، طالبت وزراء الإعلام في الدول الإسلامية باستخدام القمر الصناعي العربي في تعليم القيم الإسلامية للمسلمين ، وخاصة الأقليات الإسلامية في الدول الأجنبية ، وحتى لا تفقد هذه الشعوب هويتها وسط موجات يشنها "الغرب" بلا هوادة ... ، ونبهت السادة الحضور إلى أنه قد بدأ "العد التنازلي" للبث التليفزيوني المباشر من مصادر أجنبية ، والذي سوف يصل إلى أبنائنا في الدول الإسلامية بقيم غريبة ، مما قد يكون له تأثير على بعض الثوابت ، والذي بدأ في الظهور فعلا فيما بعد ، ولمسناه في دراسة لنا نشرناها تحت عنوان "الدش والعولمة في قرية ماكلوهان الإليكترونية")[1] ، وطلب مني رئيس المؤتمر ضرورة كتابة هذه الكلمة لنشرها ؛ وقد حدث ، ونشرت الكلمة في كتاب بعنوان "دولنا النامية في عصر الأقمار الصناعية" وقد أشرنا على الغلاف الأخير في التعريف بالكتاب أنه قد "بدأ العد التنازلي للبث المباشر" ...

ومن هنا بداية هذه الحكاية . ونبدأ سردها من نهايتها ... ، بذكر الأحداث التي أعاد صياغة السيناريو لها رئيس تحرير المجلة المشار إليها سابقا ، والذي دفعنا إلى كتابة هذه الكلمات ، والتي قصدنا في البداية نشرها في المجلة نفسها تحت بند "حق الرد" ، ولكن التفاصيل كانت كثيرة مما دفعنا إلى عرضها في هذا الكتاب لمن يريد معرفة ما وراء هذا الحدث ، فالمجلة

[1] انظر القائمة الخاصة بإنتاجنا العلمي .

قد لا تكون في يد كل من يهمه موضوع هذا الموقف الإنساني مـــع صـــدام بخصوص موضوع الأسرى ...

لقطة رابعة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يعقـد مـؤتمره الثاني في بغداد عام ١٩٨٩م

ـ ممنوع الحديث مع صحفيين

قبل السفر إلى بغداد ـ حيث عقد المؤتمر الثاني للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية جلساته ـ اجتمع بنا الدكتور المحجوب في مقر المجلس وطلب منا ، بل هو أمر ، ألا نتحدث مع أي صحفي ...

ـ السفر إلى بغداد

من قاعة كبار الزوار ، وبدون استخراج تأشـيرة للـدخول للعـراق الشقيق حيث جمعت جوازات السفر منا وتولى مندوب من المجلس عنا القيام بكافة الإجراءات ، ركبنا طائرة خاصة عراقية وهبطنا أرض العراق ، حيث كان مطار صدام الدولي يضاهي أجمل مطارات مـررت بهـا فـي أثنـاء سفرياتي المتعددة ، على مستوى دول أوربا الغربية وغيرها مـن مطـارات عربية أو لدول تابعة للكتلة الشرقية ، أو لدول في قارة آسـيا أو أفريقيـا أو أمريكا اللاتينية ...

ومن بين "السخائف" التي واجهها الوفد في رحلة الذهاب ، وذكرهـا رئيس تحرير جريدة الحياة ، أن بعض مضيفات الطائرة التي أقلتنا إلى بغداد حاولت مداعبة الضيوف الشيوخ و"الاستظراف" غير المقبـول مـن وجهـة

نظرنا ، عندما قدمت إحداهن وردة لواحد منهم كان قريبا من رئيس تحريـــر جريدة الحياة قائلة "خذ شم" ! فانتفض الشيخ واستعاذ بالله ![1]

ـ انحياز ملحوظ تجاه العراق ضد إيران

حضرنا وأعضاء المجلس الأعلى للشئون الإنسلامية انعقاد المــؤتمر الثاني للمجلس في بغداد ، والذي كان يحمل عنوان "السلام في الإسلام" وكان ذلك في الفترة من ٣-٧ جمادي الآخـــر ١٤٠٩هـ الموافـــق ١٠-١٤ ينـــاير ١٩٨٩م .

وكان من المفروض أن يفتتح الرئيس صدام حسين جلسات المــؤتمر لكن عزة ابراهيم ، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي هو الذي حضـــر وافتتح المؤتمر ، وجاءت مقابلة صدام ـــ التي سوف نتحدث عنها بعد سطور قليلة ـــ في اليوم التالي وكانت مفاجأة للجميع[1] .

المهم ، هو أن جلسات اليوم الأول بدأت بالكلمات التقليدية ، ولكننـــا فوجئنا بأن معظم المتحدثين انحازوا لموقف العراق ضد إيران ، مع نقد شديد ـــ وهذا أخف ما يوصف به كلام المتحدثين وخصوصا العراقيين ـــ لقـــادة إيران .

وسألنا من يجاورنا في القاعة ـــ واسمحوا لنا أن نتحدث بصراحة ـــ سألناه ببراءة ودهشة :

ـــ " *هل جئنا إلى هنا لسب إيران وقادة إيران ؟* " .

وكان الرد :

---

[1] بالنسبة لرحلة العودة ، لفت نظر الصحفي نفسه حرص المضيفات على ارتداء الحجاب "تقديرا لوقار ضيوف المؤتمر" ! كما يقول سيادته .

[1] انظر برنامج المؤتمر في الملاحق .

– "لاتنسى أننا في ضيافة صدام والعراق"

يا إلهي ! ألى هذا الحد رخصنا ؟؟؟

سألنا جارنا مرة أخرى ولكن بدهشة شديدة وباستنكار وانزعاج :

– "هل إذا انتهينا من هذا المؤتمر ، ودعينا إلى طهران في مؤتمر مشابه ، هل سنسب هناك العراق وقائد العراق ورئيسه؟! "

دار هذا الحوار ، وأنا على قناعة بأن كل دولة من الدولتين كانت خاسرة في هذه الحرب التي دامت حوالي تسع سنوات ، ١٩٨٤-١٩٨٦م ، وكان الزعيم الروحي آية الله الخميني قد أعلن في العشرين من يوليه قبوله وقف إطلاق النار ثم تمكنت هيئة الأمم من تنفيذ معظم شروط وقف إطلاق النار وبدأ أول اجتماع بين الإيرانيين والعراقيين يوم ٢٤ أغسطس ١٩٨٨م ، ولكن حالة "اللاسلم" و"اللاحرب" بين البلدين ما هي إلا حرب استنزاف لموارد الدولتين ، هذا إلى جانب الموارد البشرية التي فقدها المعسكران إبان هذه الحرب الغبية ، وصورة المسلمين التي شوهتها هذه الحرب ، والدور المتربص للعدو الإسرائيلي الذي يتابع عن قرب ويشارك من وراء ستار في هذه المعركة بين الأخرين .

وفيما يلى نورد بعض ما يمكن أن يقال بخصوص تأثيرات حرب العراق / إيران بالنسبة لبعض الجوانب[1] :

---

(1) للاستزادة ، إرجع إلى : المشير عبد الحليم أبو غزالة ، الحرب العراقية / الإيرانية ، ١٩٨٠- ١٩٨٨م . بدون دار نشر ، ١٩٩٣- ١٩٩٤م .

ـ أهم التأثيرات التي يجب أن ننتبه لها عند الحديث عن حـــرب العراق / إيران

أ ـ تأثير حرب العراق / إيران على الموارد البشرية في البلدين

٧٣٠ ٠٠٠	قتيل إيراني ،	٣٤٠ ٠٠٠	قتيل عراقي
١ ٢٠٠ ٠٠٠	جريح إيراني ،	٧٠٠ ٠٠٠	جريح عراقي
٢ ٠٠٠ ٠٠٠	لاجئ إيراني ،	٤٠٠ ٠٠٠	لاجئ عراقي
٤٥ ٠٠٠	أسير إيراني ،	٧٠ ٠٠٠	أسير عراقي

ب ـ تأثير حرب العراق / إيران على الموارد المادية بين البلدين

"الفائز" هنا في هذه الحرب الغبية ، على المستوى الاقتصادي ، هـم بالدرجة الأولى تجار السلاح ، والذين حققوا من وراء هذه الحرب مكاسـب مؤكدة ؛ فإنه إلى جانب الخسارة المؤكدة في المعركة فيما يتعلـق بالعنصـر البشـري ، والذي يصل إجماله بالنسـبة للفـريقين إلـى خمسـة ملايـين و٠٠٠ ٤٨٥ ألف فرد ما بين قتيـل وجـريح ولاجئ وأسير ـ ومعظمهـم بطبيعة الحـال من الشباب ، حيث كان العراق يجند الشبـاب من سـن ١٤ سنة ـ وإلى جانب ما كان موجودا من أسلحة ومعدات قبل بداية الحرب ....، أنفقت العراق على شراء الأسلحة والمعدات لهذه الحرب مـا يقـدر بمبلـغ ١٥٩مليار دولار ، مقابل ٦٩ مليار دولار أنفقتها إيران على شراء الأسـلحة والمعدات ، كل هذا دون إغفال ما تم تدميره من منشآت وبنية أساسـية ومـا تحتاج إليه لإعادة بنائها وتشييدها من جديد .

جـ ــ تأثير حرب العراق / إيران على المستوى القومي

نعتقد أن كل ما أنفقته الدولتان على هذه الحــرب وتأثيراتهــا علــى مقدرات هذين الشعبين ، وما سببته هذه الحرب على المنطقــة كلهــا مــن تأثيرات على مستويات متعددة ، سياسية ، وعسكرية ، وأمنية ، واقتصادية ، ونفسية ... "كل هذا كوم" ، وتأثيرها على المستوى القومي "كوم آخر" ، حيث نرى أن الرابح الوحيد في هذه الحرب الغبية هو العدو الإسرائيلي ؛ فالتفسير الوحيد للمساعدات التي قدمتها إسرائيل لإيران أنها لم تكن لأن إسرائيل كانت تود لإيران الانتصار ، بل كل هذا الدعم الملموس لإيران من قبل إسرائيل ــ والذي نتفق فيه مع المشير أبو غزالة ــ كان بهدف إضعاف العراق ، وذلــك لإخراجها من حسابات إسرائيل للتهديدات العربية [1] .

فهل يمكن أن نعي الدرس ؟؟

لذلك كان لا بد من أن أتكلم !!

ــ المطالبة بإرسال برقية للمسئولين في إيــران للإفــراج عــن الأسرى العراقيين

طلبت الكلمة من رئيس الجلسة الأخيرة مــن جلســات اليــوم الأول للمؤتمر ، وكان وزير الأوقــاف العراقي عبد الله فاضــل ، وأعطيــت لنــا الكلمة ، فتحدثت بصراحة ــ لا أحسد عليها ــ بأننا لم نحضر هذا المــؤتمر لكي نسمع هذا السباب الموجه لإيران ولقادتــه ، وذكرتــه وذكــرت نفســي والحضور بأن المؤتمر الذي يجمعنا يعقد تحت شعار "السلام في الإســلام" ، وأن علينا أن نعمل لتحقيق السلام بين الدولتين الإسلاميتين ، بعد حرب كانت

(1) المرجع السابق .

وبالا على البلدين ... ، ثم سألته أن يسمح لي المؤتمر بإرسال برقية باسمي إلى المسئولين الإيرانيين لمطالبتهم بالإفراج عن الأسرى العراقيين .

ونظن هنا أن بعض الحضور قد اعتقدوا — خطأ — أنني بهذه البرقية والتي أود إرسالها إلى المسئولين في إيران قد أخذت جانب العراق ضد إيران ، وعبروا عن رؤيتهم المشوشة وفهمهم الخاطئ لموقفي "المعلن" بالنسبة لهم بتصفيق حاد ...

وأكملت حديثي ، وقلت : " أو أن تكون البرقية المرسلة إلى إيران باسم سيدات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وكنا تسع سيدات ..." فزاد التصفيق تأييدا للفكرة المطروحة ...

وأنهيت مداخلتي ، وسلمت ، وتوجهت إلى مقعدي في القاعة ، وجلست مكاني ، وانتظرت — وجميع من بالقاعة — تعقيب المنصة على كلمتي خصوصا ورئيس الجلسة الوزير العراقي الذي نحن في ضيافته .

رحب الوزير العراقي بفكرتي ، ثم قال بالنص وبالكلمة : " ولماذا تكون البرقية باسمك أو باسم سيدات المجلس فقط ولاتكون باسم جميع أعضاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ؟ "

ودوت القاعة بتصفيق حاد دليلا على الموافقة بإرسال هذه البرقية ، حيث لم يعترض أي من الحاضرين على إرسالها ...

— اقتراح من الحمزة دعبس بتشكيل وفد للسفر إلى إيران

اقترح الزميل وعضو المؤتمر المستشار الحمزة دعبس تشكيل وفد من أعضاء المؤتمر للسفر فورا إلى إيران ، في محاولة للإفراج عن

الأسرى ، ولكن الاقتراح تم إرجاؤه إلى حين معرفة رد الفعل الإيراني بعـد أن تصلهم البرقية التي اتفق على إرسالها .

ـ حديث مع سوار الذهب

انتهت جلسات اليوم الأول على خير ... ، وبدأت الأحاديث الجانبيـة بين الحضور في القاعة الكبرى التي عقد فيها المؤتمر وفي صالونات فنـدق ميليسا ـ المنصور الرحبة ... وتحادثت طويلا والرئيس الأسـبق للسـودان سوار الذهب ، وكنت سعيدة وأنا أنقل إليه مشاعري بالغبطة والسعادة لتسليمه مقاليد الحكم للمدنيين في السودان ، فأنا ضد أي حكم عسكري ...

ومن بين الحضور في هذا المؤتمر نذكر أيضا فضيلة الشـيخ عبـد الوهاب عبد الواسع وزير الحج والأوقاف السـعودي الـذي أدلـى بحـديث للصحفيين أشاد فيه بالمؤتمر الذي عقد في بغداد ، و"الذي أكد باعتقـاده أنـه دليل قوي على تأييد العراق الشقيق في موقفه لتحقيق السلام على أرضه التي تعتبر جزءا من الأمة العربية" ... وحيا فضيلته صـمود العـراق ورغبتـه الأكيدة في السلام ...!![1]

لقطة خامسة : اليوم التالي مع صدام

بدأنا الاستعداد لحضور جلسات اليوم التالي بالوصـول إلـى قاعـة الاجتماعات في فندق ميليسا ـ منصور والذي كنت أقيم فيه ومجموعة مـن أعضاء الوفد ، حيث وزعـت إقامة أعضاء الوفد بين هـذا الفنـدق وفنـدق

---

[1] لمعرفة نص الكلمة ، ولمعرفة المداخلات المختلفة للذين تحدثوا في هذا المؤتمر ، يمكن للقارئ المهتم الرجوع إلى الصحافة العربية التي غطت هذا المؤتمر ...

الرشيد . وتأخر حضور المسئولين عن إدارة الجلسة الأولى ، وسمعنا همهمات وشائعات وتكهنات بأن فلانا وفلانا و... سيذهبون لمقابلة الرئيس صدام ، بل هم فلان وفلان وفلان ... ، وبعد دقائق تتغير الأسماء ... ، أكثر من خمس مرات تغيرت فيها أسماء المرشحين للذهاب لمقابلة صدام ... ، إلى أن حضر مسئول عراقي يرتدي الزي العسكري وطلب من الجميع التوجه للسيارات التي سوف تقلنا إلى قصر الرئاسة ... وذهبنا .

ــ الدخول إلى قصر رئاسي لصدام !

وصلنا إلى مدخل القصر الرئاسي ... ، وأفرغت جيوبنا ... ، وأخذوا منا كل ما كان في أيدينا من حقائب وأوراق وأقلام ... ، ثم بدأنا التوجه إلى قاعة الاجتماعات مرورا ببوابة جهاز الكشف عن أي أسلحة ...

ودخلنا القاعة من الباب الخلفي لها ... وهي قاعة في شكل مدرج ، وكان علينا صعود عدة درجات لا تصل إلى عشر قبل الوصول إلى أول مقعد في الصفوف الخلفية من القاعة ... وعندما دخلنا القاعة التي اجتمع فيها صدام بأعضاء وفد المؤتمر ، اختفى البروتوكول الذي يتبع عادة في مثل هذه اللقاءات بخصوص تحديد أماكن جلوس أعضاء الوفد ، اللهم إلا بالنسبة للصفوف الأولى التي راعى أعضاء الوفد تركها للمسئولين وكبار الشخصيات أعضاء المؤتمر ...

وفي أول صف صادفني ، وهو آخر صف في القاعة ، وبجوار الباب الذي دخلنا منه ، جاءت جلستي وبجواري الصديقة الحاجة زهيرة العبد مسئولة الإعلام الديني في مسجد مصطفى محمود بالمهندسين في الدقي ،

والدكتورة آمنة نصير الأستاذ بجامعة الأزهر ... وأمـــام كـــل واحـــد مـــن الحضور وضع قلم للكتابة ، ودفتر ورق أبيض ، وعلبة مناديل ورقية .

وخلفنا ، وفي المسافة التي تفصل بين الصف الأخيـــر فـــي القاعـــة والباب الذي دخلنا منه اصطف عدد من رجال الأمن بملابســـهم العســـكرية، الصفراء ، والتي كان يرتديها الرئيس صدام وكـــل حاشـــيته مـــن الـــوزراء وغيرهم ، بالرغم من تأكيدهم باستمرار على أنهم قد أنهوا حالة الحرب بينهم وبين جيرانهم ... !!

ومن باب أمامي على يمين الجالسين في القاعة ، دخل الرئيس صدام حسين وسط تصفيق حاد ، وتوجه إلى المنصة الرئيسية (والتي يمكن أن تسع خمسة أفراد) ، حتىأصبح في مواجهة الحضور ، وأخذ مكانه علـــى المقعـــد الموجود خلف منتصف المنضدة ...

ـ تحدثنا دون اتفاق مسبق

هذا اللقاء التاريخي مع صدام لم يكن في جدول أعمال المؤتمر ، بل كان غير متوقع ومفاجأة للجميع ، مما يفسر عدم حضـــور بعـــض أعضـــاء المؤتمر له . ولما كان هذا اللقاء بدون سابق إعداد ، وبالتالي عـــدم ترتيـــب مسبق للمتحدثين فيه ، فقد ترك المجال مفتوحا لكل من يريد الحـــديث بعـــد انتهاء الكلمات الرسمية لوزير الأوقاف العراقي عبد الله فاضل ، ورئيس وفد المؤتمر الوزير المصري المحجوب .

فبعد لحظات من الصمت سادت القاعة بعد دخول الرئيس صـــدام ، تعرفنا على صوت عبد الله فاضل وزير الأوقاف العراقـــي يتحـــدث دون أن نراه ، حيث لم يذهب إلى منصة المتحدثين ، ولـــم يقـــف وهـــو يتحـــدث ،

واكتشفنا أنه يتحدث وهو جالس بيننا في الصف الأول ، وأمام الرئيس صدام !! وبعد أن انتهت كلمة الوزير العراقي ، توجه وزير الأوقاف المصري ــ ورئيس المؤتمر ــ إلى منصة المتحدثين ، وألقى كلمة الوفد الرسمية ، حيث نقل للرئيس العراقي فيها تحيات شقيقه الرئيس المصري ...

وتوالت بعد ذلك كلمات من بعض الحضور ؛ فقد تحدث فضيلة المفتي الشيخ الدكتور سيد طنطاوي بهدوئه المعهود واتزانه ... ، إلا أنه عندما توجه لإلقاء كلمته ، ولأن أحدا لم يقدمه قبل أن يتحدث ، تدارك الأمر واضطر إلى التوقف لتقديم نفسه ، وذلك عندما لاحظ علامات استفهام مرسومة على بعض الوجوه . ثم تبعه آخرون للحديث على المنصة ... ، حتى تحدث الرئيس الأسبق للسودان سوار الذهب ، وليته ما تحدث ، فقد احترمته واحترمت موقفه من قبل أن أراه أو أسمعه في تلك اللحظات ، ولكنه ، وهو هنا يتحدث عن حرب العراق لإيران مطلقا عليها اسم "القادسية الجديدة" ... ، وأنها أول معركة ينتصر فيها المسلمون بعد موقعة حطين !! ... فأنا ــ وربما يتفق معي كثيرون ــ نختلف مع رأي سوار الذهب فيما يتعلق بهذه الحرب والذي سبق ذكره ...

ــ الانفعال وبداية الأزمة

أخذت القلم ، وكتبت لرئيس المؤتمر وزير الأوقاف المصري أسأله إذا كان من الممكن أن أطلب من الرئيس صدام الإفراج عن الأسرى الإيرانيين ، ووضعت في نهاية هذا التساؤل علامتي استفهام ومثلهما للتعجب ... ، ولكل حرف وعلامة في هذه الجملة دلالتها .

واستدرت للجندي الواقف فوق رأسي (والذي لــم أتبــين رتبتــه) ، وأعطيته الورقة بعد أن طويتها ، وحددت اسم المرسل إليه واسم المرســل ، طالبة من هذا الجندي أن يعطيها لوزير الأوقاف المصري والذي يجلس فــي الصف الأمامي بجوار الوزير العراقي عبد الله فضل ...

إيه ده ؟

ـــ هل نسيت أين أنا في هذه اللحظة ؟؟

ـــ ربما !! ...

فإن هذا التصرف ، وهو تصرف طبيعي جدا ومقبول ومستساغ فــي بل ومطلوب ونشجعه من الطلبة في قاعات الدراسة ، بيتي ، نعم ، بل وفــي بعض المؤتمرات أيضا ، ممكن ، إلا أنه لايمكن استساغته في لقاء مع رئيس دولة ،حتى ولو كان اللقاء مفتوحا ويسمح لأي من الحاضرين بالحديث ...

ربما ـــ لاشعوريا ـــ ساورني هذا الإحساس ، في العقــل البــاطن . فالملاحظ ، أنه لم يخطط لهذه الجلسة قبل الذهاب لمقابلة صدام ، ولــم يكــن بالطبع مدرجا أسماء محددة للحديث في هذا اللقاء، ولا ترتيب للمتحدثين ...، بل وحتى اللقاء نفسه لم يكن في الحسبان وكان كل المتوقع مــن صـــدام أن يفتتح هذا المؤتمر في اليوم الأول لانعقاد الجلسات ولا أكثر من ذلك وهو ما لم يحدث .

وقد استثارتني كلمة الرئيس سوار الذهب وغيره .

وكتبت هذه الكلمات لرئيس المؤتمر منتظرة منه الرد !!

كيف فكرت في ذلك ؟؟

لا أدري !!

وتلاحقت الأحداث ...

ـ لغة الإشارة ، ودعوة للحديث من صدام

بعد أن سلمت الجندي الورقة ، واستدرت ، إذا بي أرى الرئيس صدام وهو ينظر إلي ويشير بيده داعيا لي للحديث ... ، وتكررت الإشارة ، وصدام ينظر تجاهي ، وكذبت عيني مرتين ، بل بدأت أبحث في الصفوف الأمامية عن الشخص الذي يطلب منه صدام التوجه إلى المنصة للحديث ، ولكن الجميع سكون ، ولا شاردة تشير إلى شخص بعينه ... ، وأكدت لي صديقتي الحاجة زهيرة ما كذبته عيناي بأنني المقصودة بتلك الإشارة .

وبلغة الإشارة كذلك ، وبوضع أصابع اليد اليمنى مضمومة فوق الصدر مرتين متتاليتين ، وبهزتين من الرأس وحركة سريعة من الشفتين ، سألت الرئيس صدام : "أنا؟"

وبإيماءة وإشارة من الرأس ،

أجاب الرئيس صدام :

"نعم"...

وأسقط في يدي !!

- فهل في مقدوري هنا أن أنتظر وصول رسالتي لرئيس المؤتمر ويأتيني الجندي بموافقته ؟
- بل وحتى ، هل يمكن لهذا الجندي الذي خلفي أن يتحرك مـن مكانه ويتجه وهو في حضرة رئيس دولته لكي يسلم "ورقـة" ، حتى لو كانت هذه الورقة مرسلة لرئيس المؤتمر ؟؟
- وهل أطلب من الرئيس صدام الانتظار حتى يأذن لـي رئـيس المؤتمر بالكلام ؟
- وهل يمكن أن أرفض الحديث وقد دعاني لذلك رئيس دولة نحن في ضيافتها متعللة بأي سبب ؟ ولن أعجز بطبيعة الحال عـن العثور على مبرر يعزز اعتذاري عن الحديث ، وقد تكلم قبلي قمم وشوامخ في العالم الإسلامي ... ، ولكنها فرصة لتحريـك الركود الذي عاشته العراق وإيران بخصوص تبادل الأسـرى بعد وقف القتال ...
- هل يمكن أن أتناغم مع من هللوا للعراق ولـرئيس العـراق ، والذين يصورون هذه الحرب بأنها "انتصار في أشرف معركـة خاضها المسلمون" ؟؟
- باختصار ، هل يمكن أن أكون غير نفسي ؟؟
- وهل يمكن أن أخالف ضميري وقناعتي الشخصية بالنسبة لكل ما حدث لأطفال ونساء وشيوخ وشباب على كـلا الجـانبين ، والكاسب منهما خسران ؟؟
- ألا ينطبق على المعسكرين قول رسول الإنسـانية أن "القاتـل والمقتول في النار" ؟

- ألا يعرف أحد منهم هذا الحديث فينبه مشعلي الفتنة بين الشقيقين ؟؟

كان عليّ إذن أن ألبي الدعوة ، وأقوم من مكاني ، وأتوجه إلى منصة المتحدثين ...

ـ لحظات كأنها دهر

قمت من مقعدي فعلا ، وخرجت من الصف ، ونزلت درجات لا يصل عددها إلى عشر ، وتوجهت إلى منصة المتحدثين والتي تبعد عن مكان الرئيس صدام بما لا يزيد عن ثلاثة أمتار ...

حدث كل هذا في حوالي دقيقة واحدة ، وربما أقل ، ولكنها مرت علي وكأنها دهر !!

يا الله !! كم هي طويلة وصعبة تلك الثواني التي مرت عليّ ، قبل أن أقف خلف الميكروفون متخذة قراري !!

خلف منصة المتحدثين ، وقفت أمام الميكروفون ... بكل مكوناتي ، التربوية ، والدينية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية ، والمهنية ...

وتحدثت ...

ولا أتذكر كيف بدأت حديثي ... ، هل بدأت بإلقاء السلام ؟ أم هل سميت قبل أن أبدأ ؟

صعب أن أتذكر ما بدأت به !!

ولكن ، ما أذكره جيدا ، هو أنني أشرت إلى ما قلته في جلسة الأمس الختامية بخصوص إرسال برقية إلى الجانب الإيراني ، وما وصل إليه المؤتمرون الحضور بخصوص البرقية المزمع إرسالها ، ثم قلت ما معناه إنني أتحدث باسم الزوجة والأم والأخت والإبنة ، وأنني أنتهز فرصة وجودنا مع الرئيس صدام لكي أطلب منه الإفراج عن الأسرى الإيرانيين وعدم الانتظار حتى يقوم الإيرانيون بالإفراج عن الأسرى العراقيين .

ـ رد فعل سلبي من القاعة

تكهرب الجو !!

وصمت الجميع ...

لقد "نزل عليهم سهم الله" ...

وكأن قنبلة ألقيت في القاعة !!

وتعجبت بيني وبين نفسي ، عندما قارنت بين تصفيق الأمس عندما قلت بأنني سأطالب المسئولين الإيرانيين بالإفراج عن الأسرى العراقيين ، وبين هذا الصمت الرهيب الذي يوحي بالموت ، والذي قابل أعضاء المؤتمر نفسه طلبي من الرئيس صدام بالإفراج عن الأسرى الإيرانيين .

ـ ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين

عزيزي القارىء

إنها ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين الذي يغلب على معاملاتنا بالنسبة لأمور كثيرة ، بينما ديننا الحنيف يطالبنا بالعدل والمساواة !!

أو ــ ربما ــ هو موقف مبيت من الحاضرين لمساندة العراق ضــد إيران !!

أو ــ ربما أيضا ــ هو خوف من قول كلمة حق أمام حاكم اتهمــوه كثيرا بالعنف الدموي !!

أو ، ربما يمكن تفسير رد الفعل هذا على ضوء ما أفصح عنه حديث الدكتور المحجــوب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فيمــا بعد ، عندما تقابلنا في الفندق ، والذي سيأتي ذكره في موضعه .

أو أيضا ، ما عبر عنه الدكتور صوفي أبو طالب بعد ذلــك عنــدما تقابلنا في مكتب الدكتور عميد كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، والــذي سنذكره في حينه .

أو ما قاله لي فيما بعد بعض زملاء ممن حضروا معنا هذا اللقاء مع صدام بأنه كان من المفروض أن أطالب بالإفراج عن "عــدد مــن الأسرى" وليس الإفراج عن "الأسرى" ... يا ســلام !! ، لمــاذا لــم يعلقوا ويعترضوا على ما قلته بخصوص الأسرى العــراقيين لــدى إيران ؟؟ وحتى ، هل أنا طالبت بالإفراج عن "كل الأسرى" ؟ ألا يعد ذلك عدم فهم لدلالة الألفاظ ؟ هل إذا قلت شربت الماء يعنــي أننــي شربته كله ؟ ...

أو ، أو ، أو ...

وأترك للقارىء تبني أي من هذه الأراء المختلفــة بوجهــات النظــر المتباينة ... ، أو أي رأي آخر يــتلاءم مــع أفكــاره الشخصــية ، وأخلاقه ، ومبادئه ...

المهم ، هو أنني لم أتوقف عند هذا الحد ، بل كان لابد مـن تعزيـز طلبي بما يؤيده ـــ ولو مت دونه ـــ فلن أتراجع عن موقفي ، خصوصا وقـد رأيت أن كل الحاضرين ضده ، ومن بين هؤلاء "علية القوم" !!

فذكرت أن الأطفال الإيرانيين لا يفهمون معنى الحرب ، وأنهـم لـم يحملوا السـلاح ولم يدخلوا هذه الحرب اختيارا ، فهي مجرد لعبـة بالنسـبة لهم ، وأن الأكبر منهم خاضوا هذه الحرب "الغبية" إرضاء لأولي الأمر كمـا هو الحال بالنسبة لمن دخلوا الحرب من العراقيين ...

ثم ضربت مثالا لذلك الجندي الذي ألقى القنبلة الذرية على نجـازاكي وهيروشيما في اليابان عام ١٩٤٥م إبان الحرب العالمية الثانيـة ، وكانـت القناة الثانية الفرنسية (Antenne 2) قد استضافته في بدايـة الثمانينيـات فـي برنامج خاص إحياء لذكرى هذه الجريمة اللاإنسانية ، وقد انتهـت سـنوات الخدمة بالنسبة لهذا الجندي . فبأسلوب المواجهة ، استضافت القناة مع هـذا الجندي راهبة يابانية (تنصرت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية) وكانت هي الوحيدة التي نجت في أسرتها من هذا الاعتداء الوحشي على اليابان . وفـي ختام الحوار بين المذيع وضيفيه ، وجه المحاور سؤالا لهذا الطيار عما يمكن أن يفعله وقد عاش هذه التجربة في حالة لو طلب منه مرة أخرى إلقاء قنبلـة ذرية ... ، وكانت إجابته : "نعم ، فأنا عبد المأمور" !! وعندما سأل المحاور الراهبة التي يستضيفها في الاستوديو عن رأيها في هذا الرد ، كانت إجابتهـا موضوعية ولا تختلف كثيرا عن رأي الجندي ، بالرغم من أنه كان سببا في مقتل كل أفراد أسرتها وذويها وتدمير أرضها ...

ـ استطراد

نعم ، فقد سمح لي قرب مكاني من الكرسي الذي يجلس عليه صـــدام في القاعة التي اجتمعنا معه فيها أن أستمر وأستطرد وأوضح للجلوس بوجـــه خاص ما أعنيه ، إذ كنت على ثقة باقتناع صدام بما أقول ، حيـــث لا يبعـــد الرئيس صدام في مقعده أكثر من ثلاثة أمتار عن منصة المتحـــدثين ، كمـــا سمح لي بالاستمرار في الحديث أنه كان منتبها لكل كلمة أقولهـــا ، واضـــعا سبابة يده اليسرى على خده الأيسر ، وإبهام اليد نفسها تحت ذقنه ، وبقلم في يده اليمنى يخط كلمات في ورقة موجودة أمامه ، ونظرتـــه تشـــجعني علـــى الاستمرار وكأنه يقول "سيبك من رفض بعضهم لرأيك ، واســـتمري وقـــولي كل ما تريدين فسوف ألبي لك طلبك[1] ...

المهم ، أنني قلت في كلمتي بعد ذلك : "ما دمتم تقولـــون إنكـــم قـــد انتصرتم في هذه الحرب ، وأن القتال قد توقف[2] . وأسوة بالرســـول عليـــه الصلاة والسلام عندما قال كلمته المشهورة للأسرى بعد واحدة من الغـــزوات التي سجلت انتصارا للمسلمين على الكفار الذين كانوا يخشون العقاب ، فهو "أخ كريم وابن أخ كريم" ، ولكنهم لا يدرون ما الرسول فاعل بهـــم ، فكـــان رده (عليه الصلاة والسلام) بكلمته الرائعة : "اذهبوا فأنتم الطلقـــاء" . كـــذلك ذكرته والحاضرين ونفسي بقول نبينا الكريم (صلوات الله وسلامه عليه) مـــا معناه "خيركم من بدأ بالسلام" ، وقلت للرئيس صدام إن "المبـــادرة بـــإطلاق الأسرى يجب أن تكون من العراق وقد بدأت هي الحرب" .

---

(1) وهذا يؤكد ما ندرسه في الإعلام بأن الاتصال الشخصي يمكن أن يساعد المتلقي كثيرا في اتخاذ قـــرار فوري .

(2) بالرغم من أن الشواهد تقول غير ذلك ، حيث جميع من قابلناهم من العراقيين داخل أروقة هذا المؤتمر يرتدون البزة العسكرية ، حتى وزير الأوقاف !!

هكذا ، كان لا بد من وضع الخطوط واضحة لتدعيم طلبي .

وسلمت .

وتركت الميكروفون .

ونزلت .

وبدأت أصعد الدرجات في طريق للوصول إلى مكــاني فــي آخـــر القاعة .

— *يا إلهي !*

— ما الداعي لكل هذا التجهم الذي أقرأه على وجوه من معي في القاعة ؟

— لماذا كل هذا السكون الرهيب ؟

— هل هذا يمهد لهبوب عاصفة ؟

— ما السر الذي يمكن أن يفسر هذه "الرسالة" التي قرأتها فــي ردود الأفعال هذه على كلمتي ؟

توجهت إلى مكاني ، وأنا في حيرة من أمري :

- هل قلت كفرا يتسبب في كل هذا التجهم والخرس من الحضور فــي القاعة ؟؟
- ماذا جرى ويستوجب كل هذا التوتر الذي ساد الجميع ؟؟
- لماذا ساد الرعب كل الحضرين ؟؟

- ألا يتذكر هؤلاء أنه بعد أن بايع المسلمون أبا بكر – رضي الله عنه – خليفة للمسلمين ، قال لهم : "أما بعد ، فقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني ..." ؟
- وها هو ثاني الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يخطب في الناس بعد توليه الخلافة قائلا : " أيها الناس ، من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه" ؟

والمراد الذي نقصده من ذكر هذين الموقفين ، هو أن من حقنا – بوصفنا مسلمين – أن يراجع بعضنا بعضا ، مهما بلغت أقدارنا – فهذا حق بالنسبة لطرف ويجب أن يحصل عليه وواجب بالنسبة للآخر عليه أن يؤديه – ولكن ، دون أن يكون في ذلك أي مساس بالاحترام الشخصي المفترض بين الطرفين . ومن هنا ، فإننا لا نتجاوز احترامنا لا لشخص الرئيس صدام ، ولا لمكانته ، حين اعترضنا على بعض مواقفه .

فالمراجعة – في حد ذاتها – هي أمانة نحملها جميعا ، و"صديقي ، هو من أهداني عيوبي" كما قال سيدنا عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين ...

وجرأة صدام التي أخذت عليه في بعض مواقف ، نتفق هنا مع تفسير الدكتور أحمد المجدوب لها (آفاق عربية ، العدد ٦٥٣) ، بأنها لم تكن صفة أصيلة فيه ، وإنما هي انعكاس لخوف وجبن أعوانه ، كما نتفق معه أيضا في أن الأتباع من المتملقين – وهم في العادة ذيول خائبة – يغذون لدى الطاغية الميل إلى الاستبداد ويزينون له الفساد من أجل أن يتغاضى عن فسادهم ، ويشجعونه باستماتة على أن يتشبث بالحكم من أجل أن يواصلوا

نهبهم للمال العام ، والتسلط على مقدرات الناس وحرمانهم من حقوقهم وقهرهم حتى لا يفكروا في مجرد التململ أو الشكوى مما يعانونه من فقر وبطالة وحرمان من أبسط الحاجات .

ـ "*كفى عنادا*" : هذا ماقلته للرئيس صدام !

بعد الانتهاء من مداخلتي ، توجهت إلى مكاني في نهاية القاعة بجوار صديقتي الحاجة زهيرة ، وسألتها :

ـ *ماذا حدث ؟*

والإجابة صدمتني :

ـ *كلامك كان كويس جدا ، ولكن تقولي لصدام "كفي عنادا" ؟*

ـ *"أنا قلت كده" ؟! ، "معقول" ؟!*

ـ اختزلت و"جبتها م الآخر"

يا عزيزتي ، أنا كنت أعني أنه من الأفضل عدم انتظار الرد "الإيجابي" من الجانب الإيراني على البرقية المزمع إرسالها ـ أو التي كانت قد أرسلت فعلا ـ فقد كنا نرى أن على العراق اتخاذ المبادرة بإطلاق الأسرى ؛ والمهم في الأمر من وجهة نظرنا ، هو أن يتم تبادل الأسرى ، ولا داعي لانتظار أي معسكر من المعسكرين يجب أن يبادر قبل الآخر باتخاذ الخطوة الأولى ، ولكن يبدو أنني اختصرت الطريق ، و"جبتها م الآخر" على حد تعبير بعض الشباب في مصر ، فقلت "كفى عنادا" !

وربما يعرفني من استمع لي وأنا أتحدث ، أو من يقرأ لي ما أكتب قبل الطباعة ، حيث تسبقني دائما أفكاري ، فيقفز كلامي مختزلا حروفا من

كلمات وكلمات من جمل ، بل وجملا من فقرات ... ، لذلك أراجع ما أكتب عدة مرات ، وأحيانا أطلب من زميل أو صديق أو من فرد في الأسرة قراءة ما أكتب حتى لا أقع في مثل هذا السهو الذي قد يقلب المعنى المقصود ، عندما تختفي — مثلا — "لا النافية" من جملة أريد نفيها ، وأحاول مع أبنائي الطلبة — بعد أن نبهني الصديق حمدي الكنيسي رئيس الإذاعة السابق في إحدى الندوات بأن السرعة التي أتحدث بها تجعل من الصعب متابعة ما أقول — ولمست ذلك بنفسي في برنامج سهرة استضافتني فيه إذاعة صوت العرب مع الزميل الدكتور السيد عليوة وعندما استمعت للتسجيل وجدت من الصعب متابعة الحديث ، فأنا "آكل" بعض الكلمات ، وأقفز على بعض الأفكار ... ؛ لذلك حاولت بعد ذلك أن أحاضر طلبتي أحيانا بالسرعة "الإملائية"[1] ، وأعني بها الحديث ببطء ، بالرغم مما تسببه هذه الطريقة من ملل يصرف بعض المستمعين عما يقال ، كما أنها تكبلني بقيود أراها تحد من انطلاق أفكاري على سجيتها ، بل ومن الممكن أن أتعثر في اقتحام الموضوع الذي أتحدث فيه وأن أرجع إليه ، خصوصا إذا قوطعت وأنا أتحدث ، مما يتسبب في خروجي عن سجيتي ، وطبيعتي التي تشبه أخلاقيات "بنت البلد" بكل العفوية التي تفكر وتتحدث بها ، والتي تتسم بالتلقائية ، وعدم "تزويق الأفكار ، إلا أنني أعترف بأن هذه الطريقة كانت علاجا ناجعا ، فقد سمحت لي بصياغة جملة كاملة !

وبالرغم من أن هذا الأسلوب يسيء لصاحبه ، حيث يغلب على الناس تغليف ما يقولون في ورق "السوليفان" الملون ، ليس باللون الذي

(1) كانت السرعة الإملائية تستخدم في بث الأخبار المذاعة بالراديو إلى سفاراتنا في الخارج حتى يمكن كتابتها .

يفضله القائم بالاتصال ، بل باللون الذي يتصوره هذا القائم بالاتصال ملائما للمتلقي ، والذي يعد ــ من وجهة نظرنا الخاصة ــ نوعا من النفاق الاجتماعي ، وأعترف بأنني لا أجيد هذا الأسلوب المنمق ، وهذا يؤخذ عليّ ، إذ يراه كثيرون عيبا في . ولكن ، أعترف هنا أيضا بأنني لا أعرف متى ، ولا كيف ، يمكن التخلص من هذا "العيب" !! ، بعد أن فات الأوان ، خصوصا وأنا لا أحكم عليه بأنه عيب !!

قناعة ذاتية قد يختلف آخرون معي بخصوصها . ولكن ، أرجع من يريد مزيدا من الفهم ، إلى ما جاء ذكره بخصوص نظرية التل الجليدي في الاتصال ، والتي جاء ذكرها في الكتاب الذي أصّلنا فيه لعلم الاجتماع الإعلامي .

ونعود للواقعة مرة أخرى ... ،

ومازلنا في القصر مع الرئيس صدام ...

لقطة سادسة : الإفراج عن عدد من الأسرى مساو لعددنا

ــ الشيخ عبد المنعم عمر وانفراج الأزمة

اعتلى منصة الحديث بعدي أستاذ وقور ، هو الشيخ عبد المنعم عمر (رحمه الله) . وإلى جانب بعض الموضوعات الهامشية ، انصب حديث فضيلته على ضرورة الإفراج عن الأسرى فور انتهاء الحرب ، ثم أضاف أنه يؤيد ما قلته عندما تحدثت قبله بأهمية الإفراج عن الأسرى الإيرانيين ، وعدم انتظار رد الفعل الإيراني على البرقية المزمع إرسالها باسم أعضاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية للبت في هذا الموضوع .

ومن الطرائف — المضحكات المبكيات — في هذا المؤتمر ، ورقة وصلت الشيخ عبد المنعم عمر وهو يتحدث على المنصة ؛ وهنا ، توقف فضيلته قليلا عن الاستمرار في الحديث للاطلاع على مضمون تلك الورقة التي وصلته ، ثم رأيناه يرفع رأسه عن هذه الورقة موجها حديثه للرئيس صدام قائلا :

- "ياريس ، بيقولوا لي أبطل ياريس " !

ضحكت ...

وضجت القاعة بضحك وضع حدا للتوتر ، وبدا أن الأزمة التي عاشها الجميع بسبب كلمتي قد بدأت تنفرج ...

مبتسما ، علق الرئيس صدام قائلاً ومشيرا بيده للدكتور عبد المنعم عمر :

- "لا ، تفضل أكمل"

وأكمل الشيخ الجليل كلامه .

وبعد أن انهى الشيخ عبد المنعم عمر حديثه ، وألقى السلام ، نزل من فوق منبر الخطابة ، وتوجه إلى المنصة الرئيسية التي يجلس عليها صدام — لتحيته بطبيعة الحال ، وهو ما لم أقم به — إلا أن بعض الحرس الذي كان محيطا بصدام حاولوا منع الشيخ عبد المنعم من الاقتراب من الرئيس ، فما كان من صدام إلا أن ينهض من مكانه وينزل من على المنصة قائلا "أنا اللي حانزل أسلم عليك" ، فقد كان الشيخ عبد المنعم عمر وقورا ومسنا ، ووجهه كان يفيض نورا ينبيء عن طوية ناصعة البياض والنقاء ، جعل الله الجنة مثواه ...

نزل صدام من على المنصة ، وتقدم من الشيخ عبد المنعم ، واحتضنه معانقا ، وقبله ، ثم رجع إلى مكانه[1] ...

كل ذلك ، تم وسط تصفيق حاد من جميع الحضور ، وانفجرت أسارير بعضهم ، إلا أن بعضا من الحضور ما زال متوجسا وخائفا من أثر كلمات الشيخ عبد المنعم وكلماتي ، بالرغم من أن كلا منا — وخصوصا شيخنا الجليل (وما أحوجنا إلى أمثاله) — قد عبّر عن أفكاره بهدوء شديد ، ورزانة ، وقوة في الحجة ... ، إلا أن بعض الحاضرين متخوفون ، فلم يغب عنهم — ربما — رد فعل الرئيس صدام السلبي والمتوقع لكل من يتجرأ ويختلف معه في الرأي ... ، ولكنه هنا لم يكن مختلفا معنا في الرأي والدليل موقفه من طلبنا ...

— *"الآن ، أنا متأكدة أننا انتصرنا ياحاجة زهيرة !"*

هكذا قلت لجارتي ...

وبدأت بعض صيحات تتردد من بعض الحاضرين في القاعة قائلة :

— *"ياريس ، إحنا جايين علشان نسمعك انت ياريس"* ...

- لا تعليق !

— الرئيس صدام يتحدث ويصدر قراره بالإفراج عن عدد من الأسرى مساو لعددنا

بدأ الرئيس حديثه شاكرا كل الحاضرين ، وخص من تكلموا ، وفي كلمته أمام المؤتمر ، قال صدام : "في بلدكم العراق شرعت قوانين ...، حتى

(1) كانت هذه هي المرة الوحيدة في هذا اللقاء التي يقوم فيها الرئيس صدام من مقعده وينزل لتحية متحدث من المشاركين في المؤتمر .

المجنون في العراق له راتب ، والأرملة واليتيم والعاجز ... ، ونعتقـد أنـه منهج يعبر عن روح الدين الإسلامي ..."، ثم أبدى أسفه لبعض مواقف مـن الجانب الإيراني بخصوص تبادل الأسرى ، وأنه ، وأنـه ... ، ثـم قـال ، بالنص وبالحرف :

"إلا أنه تلبية لهذه الدعوة الكريمة منكم ، فقد قررت الإفراج عن عدد من الأسرى مساو لعددكم ..."

وكان عدد من أفرج عنهم من الأسرى الإيرانيين بسبب هـذا اللقـاء ٢٥٥ أسير !!!

- صحوة ضمير ؟؟
- ربما .
- مقتنعا بما يقول ؟؟
- بدون شك .

ـ الحق يعلو

المهم ، دوت القاعة بتصفيق مزلزل وحاد منقطع النظيـر ، بعـد أن تصور بعضنا أن هذا الموقف سوف تقطع فيه رقاب !!

- لماذا الخوف ؟
- لا أدري .

وانتهى اللقاء الرسمي ، وبدأنا في الخروج من القاعة ...

ـ أحاديث جانبية مع الرئيس صدام

من الباب الأمامي الذي على يمين أعضاء الوفد الجلوس بالقاعــة ، وهو الباب الذي دخل منه الرئيس صدام في بداية الجلسة ، كان خروجنا من القاعة بعد أن كان دخولنا من الباب الخلفي .

وبهذا الأسلوب في الخروج ، مر كل واحد منا بالرئيس صدام الــذي وقف محاطا بحاشيته بالقرب من باب الخروج لتحية كل واحــد والســــلام عليه ... ، "بروتوكول" ...

وانتظرت وزميلتي حتى النهاية ، وقدمتها عليّ وأنا خلفها .

وسلمت الحاجة زهيرة على الرئيس صدام وصافحته قائلة له برقتهــا المعهودة وأناقتها في الحديث :

ـ *" بارك الله فيك"* .

وكان رده :

ـ *"بل بارك الله في المرأة المصرية"* .

فاطمأن قلبي .

وجاء الدور علي ، وصافحت الرئيس صدام قائلة له :

ـ *أعتذر إذا كانت قد صدرت مني بعض كلمات ...*

ولم يتركني أكمل الجملة ، بل بادرني بقوله :

ـ *لا تعتذري ، أنا اللي أشــكرك ، ولكن انت عارفة الإيــرانيين ، ...*

وحاولت سحب يدي من يده ، إلا أنه استبقاها في يده طــويلا حتــى انتهى من كل ما كان يود قوله ، مبررا موقفه السلبي بخصوص الإفراج عن الأسرى برفض المسئولين الإيرانيين استلام أسراهم !!

اللهم فك أسره الذي هو فيه حاليا ، وفك أسر كل من قدر له الوقـوع في يد لا ترحم ، آمين يارب العالمين .

ـــ محاولة لتفسير ما حدث

الآن ، دعونا نتساءل :

- هل حديث الأمس والذي طالبت فيه بإرسال برقية للجانب الإيراني نطالبه بالإفراج عن الأسرى العراقيين كان منقولا بالـدائرة المغلقـة وتابعه صدام شخصيا ؟
- أم هل نقل له واحد من وزرائه أو حاشيته هذه الواقعة ؟؟
- هل كان صدام من الشفافية ما جعله يستخلص من كلمـاتي بـالأمس أنني لن أسكت أمامه في اللقاء الذي حضرناه معه ؟ وأننـي سـوف أطالبه بالإفراج عن الأسرى الإيرانيين لأهمية ذلـك فـي تحريـك موضوع تبادل الأسرى بين إيران والعراق من جديد ، والذي فشـلت فيه هيئة الصليب الأحمر ؟
- هل وقوف "الجندي" ورائي في القاعة كان مخططا لتحديـد مكـاني بوضوح ؟
- هل كان هذا سببا في قبول الجندي الورقـة التـي أعطتـه إياهـا لتوصيلها لرئيس المؤتمر ؟
- هل انتبه الرئيس صدام لرغبتي في الحديث من الورقة التي أعطيتها للجندي ولحواري والذي استغرق لحظات مع هذا الجندي ؟

أسئلة كثيرة ... ، فسرتها يوما بأن موضوع الأسرى الذي فجرته في بغداد كان أشبه بخصام بين زوجين ، كل منهما تأخذه العزة و"تلسعه" كرامته

في أن يبدأ هو لكي يصالح رفيقه ، إلى أن يأتي "ابن الحلال" ويتدخل للصلح بينهما ، فيقول لهذا "علشان خاطري المرة دي" ، ثم يقـول للآخـر "والنبـي المرة دي سماح" ...

فالكل ، ليس في "شجاعة" الرئيس السابق محمد أنور السـادات فـي الإفصاح عن رغبته في أن يسود السلام بعد عدة حروب ، حتى ولو كان هذا السلام الذي ينشده لن يتحقق إلا بالذهاب إلى "الكينست الإسـرائيلي" ، ولـو خسر في ذلك بعض ومواطنيه وحلفائه ...

وكان الرئيس صدام في "عرض شكة دبوس" ، لفتح الحوار من جديد بينه وبين الجانب الإيراني — لوضع حد لحالة "اللاحـرب واللاسـلم" بـين البلدين ، ربما لكي يغلق هذا الباب قبل أن يغزو الكويت (وربنا يسامحني إذا كان هذا التصور حقيقيا) ، فإنه "ما صدق" — كما نقـول فـي مصـر — أن فتحت الباب بالحديث عن الأسرى . ولأنه داهية ، فهو يعرف جيدا أن إيران سوف تستجيب لهذه المبادرة بالإفراج عن "الأسرى" العـراقيين ، خصوصـا وقد قدمت إيران من قبل كثيرا من المبادرات بخصوص هذا الشأن ، وسوف نشير إلى ذلك فيما بعد .

— سفر وفد من أعضاء المؤتمر للفاتيكان

- هل اقتنع صدام بكلامي ؟؟
- ولم لا ؟ إذا كان المتحدث يستطيع أن يقنع المتلقي هنا ويحصل منـه على استجابة معلنة ، واستجابة هي هنا فورية ... ، اسـتجابة عبـر عنها الدكتور المحجوب رئيس المؤتمر بقوله "إن هذا المؤتمر نفـذت توصياته قبل انتهائه ، وأن هذا المؤتمر يكفيه فخرا الخـروج بهـذا

المكسب" ، فقد صدر قرار بالإفراج عن الأسرى في اليوم التالي للمؤتمر وقبل انتهاء جدول أعمال المؤتمر ... ، بل ، وطار الدكتور عبد المنعم النمر على رأس وفد إلى الفاتيكان لإطلاعه على توصيات المؤتمر وقراراته عن السلام !!

- فهل أهنت الرئيس صدام ؟
- حاشا الله ، فأنا لم أقل في هذا الموقف أي كلمة يمكن أن توصف بأنها إهانة لصدام . فإنه حتى جملة "كفى عنادا" ، والتي قيلت عفوا في حديثي ، ونسيتها تماما لأنها كانت في سياق محدد ، فإن الدكتور العدوي (وهو زميل في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومن المحلة الكبرى) أكد لي أنني قلتها دون شعور ، وعلق على ذلك بأنه لم يسمعني ، فإنه لم يتعرف ساعتها على صوتي الذي اختلفت نبراته ، وقال "لقد أنطقك الله" ، فقد نطقت هذه الجملة ـ لمن له في علم الدلالة ـ في صيغة "تمنّ ورجاء" بكل ما تحمله تلك الكلمتان من دلالات ، وبعيدا تماما عن الصيغة التي يمكن أن تقال بها إذا رغبنا استخدامها عند الزجر ـ مثلا ـ وهذا لا يحدث في مثل هذا الموقف . وللاستزادة ، اسألوا في ذلك علماء اللغة الدكتور كمال بشر وزملائه .

ـ أتينا ... رغم أنفنا

بعد عودتنا للفندق ، تشكلت جبهتان ؛ واحدة منهما سوف نتعرف على تفسير لموقفها فيما بعد ، وجبهة تؤيدني ، حيث عتب بعضهم على من

لم يحضر هذا اللقاء ــ لسبب أو لآخر ــ لأنه تقاعس بغيابه عــن حضــور اللقاء مع صدام ، عن فك أسر أسير عراقي .

وقال واحد منهم :

ــ *"لقد أثبنا ... رغم أنفنا ، لقد فاز كل منا بفك أسر واحــد مــن الأسرى الإيرانيين" ...*

ــ بل حوالي ثلاثة أسرى أيها الزميل العزيز إذا جمعنــا ــ علــى عدد الأسرى الذين أفرج عنهم الرئيس صدام ــ عدد الأسرى الذين أطلق الزعيم الروحي آية الله الخميني ســراحهم بعــد أن وصــلت أسراهم إلى إيران .

ومقابل هذه الجبهة التي ترى الجانب الإيجــابي فيمــا حــدث ، رأى آخرون أن هذا خروج عن المألوف ، وأنه توجــد "بروتوكــولات" محــددة ومرسومة ، واحترامها واتباعها من الأمور التي يجب الأخذ بها عند مقابلــة الرؤساء حتى وإن كانت غير مرسومة ... ، وسلام هنا عليك يا سيدنا عمــر يا خليفة المؤمنين ورضي الله عنك . هذه الفئــة ، ــ مــن وجهــة نظرنــا الخاصة ــ يؤثرون السلامة ، ويغضون الطرف ، وهم من ينطبــق علــيهم المقولة المصرية "يمشي جنب الحيط" ، هم فريــق "لا أرى ، لا أســمع ، لا أتكلم" ، بينما صاحبة هذه الكلمات من فريق "من رأى منكم منكرا فليغيــره" ، وكاتم الشهادة "فإنه آثم قلبه" ...

لقطة سابعة : في الفندق

ـــ ع الهوا مباشرة ورد فعل مصري في بغداد

بعد انتهاء هذا اللقاء مع صدام ، وعند العودة إلى فندق الرشيد ، وفي بهو الفندق ، فوجئت بشاب ينهض متجها إلي ، وباللهجة المصـــرية الحبيبـــة يسألني :

ـــ *"تسمحي لي أسلم عليك؟"*

مددت يدي مسلمة ، إلا أنه التقطها وانحنى يقبلهـــا ، فســـحبت يـــدي بسرعة ، واستغفرت ربي ، وسألته :

ـــ *"أنت تعرفني؟"*

قال :

ـــ *"طبعا ، لقد شاهدتك منذ قليل على شاشة التليفزيون العراقـــي وأنت تتحدثين مع الرئيس صدام"* .

وكانت مفاجأة لي ، فلم يكن أي من أعضاء المؤتمر يعرف أن اللقاء مع صدام كان يبث "ع الهوا" مباشرة .

جلست وهذا الشاب نتجاذب معا أطراف الحديث ، وعرفت منه أنـــه مهندس ويعمل حاليا في العراق ، وأنه كان مع أصدقاء له يمضـــون وقت فراغهم حول رقعة شطرنج يحركون قطعه المختلفة في أثنـــاء متابعتهم للنقل الحي الذي ينقله التليفزيون العراقي لوقائع هذه الجلســـة التاريخية لصدام مع أعضاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والذي عدد كبير من أعضائه من المصريين .

وقال لي إنه عندما بدأت أتحرك من مكاني ، وفي أثناء نزولي من السلم متوجهة لمنصة المتحدثين ، أطاح بظهر يده بقطع الشطرنج قائلا لمن معه :

ـ *"اسمعوا ، الست دي حتقول كلام مهم"* .

سألته :

ـ *" كيف جاءك هذا الإحساس و شعرت بذلك يا باشمهندس؟"*

وكانت إجابته :

ـ *" أحسست أنك ستذيعين خبرا عن حرب عالمية ثالثة"* .

ياربنا ! هل إلى هذا الحد يظهر على وجهي ما يعتمل داخلي من صراعات ؟؟ هل هذا نوع ودرجة من الشفافية أن يظهر الفرد ما يبطن ؟ وهل كانت ساعتها شفافية مني أم كانت من هذا الابن المغترب ؟ وما اسم هذا الشاب ؟ للأسف ، لا أتذكر اسمه ، ولكن ، كل ما يمكنني قوله بشأنه ، هو دعواتي له بكل توفيق وأن يكون قد رجع إلى وطنه الأم سالما غانما ، وأن يصله هذا الكتاب تحية مني ...

ـ دعوة للعشاء

بعد أن قررت في دخيلة نفسي منذ البارحة ألا أتناول أي طعام في الفندق ، حيث تأكد لي من أقوال بعض الحضور مقولة "اطعم الفم تستحي العين" ، وعلى مائدة الإفطار التي زاملني حولها الأستاذ حلمي البلك "رحمه الله" ، تناولت كوبا من القهوة بدون سكر ، وقد لفت هذا نظر زميلي وعلق على ذلك بأن اليوم طويل و"يجب أن أتناول إفطارا" ، لكن فعلا "نفسي كانت مسدودة" كما نقول في مصر ، وكيف أستسيغ لقمة يشترون بها وقوفنا إلى

جوارهم في بغيهم وطغيانهم ؟ وآثرت الصمت وعدم التفسير أو التعليق على ما قاله ...

وفي المساء ، ذهبت إلى مطعم الفندق ، وطلبت شايا بدون حليب أو سكر ، وتوجهت إلى باب الخروج للذهاب إلى غرفتي حتى تهدأ العاصفة ويتم التلاحم بيننا من جديد ، إلا أن صوت صديقتي الحاجة زهيرة وصلني يدعوني إلى العشاء معهم ، ورفضت ، وكررت الدعوة عدة مرات بأنها تريدني في أمر ضروري حتى قبلت ، وذهبت إلى المائدة التي تضمها وبعض أعضاء المؤتمر ، هي في مواجهتي وبعض الحاضرين على يمينها ويسارها أو أمامها وظهره لي ...

وبدأت الحاجة زهيرة بأسلوبها الرشيق والعذب تتحدث عن سيادة الوزير ، فقلت لها "لقد حضرت للجلوس معك ولا أريد الحديث عما حدث" ، إلا أنها كررت الحديث مرة أخرى ، واعترضت ، ومرة ثالثة حيث لاحظت من إشارة منها بيدها إلى أن الوزير على المائدة معنا ، فحاولت الانصراف قائلة :

— *"لو أعرف إن سيادتك موجود على المائدة ما حضرت"* .

فقال بأنه يريد أن يتحدث معي ، ثم قال إن ما قلته *"كان من الممكن أن يشيل ثلاثة من على الكرسي"* (ومن الصعب عليّ تخمين اسم الثالث المقصود هنا) ، وأن وجوده معي *في هذه اللحظة خير دليل على أنه "غير عاتب علي" ، وإن "احنا زمايل يا دكتورة"* .

وانفض السامر ...

ـ ماذا كان موقف الشارع العراقي ؟

شاركنا في المؤتمر الذي عقد في مدينة بغداد الطبيب الشيخ نعينـع ، والذي افتتح المؤتمر بتلاوة من آيات القرآن الكريم . وفي اليوم التـالي مـن لقائنا بصدام ، طلب الدكتور نعينع مني اصطحابه في زيـارة سـوق بغـداد لشراء هدية ذهبية للسيدة حرمه ، وقبلت ، فهي صحبة طيبة ، وسوف تكون فرصة بالنسبة لي أيضا للبحث عن "المن والسلوى" الذي أوصـاني بعـض أقربائي بشرائهما ، وشراء بعض من تمر العراق الأكثر شهرة على مستوى العالم .

وبدون حرس ولا رقابة ، خرجنا معا بعد صلاة المغرب ، الـدكتور نعينع وأنا . وفي الطريق ، استوقفتنا سيدة وحيتنا ، فقد عرفتني ، وكيـف لا تعرفني ؟ خصوصا وقد فهمت منها أنها كانت قد تابعت وقائع لقاء أعضـاء المؤتمر بالرئيس صدام ، وحجمي وثوبي يشيان بي ؟

هذه السيدة ـ والتي لا أعرف عنها هويتها أو ثقافتهـا أو أي شـيء آخر يخصها ـ بدأت تشكرني بحرارة على ما قلته للرئيس صـدام صـباح البارحة ، فذكرتها وأكدت لها على أنني طالبـت بـالإفراج عـن الأسـرى الإيرانيين !! فقالت :

ـ "نعم ، ولكن بالطبع إفراج العراق عن الأسرى الإيرانيين سـوف يترتب عليه إفراج إيران عن أسـرانا العراقيين الموجـودين فـي سـجون إيران" .

هكذا ، فهم الشارع العراقي ــ ممثلا في هذه السيدة التي كانت تبدو لنا بسيطة في مظهرها بعباءتها السوداء ــ وعاهدتها ساعتها بأن أواصل سعيي حتى أتحقق من إفراج إيران عن عدد من الأسرى العراقيين لن يقل عددهم بأي حال من الأحوال عن عدد الأسرى الإيرانيين المفرج عنهم من العراق ووصولهم إلى ذويهم ... وقد حدث ... ، وسوف نتكلم عن ذلك فيما بعد .

ــ أعضاء الوفد يؤدون صلاة الجمعة في مسجد الشهداء بأم الطبول

يوم الجمعة ، أصبت بوعكة منعتني من مرافقة أعضاء الوفد للذهاب لصلاة الجمعة في مسجد الشهداء بأم الطبول . وعندما عادوا إلى الفندق ، جاءتني الحاجة زهيرة تسأل عن درجة حرارتي ، وتخبرني بأن سيدات عراقيات ممن كن يؤدين صلاة الجمعة بالمسجد معهن قبلنها على أنها أنا ــ بالرغم من فروق عديدة بيننا ، فهي للحقيقة جميلة جدا ، وأقل حجما ، وأكثر رقة وأناقة مني ... وقد حدث هذا اللبس ــ ربما ــ بسبب جلوسنا أنا وهي متجاورتين في القاعة عندما كنا في هذا اللقاء مع صدام ، وارتبطنا أيضا نحن الاثنتين عند انتهاء هذا اللقاء عندما توجهنا لتحية صدام قبل الخروج من القاعة ، حيث سلمت هي عليه أولا وجاء دوري بعدها للسلام على صدام كما ذكرت آنفا ، ونعتقد أن الحوار الذي دار بين كل واحد من أعضاء الوفد وبين الرئيس صدام قبل الخروج من القاعة لم يتم بثه ع الهوا .

– زيارة العتبات المقدسة

بدأنا زياراتنا للتعرف على العراق بالاختيار ما بين مجموعتين ، إحداهما تتجه إلى الشمال من بغداد لزيارة سامراء (أو سُر من رأى) حيث توجد مئذنة مسجد شبيهة لزميلة لها في مسجد بن طولون في القاهرة (على بعد أمتار قليلة من مسجد السيدة زينب رضي الله عنها) ، وأخرى في المملكة العربية السعودية خاصة بمسجد ميقات بني حنيفة بالقرب من المدينة المنورة . أما المجموعة الأخرى فإنها تتجه إلى الجنوب من بغداد لزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء والكوفة ... واخترت زيارة العتبات المقدسة للجانب الروحاني الذي لا يخفى على أحد من زيارة هذه الأماكن ، والتي هي مقدسة من أشقائنا الشيعة .

وقد استقبلنا في أثناء هذه الزيارات بنثر الزهور على رؤوسنا من نوافذ بيوت العراقيين التي نمر من أمامها ؛ ولم لا ، وفي الوفد قمم إسلامية ، وقد أعدنا الحياة إلى قضية تبادل الأسرى بعد أن تجمدت فترة ، حيث تمر الدقيقة فيها وكأنها سنوات بالنسبة للأسرى المحتجزين في سجون العراق ، وأيضا بالنسبة لذويهم .

وقد كانت أماكن الزيارات تخلى تماما من زوارها لاستقبال أعضاء الوفد ومرافقينا حيث كان عددنا في هذه المجموعة لا يقل بحال من الأحوال عن ١٥٠ زائر من الوزراء والعلماء وأساتذة الجامعة والمفكرين ... على مستوى العالم .

ومن بين الأماكن التي زرناها ، منزل ستنا فاطمة الزهراء وسيدنا علي بن أبي طالب ، ودخلنا غرفة سيدنا الحسن والحسين ، رضي الله عنهم

جميعا وسلمت ديارهم من كل سوء . وبيدي ، لمست "الكتبية"[1] التي كان سيدنا الحسين وشقيقه سيدنا الحسن يضعان فيها المصحف الشريف ! ، فأنا ابنة أسرة جذورها ريفية ، وكانت أمي ــ رحمها الله ــ والتي حجت بيت الله وزارت رسوله عليه الصلاة والسلام تقسم أحيانا قائلة : "وحياة النبي اللي حطيت إيدي على شباكه" . بالطهارة قلبها هذه الأم العظيمة !

ومثلي ، مثل كثيرين غيري ، سمعنا كثيرا عن كربلاء ، والتي تتميز بعمارتها الإسلامية ؛ فالمآذن ذهبية تنعكس عليها أشعة الشمس ، ويصورها محمد الشطبي فيقول عنها إنها *"لوحة أزلية تزيد قدسية المدينة إجلالا واحتراما"* .

وتعرف كربلاء بأن بها مرقد الشهيد الإمام الحسين رضي الله عنه ، زينة شباب الجنة ، وسبط الرسول عليه أزكى الصلاة والسلام ، وأحب آل بيته الكرام إليه . كذلك فإن كربلاء أيضا مرقد عدد من الأبرار ــ رضوان الله عليهم جميعا ــ ممن قتلوا مع سيدنا الحسين في الموقعة الحزينة (في العاشر من شهر محرم عام ٦١هـ) ، والتي ذكراها تثير الأسى والمرارة والحزن في نفس كل مسلم .

وتعد كربلاء "العاصمة الدينية للشيعة" ، ويؤمها سنويا إخواننا الشيعة للاحتفال بذكرى استشهاد سيدنا الحسين رضي الله عنه .

وفي كربلاء بوجه خاص ، وفي يوم عاشوراء تحديدا ، وبالبكاء والنحيب والندم ، يستعيد أشقاؤنا الشيعة ما حدث في المعركة التي استشهد فيها سيدنا الحسين رضي الله عنه .

---

(1) هو مكان داخل الحائط شبيه بنافذة إلا أنها مسدودة ومخصصة لوضع الكتب ، وقد كانت منتشرة في بيوتنا في ريف مصر حتى وقت قريب ، ورأيناها في قصر أحد المشايخ في المملكة العربية السعودية .

ففي شوارع مدينة كربلاء ، ووسط حشود من أشـقائهم مـن أهـل الشيعة الذين كانوا يحضرون لكربلاء من إيران وغيرها فـي العاشـر مـن محرم في التقويم الهجري لاستعادة ذكرى مقتل الحسـين بوجـه خـاص ، اعتبارا لما حدث ، واستغفار على "مقتل" سيدنا الحسين رضي الله عنـه ، ـ وخصوصا من العراقيين ـ يستعيد إخواننا الشيعة هذه الذكرى بإعادة تمثيـل المعـركة التي استشهد فيها سيدنا الحسين ، مصورين مقتلـه ـ رضـي الله عنه ـ في مشهد تمثيلي دموي ، إذ يسيلون دماءهم بـل ودمـاء أطفـالهم ، ويولولون ، ويلطمون الخدود ، ويشقون الجيوب[1] ...، بينما نحتفل نحن فـي مصر بذكرى هذا اليوم بتناول نوع من الطعام (يعتمد في إعداده على القمـح والسكر واللبن... ، طبق "عاشورا" كما نقول باللهجة المصرية) . وقد عـاش العالم الإسلامي ذكرى استشهاد سيدنا الحسين رضي الله عنه بكل قسوة فـي العراق منذ أيام (يوم الإثنين أول مارس عام ٢٠٠٤م) ، بعد أن حرم العهـد البائد الشيعة من الاحتفال بهذه الذكرى لأكثر من عشرين عاما .

وما حدث في كربلاء هذا العام ، ذكرنا بلقطات تضمنها فـيلم مـن الأفلام التسجيلية باسم "سيف الإسلام" ، والفيلم إنتاج كندي عرضه التليفزيون الإسرائلي وسجله لنا صديق من العريش وشاهدناه منذ سنوات . ومنذ أكثـر من عشر سنوات ، استعنا بهذا الفيلم وسيلة من "وسائل الإيضاح" عند تدريس مادة الإعلام الدولي لطلبة الفرقة الرابعة بكلية الإعلام جامعة القاهـرة ، فهو من الأفلام المغرضة التي تشوه صورة الإسلام . وقد طلبت مني معدة برامج في إحدى القنوات التليفزيونية المصرية الخاصة أن أسمح لها بعرض لقطات

---

[1] وكل هذا منهي عنه . فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعاء الجاهلية" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من هذا الفيلم والتي تصور احتفال الشيعة بذكرى استشهاد سيدنا الحسين في برنامج بثته القناة في يوم هذه الذكرى عام ٢٠٠٣م ، وكانت هذه المعدة قد عرفت بموضوع هذا الفيلم من إحدى طالباتي ممن تخرجن بقسم الإذاعة وتعمل معها حاليا في هذه القناة الخاصة ... وطبعا وافقت ، وأحسست بسعادة لأن إحدى طالباتي ، وبد مرور أكثر من عشر سنوات ، تتذكر أشياء قدمتها لهم في محاضراتي ...

ويعرف مسجد الحسين رضي الله عنه ومرقد غيره من شهداء كربلاء الذين استشهدوا معه باسم "العتبات المقدسة" ، ويهتم الشيعة بهذه العتبات المقدسة ، فهي مزار ديني لهم . و يطلق الشيعة على مرقد الإمام الحسين اسم "الروضة الحسينية" ، تشبها ــ ربما ــ بالروضة النبوية المشرفة في مسجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه في المدينة المنورة . ووفقا لما يقوله محمد الشطبي ، يبلغ طول صحن هذا المسجد ٩٥ مترا ، وعرضه ٧٥ مترا ، وله عشرة أبواب مزينة . ويحيط بالروضة ١٦٥ ديوانا زينت جدرانها من الداخل والخارج بالفسيفساء ، وهي عبارة عن مقابر للسلاطين والملوك وكبار رجال الدين والعلماء ، ويتوسطها بناء الروضة الحسينية .

وأشهر أبواب مسجد سيدنا الحسين ــ رضي الله عنه ــ في كربلاء باب القبلة المطلي بالذهب والفضة . وحول "الحضرة المقدسة" رواق جميل تزينه نقوش بديعة من المرايا . وتعلو الروضة الحسينية قبة شاهقة العلو يبلغ ارتفاعها ٢٧ مترا ، وهذه القبة مغطاة من أسفلها إلى أعلاها بالذهب ، ويحيط بها ١٢ شباكا ، وعلى جانبها مئذنتان سامقتان ومكسوتان هما أيضا بالذهب الخالص . وعلى مرقد سيدنا الحسين وضع صندوق من الرخام

المطعم بالمينا والعاج ، وصندوق آخر من الزجاج ، وشباك فضي مطعم بالذهب تعلوه صفائح ذهبية مزخرفة ...

وعند زيارتنا لمسجد سيدنا الحسين رضي الله عنه ، وعندما اقتربنا من مرقده رضي الله عنه ، فوجئت بالحاجة زهيرة تستنجد بعالم مصري فاضل من علماء الأزهر ويحتل فيه منصبا مرموقا وكان معنا في هذه الزيارة ، وهو من مشاهير من يخطبون على المنابر ويتحدث ويكتب في وسائل الإعلام ، استنجدت به الصديقة العزيزة لأنها شاهدت عددا من أعضاء الوفد "يملسون" ، أو بأسلوب آخر يمسحون ، وهم يمرون بيدهم على القضبان التي تحيط بمرقد سيدنا الحسين ، ثم يمسحون بيدهم وجوههم !

فسألها فضيلة الشيخ : *"هم بيعملوا كده؟"*

فأجابت : *أيوه ! أنا شايفاهم بعنيه الإتنين !* " ،

فقال لها : *"طيب ، وأنا كمان"* ؛

وبدأ فضيلته يمر بيده على قضبان الضريح ويمسح بيده وجهه ، مرات ومرات ... !!

صدقني ، عزيزي القارئ ، لقد نسي معظمنا نفسه ، ونحن في هذه الحضرة الكريمة . وكما بكيت في أول مرة ذهبت فيها للحج ورأي أنوار جدة وأنا في الطائرة ، وكما بكت ابنتي آية هي أيضا في أول مرة تزور فيها البيت الحرام مكة المكرمة عندما طالعنا أنوار البيت الحرام شغفا وحبا ، وكما بكينا أنا وهي حزنا وكمدا وغضبا وثورة عند دخولنا مسجد قرطبة في إسبانيا والذي دنس بعد أن كان عزيزا ، فقد بكيت وبكى كثير منا ونحن في حضرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولم لا ؟ وهو سيد الشهداء ، سبط رسولنا الكريم ، والذي سالت دماؤه الزكية هو وصحبه في

كربلاء ، وكان ذلك ، وياللخزي والعار والأسى ، على أيدي مسلمين !! على أيدي عراقيين !! ثم نراهم في العراق يستعيدون هذه الذكرى – الأليمة – بتجسيد ما حدث ندما واستغفارا على مقتل زينة شباب أهل الجنة . ولكن "بعد إيه؟ " (كما يقول المثل في مصر... ، مع الفارق في التشبيه بطبيعة الحال) ، "بعد خراب مالطة" !!

- إنهم عراقيون ، اعتدوا يوما على أهل بيت النبوة .
- عراقيون ، خطب فيهم الحجاج بن يوسف يوما قائلا : "إني أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها" .
- عراقيون لم يراعوا حرمة جار .
- عراقيون ، حاربوا جيرانهم في إيران .
- عراقيون ، غزوا الكويت .
- عراقيون يسفكون دماء بعضهم ولا يخشون الله .
- ياللغدر وياللعار .
- ما كل هذا العنف الدموي الذي يغلفهم ؟
- من أي طينة نبت هؤلاء ؟
- هل ما يحدث في العراق حاليا عقاب من الله من جنس عملهم ؟
- اللهم لا شماتة !!
- فهم – مهما فعل السفهاء منهم – أخوة لنا وللإيرانيين وللكويتيين ... ،
- هم أشقاء لنا ندعو الله لهم أن يهديهم ويغفر لهم ويخرجهم من أزمتهم ويفرج كربهم .

ـــ مصريون يقيمون في العراق يحيطون بنا

عند انتهاء زيارة لنا لإحدى العتبات المقدسة ، وقبل أن تتحرك السيارات التي كانت تقلنا ، وحول الحافلة التي كنت بها وبعض الزملاء الأفاضل ، وكنت بجوار الدكتور فرهود رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، التف عدد من المصريين ممن يعملون في العراق حول الحافلة وكل يريد أن يحيينا ، فقد رأوا فينا مصر الأم والأب والولد وكل الأهل ـــ خصوصا ومعنا رموز إسلامية ـــ وحاول بعضهم الوصول إلينا داخل السيارة للحديث معنا ، بل حاول أحدهم اقتحام الحافلة عنوة وهو يصرخ ويبكي بكاء مرا طالبا الحديث معي ، ومنعني الدكتور فرهود من النزول من الحافلة التي كان حولها مئات المتجمهرين ومعظمهم ـــ إن لم يكن كلهم ـــ من المصريين ... وكل ما استطعت فعله ، هو أن طيبت خاطر هذا المصري ـــ فقد عانيت شخصيا في فترة من حياتي آلام الغربة والاشتياق لكل رائحة من مصر ـــ وطالبت من هذا الشقيق المصري ألا يبكي قائلة له "الرجال لا يبكون" ... وتمر الأيام والسنوات ... ، وفي عام ١٩٩٥م ـــ إذا لم تخنني الذاكرة ـــ وكنت خارجة من جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، ركبت السيارة التي كنت أستأجرها بسائقها اليمني ـــ للذهاب إلى الجامعة والعودة منها ـــ وهو نفسه صاحب هذه السيارة ، عم عبد الله الذي أدعو له بالصحة ، وقبل أن تنطلق السيارة في طريقها للعودة بي إلى المنزل ، تشبث رجل ببابها وهو يسأل : "أليست من معك هي الدكتورة انشراح الشال؟" ، سأل مرة ، واثنتين ، والسائق يلتفت إليّ في الخلف ثم ينظر إليه بدون إجابة ، منتظرا ردا مني ،

حتى قلت لهذا الشاب الذي ما زال متشبثا بشباك السائق ناظرا إلي (فقد كنت لا أغطي وجهي) ، "نعم أنا انشراح" . وسألني :"ألا تتذكريني؟ أنا قابلتك في العراق ، أنا من قلت لي الرجال لا يبكون ، لقد تركت العراق وأعمل الآن سائقا على سيارة لأسرة ابنتها في هذه الجامعة ، وعرفتك حتى ولو كنت ترتدين العباءة السوداء..."

لعمري أنت يا بني ! من أنت ؟ وأين أنت الآن ؟ وماذا تفعل في هذه الحياة حاليا؟ وأين عصفت بك المقادير؟ أواه يامصر ! ماذا تفعلين بأبنائك ؟؟ والله ، يعصر الألم قلبي وأنا أرى بعض أبنائك يخدمون خارج أرضك وأنت في حاجة لكل فرد يستطيع أن يزرع حبة قمح توفر اللقمة لأبنائنا ... ، فأرضك يمكنها أن تستوعب كل من نبت فوقها وشرب من ماء نيلك . ألم تكوني يا مصر يوما صومعة الغلال للبشرية ؟ هل نسينا قصة سيدنا يوسف مع حلم فرعون مصر؟؟

ـ زيارة لخط النار على الحدود العراقية الإيرانية في الفاو ، والشاعر محمد التهامي

وفي الرحلة نفسها ، وفي الجنوب العراقي ، كانت لنا زيارة لبعض المناطق الحدودية بين العراق وإيران على خط الجبهة والمواجهة ، وقد مررنا ونحن في طريقنا إليها بأرض لازرع فيها ولا ضرع ، بل خراب يبوح بالحصاد المر الذي جنته العراق من هذه الحرب !!

وبالقرب من شبه جزيرة الفاو ، والتي غزتها القوات الإيرانية في ١٠-١١ فبراير عام ١٩٨٧م وتم تحريرها في أوائل ١٩٨٨م ، وعندما استقر بنا المقام في أحد المواقع التي كانت في يوم ما ميدانا للحرب بين

البلدين ، ألقيت كلمات وقصائد شعر تستثير الهمم . وكان معنا الشاعر محمد التهامي الذي قال لي "لقد أوحيت لي بقصيدة" (وهي أول مـــرة أكـــون فيهـــا ملهمة لشاعر !!) ، ثم ألقى قصيدة "أنا مسلم" ترحيبا بالمؤتمر والمـــؤتمرين ، وقصيدة أخرى حيا فيها نضال وانتصار الشعب العراقي وقائده صدام !

ــ زيارة لمسجد أشقاء شيعة

من الزيارات التي قام بها أعضاء الوفد في بغداد ، زيارة مســـجدين كل واحد منهما على شاطئ من شاطئي نهر دجلة ، مسجد الإمام العظـــم ــ والذي أطلق اسمه على حي مشهور في بغداد (وهو حي الأعظمية) ، ومسجد الكاظمية الذي يتميز بالقباب المذهبة ... ، أحدهما تابع للسنة ، والآخر تابع للشيعة .

وعند دخولنا مسجد الشيعة ــ وكانت أول مرة بالنسبة لي أدخل فيها مسجدا للشيعة ــ شاهدنا أحجارا رقيقة لا تزيد مســـاحة كل منها عن كـــف طفل ، وشاهدنا بعض الداخلين للصلاة في هذا المسجد وكل واحد منهم يأخذ واحدا من هذه الأحجار ، ثم لاحظنا بعدها أن هذا الحجر يوضع أمـــام مـــن يصلي ، وأن المصلي عندئذ يحـــرص عند سجوده أن تلمـــس جبهتـــه هـــذا الحجر ، ورأيناها أحيانا أمام بعض المصلين . وبعيدا عـــن أي دلالـــة لهـــذا الحجر بالنسبة لبعض الأفراد ، يمكن تشبيه ذلك بوضع بعض الأفراد منـــديلا أو طاقية أو طرحة (...) للسجود بجبهته عليها وذلك زيادة في الحرص على النظافةــ ربما ــ بدلا من ملامسة الجبهة للأرض ، أو تقربا إلى الله بالزهد والابتعاد عن السجود على سجادة تبعده عن الأرض التي هي "مســـجده" ... أما بالنسبة لوضع الحجر أمام المصلي ، فإن كثيرا مـــن المســـلمين الســـنة

يضعون ــ على سبيل المثال ــ السبحة أو غطاء للرأس أو منديلا ... أمامه عندما يصــلي وحده في مكان عام معتقدا بذلك أن هــذا "الرمــز" لا يقطــع صلاته ، فهو يفصل بينه وبين أي شخص يمر أمامه وهو يصلي ، وهذا مــا حدث لي منذ أسبوع قبل كتابة هذه الكلمات ، وكنت في المستشــفى أنتظــر نتيجة تحليل وخفت أن يضيع مني الفرض ، ونويت الصلاة ودخلت فيهــا ، فنهض أحد الحاضرين في قاعة الانتظار وأخذ العصا التي أستعين بها حاليــا لإصابة في الركبة ، ووضع هذه العصا أمامي فاصلة بيني وبــين أي فــرد يفكر في المرور من أمامي عند دخول القاعة أو الخروج منها ...

وراودتني نفسي ــ والنفس أمارة بالسوء ــ أن آخذ حجــرا تــذكارا لهذه الزيارة من مسجد المذهب الشيعي ، لكي يراها أهلي وأحبائي وأصدقائي في مصر ، ولكن سرعان ما تذكرت أن هذا الفعل "الشائن" يدخل فــي بنــد "سرق" ، فاستغفرت ربي ، وندمت على ما فكرت فيه ؛ ولكــن ، لــو كنــت فكرت قليلا ، كان من الممكن شراء واحدة من هذه الأحجار أو أكثر ، فهــي بالتأكيد تعرض للبيع في الأسواق ، إلا أن ذلك لم يخطر ببالي مطلقــا ... ، وتحضرني هنا واقعة أخرى في حياتي ، إلا أنها في أقدس مكــان يصــعب على القارئ تصوره ...

فقد دعيت لدخول الكعبة المشرفة ... ، واصطحبت معــي الزميلــة الدكتورة سهير عطية وصديقة سعودية ، إحسان . ونوينا العمرة ، وتوجهنــا من جدة إلى مكة المكرمة التي شرفها الله ببيته . وكانــت الكعبــة المشــرفة محاطة وكان باب الملتزم مفتوحا إذ كانت تجرى في داخل الكعبة المشــرفة صيانة لجدرانها . وبدأنا الطواف ، وعند اللفة الرابعة ، وفي موجــة هــادرة تدفعنا ومن الصعب إيقافها ، دخلنا ومجموعة من النساء حجر اسماعيل الذي

وضع حوله ساتر ، وكان دخولنا من جهة الحجر اليمـــاني ، ووصـــلنا إلـــى مدخل حجر اسماعيل من جهة مقام إبراهيم وباب الملتزم ، ووجـــدنا أنفســنا نمشي فوق "سقالة" خشبية تنتهي بنا عند باب الملتـــزم ، ودخلنـــا بيـــت الله ، نساء فقط في تلك الليلة ، صلينا خاشعين ، بعض منا ــ وأنا منهم ــ اكتفـــى بأن صلى ركعتين فقط ، وبعض آخر ــ ومنهن سهير وإحسان ــ صلى فـــي كل اتجاه من الاتجاهات الأربعة للكعبة المشرفة ، ، بل وصلت الاثنتان أيضا يومها في حجر اسماعيل ، لذلك لم نلتقـــي عنـــد الخـــروج مـــن الكعبـــة . واستكملت الشوط الرابع من الطواف ، واستكملت طوافي سبع مـــرات . ثـــم توجهت لاستكمال مناسك العمرة بالسعي بين الصفا والمروة سبعة أشـــواط . كل ذلك ، وأنا شبه منومة ، ولا أكاد أصدق أن ما حلمت به عام ١٩٧٣م ــ تقريبا ــ بأنني أصـــلي داخل الكعبة قد تحقق . وأتذكر في أول مـــرة أحـــج فيها ــ وكان ذلك عام ١٩٨٠م ، تقريبا ــ عندما كنت أعـــد رســـالتي فـــي فرنسا ، زرت أحد أقربائي وكان معارا لجامعة أم القرى في مكة المكرمـــة ، الشيخ محمد الشال ــ رحمه الله ورحم والدي وجميع موتانا وموتى المسلمين أجمعين . وقد تعجب فضيلته لحضوري من فرنسا للحج قبل الانتهـــاء مـــن إعداد الرسالة والعودة إلى مصر ، وشرحت له الوضع بالجامعة حيث يمكـــن أن يتواكب ويتزامن الحج مع الدراسة أو الامتحانات ... وقصصت عليه هذه الرؤية ، وفسرها فضيلته بصلاتي في حجر إسماعيل ، فهو جزء متمم للكعبة المشرفة ، ورفضت تفسيره ، وقلت له : *لا ، ما رأيته في الحلم غير ذلك .*

أتممت السعي سبعة أشواط وكأنني على جناح طائر بالرغم من السن والوزن الزائد ، وجلست أنتظر سهير وإحسان غير مصـــدقة مـــا حـــدث ، ووصلت سهير وارتمت علي باكية ، وكذلك الأمر بالنسبة لإحسان التي كانت

غير مصدقة هي أيضا ما حدث ، خصوصا وكانـت شـكوتها لـي عنـدما حضرت لزيارتي قبل هذه العمرة المباركة والمقبولـة بـإذن الله ، هـي أن زوجها لا يسمح لها بالذهاب إلى مكة حتى ومع وجود سيارة خاصة معنا من الباب إلى الحرم والعكس ، وكانت الساعة الحادية عشرة ليلا ، والطريق من جدة إلى مكة والرجوع إلى منازلنا بعد إتمام العمرة بالطواف والسعي لن يقل بأي حال من الأحوال عن ثلاث ساعات فقد تخطينا ثلاثتنا الخمسـين مـن العمر ، إلا أن زوج إحسان سمح لها هذه المرة لتأدية العمرة ، عندما عـرف أنها سوف تكون بصحبتي ، وكانت معجـزة مزدوجـة بالنسـبة لهـا بكـل المقاييس ...

وعند خروجنا من الحرم ، سألتني سهير :

هل أخذت بعض الأحجار من داخل الكعبة ؟

والإجابة كانت :

لا !!

فتحت سهير منديلا من الورق كان في يدها ، وأعطتني قطعة حجـر في حجم حبة عدس ، ما زلت أحتفظ به حتـى الآن ، بركـة فـي البيـت ، وذكرى لهذه الزيارة التي شرفني بها الله سبحانه وتعالى ، وأسجد له شـاكرة وأحمده على كل خير أنا فيه في كل لحظة ، فهو كريم معي جل وعلا بكـل ما أنعم به عليّ .

ونعود إلى رحلة العراق ...

ـ آلة تصوير فاشلة ؟؟!!

من الأشياء اللافتة للنظر والتي بحثت عن تفسير لها ولم أنجح في ذلك ، هي أن أصدقاء وزملاء في رحلة بغداد هذه قد حاولوا استخدام آلات التصوير لتسجيل بعض لحظات . ولم تفلح محاولاتهم .

فبعد العودة إلى مصر ، وإرسال أفلام الصور ـ التي تم التقاطها في مناطق متفرقة في العراق ـ لتحميض هذه الأفلام وطبع الصور ، فوجئت وعدد من الزملاء باختفاء الصور من الأفلام ؛ حتى آلة التصوير التي كانت معي ، والتي استخدمتها بنجاح كبير في رحلات عديدة قبل رحلة العراق منذ عام ١٩٦٠م ، بل وفي رحلة الحج عام ١٩٨٠م في عرفات ، بل وبعد رحلة العراق هذه ، وذلك بالرغم من إجادتي فن التصوير الفوتوغرافي الذي درسته في قسم الصحافة وأنا طالبة في الكلية ، واستخدمت الكاميرا في كل رحلاتي داخل مصر قبل التخرج بسنوات ، وخارجها منذ عام ١٩٦٢م ... وفشلت في الحصول حتى ولو على صورة واحدة واضحة من فيلمين استخدمتهما بنفسي على آلة التصوير الخاصة بي !!

كذلك لم يستطع أي واحد من أعضاء الوفد الاتصال بالأهل في مصر أو في أي دولة أخرى طوال إقامتنا في العراق لعدم توافر أي وسيلة اتصال مباشر بمصر ... !!

لقطة تاسعة : العودة إلى مصر

ـ صورتان

في رحلة العودة إلى مصر ، أقلتنا طائرة أخرى تختلف اختلافا كبيرا عن تلك التي أقلتنا من القاهرة إلى بغداد . وفي أثناء هذه الرحلة ، وزعت علينا صور التقطت لنا بعد انتهاء هذا اللقاء الفريد ونحن نودع الرئيس صدام الذي حرص على أن يسلم على كل واحد من الحاضرين كما سبق وذكرنا . وكان نصيبي صورتان ، صورة منهما اختارها الأستاذ حامد سليمان — رحمه الله — ونحن في الطائرة ونشرها مع الموضوع الذي كتبه عن وقائع هذا المؤتمر التاريخي في بغداد (ولم ترجع إليّ الصورة من سنة ١٩٨٩م وحتى الآن عام ٢٠٠٤م ، بالرغم من محاولاتي المستمرة لاستعادتها) ، أما الصورة الأخرى فهي على غلاف هذا الكتاب وهي أقل الصورتين جودة ، ويمكن للقارئ رؤية صورة للأخرى فيما نقدمه من مقتطفات مما نشر في الصحف عن هذه الواقعة[1].

ـ استقالة مرفوضة

على متن طائرة العودة ، كتبت استقالتي من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأرسلتها مع زميل لكي يسلمها للدكتور الوزير ، والذي كان يجلس في المقعد الأول بالطائرة ، إلا أنه أرسل في طلبي ، وذهبت إليه ، وكان إلى جواره الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب الأسبق (والذي كان رئيسا للجمهورية في الأيام الستة التي تلت مقتل الرئيس السادات إلى أن تم تعيين الرئيس محمد حسني مبارك)، وهو غني عن التعريف بالنسبة للجميع ، فهو من أشهر أساتذة كلية الحقوق جامعة القاهرة قبل أي شيء .

---

(1) انظر الملاحق.

وسألني الدكتور وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الدكتور محمد علي المحجوب " لماذا يا دكتورة انشراح الاستقالة ؟!" وأجبته "لقد سبق وقلت لسيادتك بأنني لا أسكت أمام أي شيء أرى أنه خطأ من وجهة نظري ، وأن لي رأيا حرا لا يمكن إخفاؤه ، ومن الصعب خضوعي لأي تأثير" ، "ولكن يادكتورة نحن لانستغني عنك" ... وابتسامة قرأتها على وجه الدكتور صوفي أبو طالب تؤيد كل كلمة من الكلمات التي قالها الدكتور المحجوب ...

ووصلنا إلى أرض الوطن ، ودخلنا مصر "آمنين" من قاعة كبار الزوار كما كان سفرنا منها .

ـ مع الدكتور صوفي أبو طالب

ومرت شهور ، وذهبت يوما إلى مكتب الدكتور نعمان جمعة عميد كلية الحقوق ، وفرحت بلقاء غير متوقع مع الدكتور صوفي أبو طالب ، وتحدثنا في موضوعات متفرقة ، ودخلت الدكتورة سعاد الشرقاوي ، وبعد التحية والسلام ، سألها الدكتور صوفي إذا كانت تعرفني ، فقالت "نعم" ... ولكنه قال لها " لا ، أنت لا تعرفين الدكتورة انشراح الشال ؛ فقد كانت معنا في زيارتنا بغداد ، و..." ، وحكى لها الموقف كما حدث ، وكان سعيدا جدا وهو يرويه ... ، فسألته "لماذا لم أشعر منكم هذه السعادة ونحن في بغداد ، بل العكس ؟ " وكان رده " لأن كل واحد منا ساعتها كان يتمنى أن يكون أنت ! " يا الله ! أنا واحدة منكم وحديثي عبّر إذن عما كان في نفس كل منكم ، ولكني كنت أكثركم وضوحا وصراحة ، و ... ، فأنا لا أخاف على

كرسي يمكن أن أفقده ، ولكني أخشى كثيرا أن أخسر كرامتي ، كما أنني لا أخشى في الله لومة لائم .

ـ دعوة خاصة لزيارة العراق

وصلتني دعوة رسمية لحضور احتفال إحدى الدول الآسيوية لحضور احتفالها بالعيد القومي لبلادها في منزل سفيرها بجاردن سيتي .

واندهشت !

فهذه السفارة هي سفارة لدولة إسلامية آسيوية لم أزرها من قبل ، وليست لي بها أي علاقة ، لا من قريب ولا من بعيد ، ولكني لبيت الدعوة وذهبت .

وبعد دقائق من وصولي ، تقابلت مع صديق صحفي ـ وبالصدفة ! ـ مع السفير العراقي في مصر الدكتور نبيل نجم الذي قدمني له الصحفي المصري ، ورد عليه السفير العراقي "وهل يخفى القمر ؟!" وتبادلنا التحية والسلام ، وعرفني الدكتور نبيل بالسيدة ليلى قرينته ، وعرفت منه أنه وكثيرين من العراقيين غير موافقين عما فعله صدام بالإفراج عن الأسرى ، وتجاذبنا نحن الأربعة الحديث في موضوعات الساعة ، ثم فوجئت بالسفير العراقي يقول لي :

ـ "الرئيس يدعوك لزيارة العراق للحديث في التليفزيون العراقي عن موضوع معين"

(ولم يذكر لي أي شيء ـ ولو تلميحا ـ عن هذا الموضوع الذي يريدون مني أن أتحدث فيه ، ولم أسأل أنا عنه) .

وكان ردي :

ـــ *"سوف أستأذن أولا من رئيسي"* [1]

....

ـــ "ولكن ، لماذا الذهاب إلى العراق لتسجيل برنامج في التليفزيون ؟ لماذا لا يتم التسجيل هنا في مصر ؟؟ فالأجهزة موجودة والحمـــد لله ولـــن يرفض التليفزيون المصري أن يتم التسجيل في اســـتوديوهاته وبكاميراتـــه ، وإن تعذر ذلك ، فبالإمكان استئجار أجهزة ، أو حتى إحضارها مـــع فريـــق للتليفزيون من العراق " !!

وانتهى هذا اللقاء ـــ العابر جدا ـــ وغير المدبر "خالص" ، والذي تم على أرض سفارة دولة إسلامية آسيوية ، إلا أن هذا الموضوع لم ينفتح أبـــدا مرة أخرى ، ولا حتى عندما دعيت لحضور احتفال أقامته السفارة العراقيـــة في منزل السفير بالزمالك في مناسبة قومية ...

ـــ ســـيرك ؟ لا والله يا دكتور محمد !

في إحدى ندوات كلية الإعلام ، وكان الزميل الدكتور محمود يوسف يتحدث عن شجاعة المرأة في الإسلام ، أشار إلى ما حدث في بغداد ، وأنـــه كان يفخر بأن *"الست دي أنا أعرفها ، دي زميلتي في الكلية"* ، هكـــذا كـــان يقول لكل من يتحدث عن هذه الواقعة في الدولة العربية الشقيقة التـــي كـــان معارا بها .

---

(1) اتصل بي يوما أحد الأصدقاء هاتفيا يدعوني لحضور احتفال دولتهم بعيدها القومي ومقابلة رئيسها ، ورفضت ، وقلت له : "ممكن أحضر عندكم ، نعم ، ولكن بدعوة من الجامعة لديكم لإلقاء عدد من المحاضرات مثلا أو لمناقشة رسالة أو ما شابه ذلك مما هو متعارف عليه بالنسبة لأستاذ في الجامعة " . وهو ما شجعني يوما لقبول دعوة كريمة من وزير جزائري لزيارة الجزائر حيث حاضرنا في قاعة بن خلدون ، وفي معهد الصحافة بالجزائر العاصمة ، وفي عدد من الجامعات في عدة ولايات ...

وفي المقابل ، ومن دولة عربية شقيقة أخرى ، وصل زميل لنا كـان معارا بها ويسبقني في الدرجة العلمية . وعندما قابلته في الكلية ، وبـدون أن أسأله رأيه ، أبدى امتعاضه لما حدث مني في العراق ، فقد اعتبـره مجـرد *"سيرك"* ، ولم أعلق ، فقد سبق وسمعت من الدكتور صوفي أبو طالب ، ومن كثيرين ممن حضروا اللقاء مع صدام ، وما كتبه بعض الصحفيين ، ما يؤكد أنه موقف يحسب لي ، كلمة حق من أم مسلمة لا تقول إلا مـا يعتمـل فـي صدرها حتى ولو كره ذلك كثيرون ، قالتها بعفوية شديدة ، وبـدون سـابق إعداد ، لحاكم مسلم (وأعتقد أنه كان ينتظر هذا الطلـب) فحركـت الجانـب الإنساني لديه ، واستجاب لطلبها ...

وفي يوم ما ، قابلت في كلية الإعلام الدكتور ممدوح البلتاجي وزيـر السياحة والذي حضر للمشاركة في مناقشة إحدى الرسائل العلمية مـع هـذا الزميل العائد من دولة خليجية . والدكتور البلتاجي يعرفنـي منـذ أن كـان مسئولا عن المكتب الإعلامي لسفارتنا في باريس ، وكنت أنا فـي بـوردو (على بعد حوالي ٦٠٠ كيلو من العاصمة الفرنسية باريس) أعد رسالتي التي أشرت إليها أكثر من مرة من قبل ، وكنت علـى صـلة وطيـدة بالمكتـب الإعلامي وبالدكتور البلتاجي ، ربما أكثر من صلتي بالمكتب الثقـافي الـذي كانت كل صلتي به وأنا في باريس تتعلق باستلام فرق المنحة[1] ، وما شـابه ذلك من معاملات مالية ، إلى أن انتقلت إلى بوردو ، فأصبح الاتصـال إمـا بالبريد أو بالتليفون ، وذلك في حالة الضرورة القصوى ...

---

[1] سافرت إلى فرنسا في أغسطس سنة ١٩٧٦م على منحة من الحكومة الفرنسية للحصول على دكتوراه الدولة ، وكنت قد سافرت إليها قبل ذلك في أغسطس سنة ١٩٦٨م للحصول على دبلوم في المناهج وطرق التدريس من جامعة بواتييه .

أما المكتب الإعلامي ، والذي كنت أنتمي إليه بحكم الدراسة وعملي في كلية الإعلام ، فقد كنت أحصل منه على أفلام وثائقية وملصقات وما شابه ذلك من مواد إعلامية ... ساعدتني كثيرا في تنظيم ندوات عن مصر في الجامعة ، وفي المنطقة التي أسكنها وحيث يقطن فيها أجانب من عديد من الدول لقربها من جامعات بوردو[1] ، وكان الحوار يدور بوجه خاص حول مصر الحديثة ، ووضع المرأة ، والأنشطة المختلفة التي تقوم بها ... ، حتى كان بعض المسئولين يقولون إنني أشكل سفارة لمصر في بوردو[2] .

وعندما تحدد موعد مناقشة رسالتي ، دعوت الدكتور البلتاجي المستشار الإعلامي الأسبق لمصر في باريس (وزير السياحة حاليا) ، ووجهت الدعوة طبعا للمكتب الثقافي ، إلا أن الدكتور البلتاجي لم يستطع الحضور ، ولكنه أرسل لي ــ فيما بعد ــ تهنئته مصحوبة بخمسة كتب عن مصر جاء ذكرها من قبل وقلت إنه قد تم توزيعها على المناقشين الخمسة ، خصوصا والأستاذ "فيتفير" عالم التربية كما قلت ، كان قد أخذ على رسالتي (والتي تقع في ١٥١٧ صفحة "فولسكاب" في ثلاثة مجلدات) أنني لم أضمنها فصلا للحديث عن مصر كما هو متبع من كل الباحثين الأجانب في فرنسا ، والذين يعدون رسائل تتعلق بموضوعات عن بلادهم .

---

(1) ثلاث جامعات : ١ و ٢ و٣ ، حيث أصبحت الجامعات بعد أحداث ١٩٧٦م في فرنسا تعرف بالأرقام بدلا من الأسماء الرنانة مثل السوربون ، وشارل دي جول ... ، وإن كانت بعض هذه الجامعات تحتفظ بالاسم والرقم معا .

(2) مرضت ابنتي الصغرى ونحن في بوردو فأرسلت لاستدعاء أقرب طبيب لسكني ـ والذي كان بالقرب من مبنى التليفزيون الإقليمي (FR3 Aquitaine) ـ وقد أصبح هذا الطبيب طبيب الأسرة فيما بعد (وطبيب الأسرة نظام متبع في فرنسا) ، وبدأنا نتردد على عيادته التي هي في منزله ، وعرفنا منه أن هذا المنزل كان مقرا للقنصلية المصرية في بوردو (قبل عام ١٩٥٦م) ، وأنه وجد في "بدروم" (La cave) هذا المنزل ، وحيث يخزن الفرنسيون فيه عادة زجاجات الخمر، وجد الطبيب "نويل كاريرا" قطع الأثاث العربية (الأرابسك) الفاخرة والتي منها أطقم الجلوس في الغرفة التي يستقبل مرضاه فيها ...

كل هذه الإضافات ، لا أقصد منها سوى الإشارة إلى معرفة الدكتور البلتاجي لشخصي والاحترام المتبادل بيننا حتى لحظة كتابة هذه الكلمات .

وأعود إلى هذا اللقاء بين الدكتور البلتاجي وبيني ، وبحضور الزميل الذي رأى أن ما قمت به في العراق ما هو إلا "سيرك" ، سامحه الله .

فبعد التحية والسلام ، قال لي الدكتور البلتاجي مامعناه أن ما قمت به في العراق قد تابعته "الرئاسة" بسعادة ؛ ولم أواجه بأي نقد من الدكتور البلتاجي ، كذلك لم يصلني أي رد فعل سلبي أو كلمة غضب من "الرئاسة" ...

لقطة عاشرة : في وسائل الإعلام المصرية والعربية

إلى جانب ما سبق ذكره بخصوص هذا البث المباشر لوقائع الجلسة التاريخية مع الرئيس العراقي صدام ومطالبتنا له بالإفراج عن الأسرى الإيرانيين ، كان لهذه الواقعة توابع في وسائل للإعلام مصرية وعربية على النحو التالي :

ـ التسجيل في برنامج "لقاء الأشقاء" على شاشة التليفزيون المصري

حاول بعض الإعلاميين ونحن في العراق إجراء حوارات معي ، إلا أن "التنبيهات المشددة" من الدكتور المحجوب في اجتماعه بنا في مقر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة قبل سفرنا إلى بغداد كانت تنص

على عدم الحديث مع إعلاميين ، لذلك رفضت طلب الأستاذ عبد الخالق عباس المخرج في التليفزيون المصري للتسجيل مع الأستاذ محمد زايد ، الصحفي في جريدة الأهرام ومقدم برنامج "لقاء الأشقاء" الذي يبث على شاشة التليفزيون ويطلبان مني أن أكون ضيفة إحدى حلقات هذا البرنامج للحديث عن مداخلتي تلك ، والأسباب التي قد تكون وراءها ...

وبعد عودتنا إلى القاهرة ، عاود الأستاذ عبد الخالق عباس الاتصال بي للتسجيل في هذا البرنامج ، فاعتذرت عن الذهاب إلى مبنى التليفزيون متعللة بأسباب واهية ، فطلب مني الموافقة على انتقال الكاميرات إلى منزلي لتسجيل هذه الحلقة من البرنامج ، واعتذرت ثانية بحجة عدم توافر التيار الكهربائي القوي لتشغيل الأجهزة في شقتي المتواضعة . ولكن — وأشهد هنا على مقدرة الأستاذ عبد الخالق عباس في الإقناع — فقد اقترح أن يتم التسجيل في مكتب الأستاذ محمد زايد في مبنى الأهرام ، وأسقط في يدي ، خصوصا وأنا أحمل معزة خاصة لهذا الصحفي النابغة محمد زايد المهتم بهموم الناس في صفحته التي تنشر كل يوم جمعة في جريدة الأهرام ، ومعزة مماثلة لمخرج البرنامج عبد الخالق عباس ، والذي رأس لفترة طويلة تحرير نشرة الأخبار على شاشة القناة الأولى في التليفزيون المصري قبل أن يرأس قناة وسط الدلتا ، السادسة ، وكانت له بصمات تميزه بالنسبة لتحرير النشرة ... ، لاهتمامي بنشرات أخبار التليفزيون والتي كانت موضوع رسالتي التي حصلت بها على درجة الماجستير من قسم الإذاعة بكلية الإعلام ، ونشرت فيما بعد في كتاب .

وحتى لا أتسبب في إثارة الفزع لدى المشاهد ـ فأنا بعيدة تماما على أن أكون "فوتوجينيك" يمكن أن تجذب الأنظار عند ظهورها على الشاشة ـ كان طلبي الوحيد من الأستاذ عبد الخالق أن يبعد الكاميرا قدر الإمكان لتخفيف درجة الحدة التي قد تبدو على ملامحي بسبب هذا الوزن الزائد الذي أحمله على عاتقي من جانب ، وبسبب الموضوع الذي سوف نتحدث فيه والذي قد يؤثر على ملامحي من جانب آخر ...

وتم التسجيل ، وأذيع البرنامج ، وبدون أي "روتوش" أو "مونتاج" ، فلم أزد حرفا عما قلته ولم أنقص ، ومحمد زايد وعبد الخالق عباس كانا شاهدين على هذه الواقعة ، فقد كانا من بين الحضور في هذا اللقاء التاريخي ، كما وأني ممن يشهد لهم بالأمانة وعدم التجمل ، وربما شعر القارئ الكريم بذلك من خلال ما سبق وقرأه في السطور السابقة .

ـ رجع الصدى في الصحف المصرية والعربية الأخرى

أثناء انعقاد هذا المؤتمر في بغداد ، لم يسمع أحد بما حدث ، إذ لم تخرج أي صحيفة عربية ، مصرية أو غير مصرية ، بأي ذكر لهذه الواقعة ، بل وبالمؤتمر ككل (بالرغم من أهميته من حيث الموضوع بالنسبة للتاريخ الذي عقد فيه ، وبالنسبة لقيمة المشاركين فيه[1]) ، وربما يعود ذلك إلى أن الاتصالات بين بغداد وغيرها من عواصم العالم فترة انعقاد المؤتمر ـ على الأقل ـ كانت غير متوفرة ، لأسباب مقصودة أو غير مقصودة !!

[1] شارك في أعمال هذا المؤتمر - كما جاء في البيان الختامي للمؤتمر - أعضاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية من مختلف دول العالم ، ومن بينهم جميع وزراء الشئون الدينية والأوقاف في العالم الإسلامي ، وعدد من الوزراء السابقين ، ورؤساء الجامعات الإسلامية الكبرى ، ورؤساء المنظمات المهمة والهيئات والمراكز الإسلامية في العالم ، كما شارك في أعماله أيضا أكابر علماء وقادة الدعوة والفكر من شخصيات على مستوى رفيع في المجالين الديني والثقافي في الوطن العربي والعالم الإسلامي

وبعد عودة الصحفيين المصريين الذين رافقونا في هذا المؤتمر الذي عقد في بغداد إلى مصر ، برزت قضية الأسرى واحتلت الصفحة الأولى في بعض الجرائد المصرية ، وبخاصة جريدة **الحقيقة** وجريدة **المساء** ، ونشرت عنها جريدة **الأهرام** في صفحتها الدينية حيث خص بها محمود مهدي عموده الأسبوعي يوم الجمعة ... ، كذلك بالنسبة لـبعض المجـلات الأسـبوعية ، **الإذاعة والتليفزيون** ، **وأكتوبر** ، **وآخر ساعة** ... ، ومن الجرائـد العربيـة التي تصدر في دول أخرى ، اهتمت بها جريدة الحياة ، وكذلك بعض جرائـد عراقية مثل **الجمهورية** و**القادسية** و**العراق** ...

فبالنسبة للعدد **الأسبوعي للأهرام** ، نشر محمود مهدي هذه الواقعة ، وعلى رأس العمود صورة للرئيس صدام .

وخرجت الجريدة بالموضوع حيث ركز محمود مهدى في عمـوده على الجملة "كفى عنادا" وقال "هكذا قالت الدكتورة انشراح الشال للـرئيس صدام" .

وفي مجلة **آخر ساعة** ، وعلى صفحتين ، نشـر الصـحفي حامـد سليمان تحقيقا مفصلا عن هذه الواقعة مع الصورة التي أخذها مني ونحن في طائرة العودة .

كذلك نشر فاروق عبد السلام هـذه الواقعـة فـي مجلـة **الإذاعـة والتليفزيون** ، وقال ــ سامحه الله ــ "لم أكن أعرف أن بيننا قنبلـة موقوتـة اسمها انشراح الشال" ، وربما يكون قوله فيه شئ من الصـحة ، وأشـعلت كلمات المتحدثين الفتيل ، أو أن هذه الكلمات ــ ما دام الحديث عن قنبلـة ــ نزع منها مسمار الأمان الذي يصون القنبلة ويحميها من الانفجار طالما ظـل هذا المسمار في موضعه الثابت ...

وقد نشرت جريدة **الحياة** أن "الدكتور محمد علـــى المحجـــوب قـــد انزعج من كلمات الدكتورة انشراح الشال والدكتور عبد المنعم عمر لأنهمـــا تحدثا دون "اتفاق" مسبق ، لكن الرئيس صـــدام "طيـــب خـــاطر" واضـــعي البرنامج ... ، وكان بمثابة "مانعة" صواعق كادت تحدث !!"

لقطة حادية عشرة : المؤتمر الثالث للمجلـــس الأعلـــى للشـــئون الإسلامية

ـ مواجهة مع عبد الله فاضل وزير الأوقاف العراقي

دارت عجلة الزمان ... ، واجتمع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في السنة التالية في فندق ميريديان القاهرة في الأسبوع الأخيـــر مـــن شـــهر فبراير عام ١٩٩٠م . وتقابلـــت الوجـــوه مـــن جديـــد ، وبـــدأت الكلمـــات والمداخلات ، وفوجئت بوزير الأوقاف العراقي عبد الله فاضل يمن علينـــا ، بأنه إكراما لنا ، أفرجت العراق عن ٢٥٥ أسير ، وأخذ يكـــرر ذلـــك عـــدة مرات ...

خرجت من الفندق للتأكد مما تم بخصوص الأسرى ، فقد أخذت على نفسي عهدا بأن تحل مشكلة الأسرى بين البلدين بشكل ودي ما دامت توجـــد نوايا طيبة ، خصـــوصا بعد أن فشلت الهيئـــات والمنظمـــات الدوليـــة فـــي مساعيها ، وكنت قد لجأت في ذلك إلى صديق يعرف الطبيب الخاص للزعيم الروحي آية الله الخميني ، والذي أكد لي أن إيران بدأت بالفعل إطلاق سراح الأسرى العراقيين ، وأنها أطلقت سراح عدد منهم أكبر من عـــدد الأســـرى الذين أطلق صدام سراحهم على النحو الذي سنذكره فيما بعد .

نعم ، لقد آليت على نفسي بعد عودتي من بغداد ، وبعيدا عن نشاطات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وتوصياته ، أن أعمل جاهدة ، وبمفردي ، على تنشيط عملية تبادل الأسرى . حقيقي أن البيان الختامي لهذا المؤتمر تضمن أهمية متابعة تنفيذ توصياته وخصوصا فيما يتعلق بموضوع الأسرى ، إلا أنني – ومن خلال حضوري مؤتمرات محلية وعالمية من الصعب ذكر عددها لكثرتها واختلاف موضوعاتها ومحاورها – أعرف تماما أن توصيات معظم المؤتمرات قد توضع في أدراج ويغلق عليها ، حتى لو شكل المؤتمر لجان لمتابعة تنفيذها مثل ما حدث بالنسبة بمؤتمر بغداد .

ففي هذا المؤتمر الثاني للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية والذي عقد في بغداد ، فقد تمت صياغة بيانه الختامي بأسلوب يُستشف منه إيمان المؤتمر بتعنت الجانب الإيراني في الاستجابة لتبادل الأسرى بينه وبين الجانب العراقي .

وهذا غير صحيح كما سنرى بعد سطور قليلة .

في البيان الختامي للمؤتمر ، والذي كان من تسع صفحات ، ثلاث صفحات منها مدخل ، ثم ١٣ بندا في ست صفحات ، والأول من هذه البنود عن الحضور في هذا المؤتمر[1] وأسماء المتحدثين فيه ... ، إلا أن البيان خصص لموضوع الأسرى البند الثاني منه ، وهو في أكثر من صفحة فولسكاب وجاء فيه ما يلي :

"أنه إزاء هذا التكريم لعلماء الأمة الإسلامية بفك أسير إيراني تقديرا لكل عضو شارك في المؤتمر ، فإنهم يشعرون بعبء المسئولية الملقاة على عاتقهم في التوجيه إسلاميا وإنسانيا في

---

(1) انظر هامش صفحة ٩٣ .

المساجد والندوات والمؤتمرات ووسائل الإعلام ، ودوليا عن طريق الهيئات والمنظمات الإسلامية والدولية ، بضرورة سرعة تبادل الأسرى ، والضغط بكل الطرق حتى تستجيب إيران لهذه المبادرة الإنسانية النبيلة وتسارع بتبادل الأسرى دون استغلال لهذه المسألة في تحقيق مكاسب سياسية" .

"ويرى المؤتمر أن سرعة تبادل الأسرى يعد تمهيدا إسلاميا لازما لتهيئة المناخ للوصول إلى سلام عادل وشامل ودائم بين البلدين المسلمين وأن إعراض إيران عن الاستجابة لهذه المبادرة الإسلامية الكريمة يشكل تهديدا لفرص تحقيق السلام المستقبلية ، ويكشف المواقف التي تتعارض مع روح الإسلام ودعوته للسلام" .

وكنت بعد عودتي من العراق قد عرفت من صديق تابع موضوع الأسرى أن الزعيم الروحي آية الله الخميني ــ رحمه الله ــ له طبيب مصري يعوده من حين لآخر في إيران ، ويعرف صديقنا هذا جيدا طبيب الخميني الذي نتحدث عنه هنا . طلبت من هذا الصديق أن يتأكد الطبيب من شيئين : أولهما التأكد من وصول الأسرى الإيرانيين الذين قيل إن العراق قد أفرج عنهم بعد صدور قرار صدام ، وثانيهما أن يسأل عما إذا كانت إيران قد استجابت وأفرجت مقابلا لهم من الأسرى العراقيين ...

وبعد عودة الطبيب المصري ، والذي كان يسافر إلى إيران عن طريق باريس ... ، سألت عما تم بخصوص الأسرى ، وعرفت من الصديق الذي قام بدور الوساطة بيني وبين طبيب الخميني بأن رد الرئيس الإيراني

ركز على أن الرئيس صدام لم يطلب المقابل بالإفراج عن مثلهم من الأسرى العراقيين !!

- يا إلهي !!
- هل كان لابد لصدام ــ فك الله أسره ، وفك أسر جميــع الأســرىٰ الذين في السجون والمعسكرات ــ هل كان لا بد له من أن يطالــب بالمقابل ؟؟
- أليس تبادل الأسرى من الأعراف الدولية ؟
- ألم يمل الإيرانيون ويسودهم القلق من توقف عملية تبادل الأســرى منذ شهور ؟
- ألا يجب أن ينتهزوا الفرصة التي فوجيء بها الجميــع وبــالأخص هيئة الصليب الأحمر وهيئات ومنظمات دولية أخرى ، لكي ينهــوا عملية تبادل الأسرى بين البلدين ؟

المهم في الأمر، أو العبرة، هي النتيجة ....، وكما يقول الفرنسيون :

"Tout est bien qui finit bien"

ولكن ، قد يهم القاريء معرفة الحوار الذي دار بين طبيبنا المصري الذي كان يعالج الخميني ومريضه ، في مناخ إسلامي رائع قل نظيره اليــوم في الحياة ، ولكنه يستدعي موقفا كريما من نبي الإنسانية ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ عندما قال رسولنا الكريم لأسراه "إذهبوا فأنتم الطلقاء" ... ، نعم ، *أخ كريم أنت يا سيد الخلق ، وابن أخ كريم .*

ونعود إلى إيران والحوار الذي دار في مناخ إسلامي (والذي يذكرنا بحوار دار بين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه و"عامل" لديــه) مــع الفارق بطبيعة الحال :

ـ *"يا سيدي ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان"* .

ـ *" فلنفرج عن عدد مماثل لعدد من فك العراق أسرهم ، بل وزيادة ، إكراما لكم ولمن كان لها الفضل في ذلك"* ، إيمانا منه ـ رحمه الله ـ بقول الحق سبحانه وتعالى : "وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ..." ، وكذلك : "... والعاملين عليها ..." ، ربما ، فأصدر قرارا بالإفراج عن عدد من الأسرى العراقيين وصل إلى ٣٤٨ أسير ، وهو عدد يفوق عدد الأسرى الإيرانيين الذين أفرجت عنهم العراق في هذه المبادرة الإنسانية (٢٥٥ أسير) برقم يقترب من المائة ، ٩٣ أسيرا في هذه المبادرة المباركة ، أي بزيادة قدرها ٣٦,٥% ...

هل هذا تعنت يا سادة ؟

ألم يكن من الواجب التعرف على الأرقام والبيانات الرسمية من الجانب العراقي ومن الجانب الإيراني ، وفي حالة استحالة تحقيق ذلك لسبب أو لآخر ، أن نبحث عن الحقيقة ـ ويا للأسف ـ لدى الجهات الأجنبية والهيئات الدولية ، قبل أن نتوقع تعنتا من الجانب الإيراني ؟

فيما يلي نكشف بعض حقائق غابت عنا بسبب التعتيم والتمويه من الجانب الإيراني ، استكمالا للموضوع الذي كنا قد بدأنا الحديث عنه بخصوص ما قاله وزير الأوقاف العراقي عبد الله فضل في إحدى جلسات المؤتمر الثالث للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية والذي عقد بفندق الميرديان بالقاهرة ، وأثارني حديثه ، وكان لا بد من الرد عليه بالوثائق والمستندات ، حيث نعرض شهادات موثقة من الصليب الأحمر بعمليات تبادل الأسرى بين الجانب العراقي والجانب الإيراني .

ـ شهادات موثقة من الصليب الأحمر

انسحبت إذن من جلسة من جلسات المؤتمر ، ومن قاعات المؤتمر ، ومن الفندق ، وتوجهت إلى المقر الفرعي لهيئة الصليب الأحمر بالدقي ، ورجعت ومعي الأوراق التي تثبت إفراج المسئولين الإيرانيين عن عدد من الأسرى أكبر من العدد الذي أفرجت عنه السلطات العراقية ، وعرضت الأمر على الدكتور المحجوب مفندة كذب الوزير العراقي ، فطلب مني ترك الموضوع قائلا لي "*سيبك منه*" ...

و

"*سيبتني منه*" ... !!

إلا أن الوزير العراقي عاود الحديث من جديد عن احترامهم لنا في بغداد (وكأننا لم نحترمهم في القاهرة) ، وكرمهم معنا بإفراج عدد من الأسرى مساو لعددنا (٢٥٥ أسير) ... وكأن إيران لم تطلق سراح أي أسير عراقي مقابل من أطلق سراحهم من قبل العراق !!

وكان لابد من وضع حد لهذه المهاترات وعدم وضوح الصورة ، فطلبت الكلمة من رئيس الجلسة للتعقيب ، وقلت :

"أنا أعرف ، بل ومعي الدليل بالأرقام والتواريخ بأن إيران قد أفرجت هي أيضا عن عدد من الأسرى العراقيين مقابل ما قد تم بالإفراج عنهم ، بل هم أفرجوا عن عدد من الأسرى يفوق عدد من أفرج عنهم العراق" .

والعجيب أن الوزير العراقي لم ينكر !

بل قال :

"*لقد أفرجت إيران عن الأسرى المرضى فقط*" !!

وكأن العراق ، عندما أفرجت عن الأسرى ، لـم تـراع الأعـراف الدولية ، فاختارت من بين الأسرى "الأقوى والأصح والسليم والمعافي" لكي تفرج عنهم ، واستبقت لديها "المرضى والمعاقين وكبار السن ..." !!

عجبا والله !

ولكن ، يجب الاعتراف بأن الوزير العراقي ــ بعد مواجهته ــ كان صادقا ؛ فإن الجانب الإيراني لم يفرج إلا عن أسرى مرضـــى ، وهـذا مـا تنص عليه المواثيق الدولية ، بل والمنطق العقلانـي ، بخصـــوص تبـادل الأسرى ، حيث يجب البدء بالإفراج عـن الأسـرى المعـاقين والجرحـى والمرضى وكبار السن قبل الإفراج عن أي أسير سليم معاف ، فإن من شأن إطلاق سراح هذه الفئة من المرضى ومن هم على شاكلتهم ممـن يحتـاجون إلى رعاية ، سوف يخفف العبء عن الدولة التي هم في "ضيافتها" ...

وكان ردي على الوزير العراقي بالتساؤل عما إذا كانت العراق قـد أفرجت عن الأسرى الإيرانيين غير المرضـى وأرسـلتهم إلـى ديـارهم ، واستبقت في سجونها وتركت لديها الأسرى الإيـرانيين المرضـى ، ربمـا لعلاجهم قبل إعادتهم إلى ذويهم ! وانتهى الحوار بيننا !!

ونذكر القارئ هنا بما سبق ذكره بأن المسـئولين العـراقيين كـانوا يدّعون بأن إيران كانت ترفض استلام الأسرى من الصليب الأحمر وترفض أي مساع أخرى بهذا الخصوص ، وأن بعض الأسرى الإيرانيين يرفضـون العودة إلى إيران !!

ـ الإفراج عن أسرى عراقيين ، ورفض بعضهم العودة إلى ديارهم

في الوثائق والمستندات المرفقة في ملاحق هذا الكتاب ، وثيقة من الهلال الأحمر بتاريخ ٢٤ يناير عام ١٩٨٩م (وثيقة أ) ، والتي تنص على استلام لجنة الصليب الأحمر في بغداد ٢٥٥ أسير لنقلهم إلى إيران ، وأن كل هؤلاء الأسرى المزمع الإفراج عنهم كانوا من الجرحى والمرضى أو كبار السن . وقد تم نقل هؤلاء الأسرى المفرج عنهم على طائرة "عارضة" تابعة لهيئة الصليب الأحمر الدولية ، وكان يرافقهم على متن الطائرة طبيب وهيئة تمريض ... ، والأهم بالنسبة للقارىء ، أن الوثيقة تشير إلى أن عملية الإفراج عن هذه المجموعة من الأسرى الإيرانيين الذين كانوا محتجزين في معسكرات بالعراق قد تمت خارج نطاق القرار الذي صدر في نوفمبر ١٩٨٨م بخصوص الإفراج عن أسرى الحرب الجرحى والمرضى ... ، فقد تمت هذه العملية بناء على طلبنا من الرئيس صدام الإفراج عن الأسرى الإيرانيين . وهذه الوثيقة المشار إليها هنا ، تؤكد ـ كما هو متوقع عقليا ومنطقيا وإنسانيا ، بل واقتصاديا ، وتدعيما للمواثيق الدولية ـ أن العراق لم يفرج بطبيعة الحال إلا عن جرحى ومرضى وكبار في السن ، وهو ما قام به الجانب الإيراني ، عندما تم أفرج من الأسرى العراقيين الذين كانوا في المعسكرات الإيرانية عن الجرحى والمرضى وكبار السن أولا ، والذي تؤكده وثيقة الهلال الأحمر المؤرخة في٢٣ فبراير عام ١٩٨٩م (وثيقة ب) ، والمرفق صورة منها في الملاحق . وهذه الوثيقة الثانية تتحدث عن المجموعة الأولى وشملت ٢٣٣ أسير عراقي مفرج عنهم من قبل السلطات

الإيرانية التي تم الإفراج عنهم . أما الوثيقة التي بتـاريخ ١٠ أبريـل عـام ١٩٨٩م (وثيقة ج) ، فهي تنص على الإفراج عن ٦٦ أسيرا عراقيا ...

وكل هذه الأعداد من الأسرى المفرج عنهم من الجهتين ، والتي تـم تبادلها ، كانت بمبادرات فردية من كل من الجانبين بعد هذا اللقاء التـاريخي في بغداد ، وكان ذلك مثار دهشة على المستوى الدولي كما قال لنا المسـئول عن المكتب الفرعي للصليب الأحمر بالقاهرة ، خصوصا بعد وقف إطـلاق النار بستة أشهر كما تشير الوثيقة التي بتـاريخ ١٠ أبريـل عـام ١٩٨٩م ، والتي تنص أيضا على أن عدد الأسرى الذين كان من المفـروض تسـليمهم للجانب العراقي ٧٠ أسيرا ، إلا أن آخر فقرة في هذه الوثيقة تشـير إلـى أن أربعة أسرى من هؤلاء رفضـوا العودة إلى العراق وفضـلوا البقـاء فـي إيران ...

ونترك هذه الكلمات بدون تعليق من جانبنا ، ونحيل القـارئ المهـتم هنا بما سبق ذكره بخصوص الأسباب الملفقة التي تعلل بها المعسكر العراقي ليبرر عدم استجابته للضغوط الدولية التي مورست عليه للإسـراع باتخـاذ خطوات إيجابية للانتهاء من عمليات تبادل الأسرى في فترة زمنية وجيـزة ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في صفحة ١٠١ من هذا الكتاب .

والوثيقة الرابعة بين الوثائق التي تضمها الملاحق فـي نهايـة هـذا الكتاب ، مكتوبة باليد ، وحصلنا عليها يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٩٠م (وثيقة د) أثناء فترة انعقاد المؤتمر الثالث للمجلس الأعلى للشـئون الإسـلامية بفنـدق ميريديان القاهرة ، تلخص ما سبق الحديث عنه بالتفصيل ، سواء من ناحيـة أعداد الأسرى الذين تم الإفراج عنهم ، وكذلك الحالة الصحية لهؤلاء الأسرى المفرج عنهم .

لقطة ثانية عشرة : غزو الكويت

في زيارة لنا للهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة يوم الخميس الثـاني من أغسطس عام ١٩٩٠م ، أي بعد أقل من سـنتين مـن مطالبتنـا صـدام بالإفراج عن الأسرى الإيرانيين ، وأقل من ستة أشهر مـن تـاريخ انعقـاد المؤتمر الثالث للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في الأسبوع الأخيـر مـن شهر فبراير ، سمعنا بخبر غزو العراق للكويت ، وتابعنـا الأخبـار هنـاك وعندماعدت إلى المنزل ، بدأت أتابع تصاعد الأحداث وأنـا لا أصـدق مـا يحدث !

- هل هذا حقيقي ؟
- هل إلى هذا الحد يمكن أن نخطيء التصويب ؟!
- ألا نعرف عدونا ؟
- أنسينا المثل المصـري الذي يقول "أنا وأخويـا علـى ابـن عمي ، وأنا وابن عمي ع الغريب"
- ماذا دهانا ؟
- هل أفرجنا عن الأسرى العراقيين من إيران لاستخدامهم في حرب جديدة هي هذه المرة ضد الكويت الشقيق ؟
- ماهذا ؟

ـــ إيه الحكاية ؟ [1]

في الثاني من يوليه عام ١٩٦١م ، تقدمت الحكومـــة الكويتيــة لأول مرة في تاريخها السياسي بشكوى عاجلة لدى مجلس الأمـــن الـــدولي ضـــد حكومة العراق على إثر التصريحات التي أدلى بها اللواء عبد الكـــريم قاســـم رئيس الوزراء آنذاك والمتمثلة في مطالبته بضم الكويت .

وفي ٢٧ يونيه عام ١٩٦١ كانت قــد خرجــت فـــي الكويـــت أول مظاهرة نسائية في تاريخها[2] ، وطافت المظاهرات والنساء يهتفن احتجاجـــا على تصريحات عبد الكريم قاسم بشأن الكويت ، كما هتفـــن بحيـــاة الكويـــت وأميرها الشيخ عبد الله السالم الصباح [3] ، أي أنه منذ بداية الستينيات والغيوم كانت تنذر بوضع غير طبيعي بين البلدين العراق والكويت .

وقد سهلت الطريقة التي انتهت بها الحرب علـــى النظـــام العراقـــي الظهور بمظهر المنتصر فيها وساعدت صدام على أن يقدم نفسه في صـــورة المدافع عن "البوابة الشرقية؟ للوطن العربي ، فضـــلا عـــن كونـــه مواجهـــا ومتحديا للوجود الصهيوني في المنطقة . وحيث لعبت الدعاية العراقية علـــى أوتار نغمة إسلامية بأن صدام سليل الأسرة النبوية الشريفة وأنه أيضا حـــامي المقدسات ضد قوى الكفر التي تدنس أرض الإسلام .

---

[1] للتعرف على خطوط عريضة على أصل الحكاية والتي ظهرت إرهاصاتها عام ١٩٦١م .اعتمدنا هنا على أربعة كتب وثائقية تتعلق بالعدوان العراقي على دولة الكويت صدرت عن مركز البحوث والدراسات الكويتية في ١٢ أبريل عام ١٩٩٧م ، إلى جانب كتب أخرى لمؤلفين آخرين بعيدا عن هذا المركز . ومن هذه الكتب .

[2] يؤرخ لأول امرأة كويتية تقتحم ميادين العمل بعام ١٩٦٠م ، عندما عينت شريفة عبد الوهاب القطامي موظفة بشركة نفط الكويت المحدودة .

[3] أحمد عبد الله العلي وشوقي زيدان الجوهري ، الكويت ، تاريخ وحضارة ، بدون دار نشر ، ٢٠٠٢م.

[4] مفيد شهاب وآخرون . الكويت وجودا وحدودا : الحقائق الموضوعية والادعاءات العراقية . مركز البحوث والدراسات الكويتية ، طبعة ثالثة ، ١٩٩٧م .

ومن جانب واحد ، انسحبت القوات العراقية من الأراضي الإيرانية ، اعتبارا من ١٦ أغسطس . وفي إجراء فردي ومفاجئ ، بدأ التبادل الفوري والشامل لجميع أسرى الحرب في التاريخ نفسه بين العراق وإيران ، ولم نتوقع شخصيا أن العراق كان يخطط بجمع أسراه وتأمين ظهره بتحييد إيران أنه يستعد لغزو الكويت .

وفي الفترة التي سبقت هذا الغزو العراقي للكويت(١) ، كان المسئولون في العراق يدلون بتصريحات بهدف تحييد إيران فيما لو دخلت العراق الحرب مع أي دولة أخرى ، وخصوصا إسرائيل بطبيعة الحال ، ومثال على ذلك التصريح الذي كان قد أدلى به الرئيس صدام حسين في الثاني من أبريل عام ١٩٩٠م أمام عدد من العسكريين العراقيين ، والذي قال فيه إنه سيشعل نارا تأكل نصف إسرائيل التي حاولت ضرب العراق ، وذلك في سياق تحذير إسرائيل من أن تحاول ضرب منصات إطلاق الصواريخ التي قيل إنها بنيت في العراق وأنها قادرة على الوصول إلى تل أبيب (٢) .

وغزو العراق للكويت كان في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠، باجتياح العراق الأراضي الكويتية ، إلا أن العراق مُني بهزيمة شديدة قبل مرور سنة على تاريخ الغزو وذلك على يد قوات التحالف الدولي يوم ٢٦ فبراير عام ١٩٩١م .

وبكل المعايير ، يعد العدوان العراقي على الكويت خرقا لأحكام القانون الدولي وخروجا على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ، كما أنه يشكل

---

(١) مفيد شهاب وآخرون . مرجع سابق .

جريمة ضد السلام ، وخرقا لميثاق جامعة الدول العربية وكذلك ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي ، وكانت له آثار خطيرة على المنطقة .

وقد عمل المسئولون في العراق على تحييد الخطر الإيراني ، وكانت إيران خارجة لتوها من أطول الحروب المعاصرة والتي دامت تسع سنوات قد رفضت جميع المبادرات العراقية لتسوية النزاع .

وبعد أقل من أسبوعين من التورط في غزو الكويت ، أعلن صدام فجأة ودون أية مقدمات في ١٥ أغسطس ١٩٩٠م ما أسماه *"مبادرة حسن النية تجاه إيران"* ، والتي تضمنت ثلاثة مبادئ رئيسية هي : أسس وقواعد رسم الحدود بين البلدين في مياه شط العرب وفقا لاتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥م . وفي يوم ١١ مايو عام ٢٠٠٠م تم التوقيع على اتفاقية ترسيم الحدود البحرية في المنطقة المغمورة المحاذية للمنطقة المقسومة بين الكويت والسعودية والتي اتفق عليها البلدان في ١٩ يوليه عام ١٩٩٥م . وكانت إيران أول المستفيدين امن لغزو العراقي في الكويت ، سواء في علاقتها بالعراق أو بلاد الخليج أو على المستوى الدولي .

وقد أضر هذا الغزو بالقضية الفلسطينية ذاتها ضررا خطيرا ، بعد أن كان الشعب الفلسطيني قد تمكن من الحصول على تعاطف دولي كبير منذ بدء الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة ، وأضعف اعتداء العراق على الكويت الحجج العربية في مواجهة إسرائيل ، وحقق للعدو الإسرائيلي من المكاسب ما لم تكن تحلم به يوما ، بوجود قوات عسكرية أجنبية هائلة في الأراضي العربية القريبة منها في مواجهة قوة عربية كبيرة وهي قوة العراق.

وقد زرع غزو العراق للكويت عدم الثقة والشك بين العراق والدول العربية المجاورة له ، وأعمل معوله في هدم صرح القومية العربية .

ومن سلبيات غزو الكويت أن انقسم الوطن العربي إلى معسكرين ، معسكر مناهض للعراق يضم ٦٠% من الدول العربية ، في حين يضم المعسكر الآخر ٤٠% من تلك الدول ، الأول يضم دول مجلس التعاون الخليجي الست ومصر وسوريا والمغرب ولبنان والصومال وجيبوتي ؛ والمعسكر الآخر يضم الجزائر واليمن والأردن وفلسطين والسودان وموريتانيا وليبيا وتونس ، مع الاعتراف بعدم وجود تجانس واضح داخل كل من المعسكرين .

ومن سلبيات هذا الغزو أيضا أنه رجع بالاقتصاد العربي إلى الوراء ، كما كان له آثاره الاقتصادية السلبية لن تنجو منها المنطقة العربية بوجه خاص ودولها في مجملها من الدول النامية .

وفي التاسعة من مساء يوم ١٢ أكتوبر ١٩٩٠م ، أعلن العراق رسميا أنه نقل قواته إلى مواقع في الخلف ، وأكد استعداده لحل مسألة الاعتراف بسيادة الكويت وحدودها التي تقررت بموجب قرار مجلس الأمن رقم ٨٣٣ بشكل إيجابي .

ثم بدأت الأزمة تعود إلى الظهور في السادس من أكتوبر ١٩٩٤م ، عندما بدأ العراق يحشد قواته العسكرية على مقربة من الحدود الشمالية لدولة الكويت ومع إعلان القيادة العراقية أنها تبحث في اتخاذ موقف "جديد" يتيح للعراق التخلص من الحظر المفروض عليه . ويبدو أن "عاصفة الصحراء" لم تقض على الجيش العراقي ، وهذا مكن صدام من أن يشكل في أكتوبر ١٩٩٤م تهديدا خطيرا للحدود الكويتية .

وفي الأمم المتحدة ، أدان مجلس الأمن الدولي بالإجماع في قراره رقم ٩٤٩ بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٩٥م تحريك الحشود العسكرية العراقية

باتجاه الحدود الكويتية ، وطالب بانسحاب فوري وكامل لجميع الوحدات العسكرية إلى مواقعها الأصلية ، كما طالب بألا يستعمل العراق قواته العسكرية أو أية قوات أخرى بشكل عدائي أو استفزازي لتهديد جيرانه أو عمليات الأمم المتحدة في العراق ، كما طالب بأن يتعاون العراق بصورة تامة مع اللجنة الدولية المكلفة بإزالة أسلحة الدمار الشامل [1]...

ـ وجهة نظرنا بخصوص الغزو العراقي للكويت في وسائل الإعلام

اتصل بي الدكتور عبد السلام السكري من المنوفية (وهو زميل لنا في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وحضر مؤتمر بغداد ، رحمه الله) ، فقلت له : *"أنا على استعداد ، أنا وفلان وفلانة ... ، ومن يريد من الزملاء للسفر فورا إلى العراق"* ...

أيد الزميل الفكرة وانضم إلى المجموعة مرحبا بالاشتراك معنا في هذه المهمة القومية والإنسانية ، وطلبت منه أن يأخذ لنا الضوء الأخضر من أحد المسئولين بالموافقة على السفر ، وعلى حسابنا الخاص ، إلى بغداد .

الإجابة جاءت بالرفض بأسلوب "إياك وإلا " ...

وبدأت اتصالات الصحفيين لمعرفة وجهة نظري وتحليلي لهذا الحدث الجلل ، وأرد على واحد ، وأبدي برأيي لآخر ، وأقترح حلولا

(1) عبد الله يوسف الغنيم (تصدير) ، الحشود العراقية على الحدود الكويتية في أكتوبر ١٩٩٤م : دراسة توثيقية لردود الفعل العربية والعالمية . مركز البحوث والدراسات الكويتية طبعة ثانية ، ١٩٩٦م .

للخروج من هذا المأزق الذي وضعنا فيه صدام ، وحـــذرت مـــن أي تـــدخل أجنبي لحل هذه الأزمة ، وخرجت جريدة أخبار اليوم بكلمات مقتضـــبة مـــن رأيي ، فحزمت أمري وسافرت إلى فرنسا ...

ـ شبيه لصدام يتحدث على شاشة التليفزيون الفرنسي

في باريس ، وأمام شاشة التليفزيون الفرنســـي ، فوجئـــت بمتحـــدث رسمي للعراق يشبه كثيرا الرئيس صدام !!

واستمعنا للمذيع الفرنسي "باتريك بوافر" على القناة الثانية وهو يروي للمشاهدين كيف سافر إلى العراق ، وكيف نجح في إرجاع طفل فرنسي كان من بين المحتجزين هناك ، وأنه استطاع الهرب به بتخبئبه داخل حقيبة !!

وبدأ الأصدقاء في فرنسا يوجهون لنا أسئلة للبحث عن إجابة شـــافية لتأخر مصر في إبداء وجهة نظـــرها بخصـــــوص هـــذا الغـــزو العراقـــي للكويت ...

فآثرت السلامة ، وسافرت إلى يوغسلافيا حيث حضـــرت مـــؤتمرا دوليا للإعلام ، وتقابلت هناك مع عدد من الأصدقاء والزملاء من مصر ومن أكثر من عشرين دولة ، وقد سبق وتحدثت عن هذه الزيارة في بدايـــة هـــذا الكتاب عند كتابة مقتطفات من السيرة الذاتية . وغبـــت عـــن مصـــر لأيـــام محدودة ، حاولت أنسى موضوع العراق وغزوها للكويت بكل التوابع التـــي سوف تترتب على هذا الغزو على مستوى الإعـــلام والمســـتوى السياســـي والعسكري للمنطقة العربية ...

ومن المضحكات المبكيات عن توابع هذا الغزو ، وبعيدا عن الإشارة إلى أي خسائر بشرية أو مادية أو معنوية نعيشها حتى هذه اللحظة ، ولازلنا لا ندري ما سوف تتمخض به الأيام القادمة يمكن ذكر :

جنودنا المصريين الذين دُفع بهم وتم "حشرهم" في حفر الباطن في المملكة العربية السعودية على حدودها مع الكويت تم ربطهم بالوطن الأم . فقد ترتب على دخول مصر هذه المعركة لتحرير الكويت ، أن استعادت مصر مكانتها في الجامعة العربية بأنشطتها المختلفة ، فاستأجرت مصر القناة غزيرة الإشعاع على القمر الصناعي "عربسات" والذي كان عمره الافتراضي قد شرف على الانتهاء (ونبهت المسئولين إلى ذلك وطرحت لهم فكرة الاشتراك في القمر المزمع تصنيعه لأوربا وسألوني وأنا في يوغسلافيا عن مدى حاجة مصر من قنوات على القمر الصناعي ، فقد كانوا في مرحلة دراسة الجدوى) . فالقناة غزيرة الإشعاع الوحيدة على هذا القمر لم تستخدم قبل استئجار مصر لها بعد انقضاء سنوات من العمر الافتراضي لعربسات ، ولكن للضروريات أحكام ، وقد تحدثنا عن ذلك عدة مرات في كتب لنا نشرت من قبل . وكانت القناة الفضائية المصرية بذلك أول قناة فضائية عربية تبث بالقمر الصناعي ، وكان ذلك قبل ظهور القناة الفضائية السعودية الخاصة والمعروفة باسم "إم بي سي" (MBC) ، وكان جنودنا في حفر الباطن يمكنهم التقاط هذا البث من الوطن الأم ، ولكن بعد تحويل البث القمري إلى بث تليفزيوني وذلك من خلال محطة أرضية وسيطة في البحرين تقومبتحويل الإشارة القمرية إلى إشارة تليفزيونية يمكن التقاطها بالهوائيات السلامية !!

كذلك كانت هذه الحرب سببا مباشرا في انتشار الصحون اللاقطة ، والمعروفة باسم "Dish" ، والتي يستعان بها لاستقبال البث التليفزيوني

المباشر عبر الأقمار الصناعية في معظم دول الخليج العربي ، وخصوصا في المملكة العربية السعودية ، وذلك لمتابعة أخبار المعركة أولا بأول ، والتي كانت قد انفردت بنقلها الشبكة الكابلية العالمية للأخبار ــ والتي تبث من أمريكا ــ والمعروفة بالمختصر الإنجليزي "CNN" .

وعلى المستوى السياسي العسكري والأمني ، كان لهذا الغزو أثره في التصاق إسرائيل بالولايات المتحدة أكثر من ذي قبل ... ، وأيضا ، فقد أدى هذا الغزو في فتح الباب لتمركز قوات أمريكية في أراض عربية ، ويبدو أنها لا تريد أن تخرج ... ، كما انتشر اللون الأزرق على زجاج النوافذ في السعودية ، حتى في جدة .

وبعد اجتياح العراق للكويت وما سبق لنا الإشارة إليه ، سجلنا رؤيتنا فيما حدث عن طريق الصحف المصرية من خلال الرد على أسئلة بعض الصحفيين ، إلا أننا رأينا تسجيل ما عانيناه من هذه الحرب بعد عودتنا لأرض الوطن ، وصدرت جريدة **الحقيقة** وبها مقال لنا بعنوان "يوميات الحرب والمعركة" ، ثم أعدنا كتابة رؤيتنا لهذا الغزو في ملحق بكتاب لنا يحمل عنوان **"بث وافد على شاشات التليفزيون"** ، حيث نقل التليفزيون وقائع هذه الحرب إلى غرف نوم الأطفال وفي مخادعنا ، وتأثر بها أطفالنا في مصر وفي دول كثيرة ، والتقطت القلم ، وخططت لبحث ميداني على أطفال بعض مدارس إعدادية في القاهرة العاصمة وفي إحدى قرى الوجه البحري ، وشاركتنا الزميلة ناريمان الرفاعي في تطبيق البحث في مدرستين بقرية تابعة لمحافظة القليوبية ، ونوقش البحث المشترك في ندوة عقدها المجلس العربي للطفولة أدارها الدكتور ممدوح جبر وزير الصحة الأسبق وحضرها زملاء مهتمون بقضايا الطفولة من تخصصات مختلفة ، وطالبت بضبط

النفس ، وناشدت الكويت ألا تسمح بأي تدخل أجنبي بين الأشقاء ، وأن نحاول معالجة أبنائنا نفسيا لإخراجهم من هذه الأزمة ، وأكدت أن أطفال الكويت لا ذنب لهم فيما حدث ، إلا أن الدكتورة كافية رمضان (كويتية) اختلفت معي في الرأي ، قائلة :

— *كيف ننسى هذا الانتهاك للأرض والدم والعرض ؟*"

وبالرغم من أنني أرى ألا ذنب للأطفال فيما حدث ، إلا أنني أعترف بأن "عندها حق" ؛ فالمصيبة كبيرة فعلا ولا يتوقع نسيانها إلا بعد سنوات كثيرة وبالنسبة لأجيال لم تعش هذه التجربة الأليمة .

ولكن كيف يمكن نسيانها والتاريخ يؤكد أن الشعوب لا تنسى ؟ ولدينا بالفعل من التجارب ما يؤكد عدم نسيان الشعوب ؛ فهذا عالم فرنسي يؤكد أن الشعب الفرنسي لا يمكن أن ينسى أن الألمان دخلوا فرنسا حتى باريس . كذلك فإن أستاذي في بداية خطواتي في فرنسا لإعداد دكتوراه الدولة (Emile SICARD) ، وهو أكبر عالم اجتماع تنموي على مستوى العالم ، والمفروض أن "الموضوعية" من سمات العلماء ، هذا الأستاذ الجامعي ، نبهني في أول لقاء تم بيننا لتحديد موضوع البحث أنه لا يحب ثلاثة : النساء ، والعرب ، والمصريين ...

أما النساء ، فلم أسأل عن سبب كراهية الأستاذ لهن ، وقلت له إن التعامل بيننا سوف يكون بين أستاذ وطالب ... ، ولكن سألته فقط عن سبب كراهيته للعرب ، وإجابته تضمنت أن ذلك بسبب "دخول العرب فرنسا بل ووصولهم إلى بواتييه" ، أما كراهيته للمصريين فهي ترجع إلى عام ١٩٦٠م لأن "المصريين ساعدوا الجزائريين على الاستقلال" ...

ويقول زميل فرنسي : "كيف يمكن أن يحب الفرنسيون جيرانهم الألمان ووسائل الإعلام الفرنسية تدعم كراهيتهم لهم من خلال الأفلام التسجيلية والأفلام الروائية التي تحكي قصة الحرب العالمية الثانية ...؟ "

وبالرغم من قناعتي بصعوبة الغفران والنسيان ـ فنحن بشر ـ إلا أن مناشدتي لهذا الجمع في المؤتمر الخاص بالطفل ، لكي ننسى وأن نفتح صفحة جديدة ، كانت مبنية على نتائج البحث الميداني الذي عرضنا نتائجه عليهم ، والذي نشر بعد ذلك في دورية كلية التربية بجامعة عين شمس ، ونتائج بحث آخر عن تأثير البث التليفزيوني لهذه الحرب على الشاشة الصغيرة على الطفل ، والذي ناقشنا نتائجه افي مؤتمر دولي للإعلام عقد في البرازيل ، ونشر في دورية علمية تصدرها جامعة باريس ، ولأول مرة ، نعرض ترجمة عربية له في صفحات تالية في هذا الكتاب ، بعد مرور حوالي ١٤ سنة عليه ، فما زلنا نعيش آثار هذا الغزو العراقي للكويت .

ـ الأسرى الكويتيون

بعد شهور الحرب ، وقبل الخروج من عنف الصدمة الأولى لها ، بدأت أنتبه لموضوع الأسرى الكويتيين الذي انضموا إلى صفوف الأسرى الإيرانيين في سجون العراق .

أرسلت برقية مفتوحة للرئيس العراقي على صفحات جريدة الحقيقة أطالبه فيها بالإفراج عن الأسرى الكويتيين ، ثم أرسلت إليه خطابا مفتوحا عن هذا الموضوع على صفحات الجريدة نفسها ، وجاءنا رد كتابي في

خطاب ممهور باسم السيد قيس محمود موسى ـن قسم رعاية مصالح العراق بسفارة الهند بالقاهرة [1] ...

وضقنا ذرعا بكل هذا التلاعب ، ونشرنا الرد في جريدة **الحقيقة** ـــ التي ننتهز الفرصة لكي نشكر رئيس تحررها الصديق محمد عامر ـــ وحمل ردنا العنوان "حسبنا الله ونعم الوكيل" . وفي نهاية هذا الـــرد فقـــرة بـــدأناها بتساؤل :

ـــ **إلى متى نقف عاجزين أمام إبادة شعوبنا ؟ (وحديث الأمس هـــو حديث اليوم !)** ، ورجوت أن يقرأها المسئولون بتؤدة وتمعن وتبصر لكـــل كلمة فيها ، فهي وجهة نظر استشرافية لمستقبل منطقتنا العربية والإســـلامية في ظل غياب ما يطلق عليه اسم "الشرعية الدولية" ...

وقد حدث ، فقد بغت العراق وغزت جارة لها شقيقة مع تقاعس كافة الأشقاء عن وضع حد بأيديهم لهذه المهزلة . وفي أفغانستان كشفت عـــورات سهلت الاعتداء عليها بالسلاح وتعرضـــت دول عربيـــة وإســـلامية أخـــرى للتهديد ، مما جعل دولة حدودية تسارع بإلقاء السلاح والاستســـلام ، وهـــي دولة تشترك مع مصر في حدودها الشرقية!!

ونذكر هنا قول ابن الرومي في الأحدب [1] :

قصرت أخادعه وغاب قذاله ... فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنما صـــفعت قفـــاه مرة ... وأحس ثانيـــة لها فتجمعا

---

(1) انظر ملحق الوثائق .

(1) لم تسعفني بهما الذاكرة بهذين البيتين، ولم أتذكر منهما سوى الشطر الأول من البيت الثاني ، وساعدني على تحقيقهما الزميل الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم أستاذ الأدب بكلية دار العلوم / جامعة القاهرة ، واسجل هنا شكري له .

وهكذا ، أصبحنا دويلات قزمية من حيث القوة ، نتوقـــع الصـــفعات والركلات والضربات القاضية ، فيزيد تقزمنا أكثر وأكثر... ، حتـــى أصـــبح في الإمكان لأي منتعل أن يدوس علينا ، إنها ــ كما يقول استاذنا بن مالك ــ "القابلية للاستعمار" يا ســـادة ، ولن يغير الله ما بقـــوم حتـــى يغيـــروا مـــا بأنفسهم .

أما غيرنا ، ويا ويلنا إذا لم ننتبه ونستيقظ ، فإنه ينتشـــي ، ويـــزداد صلفا وغرورا ، ويتحول ــ بقدرة قادر ــ إلى فرعون ، ويقتل أبناءنا وبناتنا وشيوخنا ... ، ويقيم الجدار العازل ، وما أدراكم ما هو الجدار العازل !!...

فهل من مدكر؟؟

لقطة ثالث عشرة : بالوثائق والمستندات ، أعداد الأسرى الذين تم الإفراج عنهم من الجانب العراقي والجانب الإيراني

ــ قبل مؤتمر "السلام في الإسلام" والذي عقد في بغداد في ينـــاير عام ١٩٨٩م

قبل انعقاد المؤتمر ، وتحت مظلة الأمم المتحدة ، وبوســـاطة هيئـــة الصليب الأحمر ، تم الإفراج عن ٣١١ أسير على النحو التالي :

ــ قبل العشرين من أغسطس عام ١٩٨٨م ، تاريخ وقف إطلاق النـــار بين العراق وإيران ، كانت إيران قد أطلقت سراح ٢٨ أسيرا عراقيا .

ـــ وبتاريخ ١٠ و ١١ نوفمبر عام ١٩٨٨م ، ومع مباحثات جنيــف ، تم إطلاق سراح عدد من الأسرى على ثلاث دفعــات بإجمــالي ١٥٥ أسير عراقي أفرجت عنهم السلطات الإيرانية ، و٥٦ أسيرا إيرانيا فقط أفرجت عنهم السلطات العراقية .

مما سبق ، يتضح أن الأسرى الذين أفرج عنهم من كلا الجانبين منذ اندلاع الحرب العراقية الإيرانية ، أو بالتحديد منذ ١٧ فبراير ١٩٨٨م ـــ قبل رحلتنا إلى بغداد ـــ كان عددهم على النحو التالي :

ـــ ٢٥٥ أسير عراقي أفرجت عنهم السلطات الإيرانية ،

ـــ مقابل ٥٦ أسيرا إيرانيا أفرجت عنهم السلطات العراقية .

وبهذا ، فإن النسبة هنا هي ١١ أسيرا إيرانيــا مقابــل ٣٩ أســـيرا عراقيا ، أي قرابة أسير واحد مقابل كل أربعــة ، ١ : ٤ ، ويــدّعون فــي العراق أن إيران ترفض تبادل الأسرى !!

ـــ بعد انتهاء جلسات المؤتمر الثاني للمجلس الأعلــى للشــئون الإسلامية الذي عقد في بغداد في يناير ١٩٨٩م

بعد مداخلاتنا في جلسات هذا المؤتمر ، ولمدة ســنة تقريبــا ، تــم الإفراج عن ١٠٣٤ أسير من الجانبين (مقابل ٣١١ أسير فقط قبل المــؤتمر) توزيعهم على النحو التالي :

ـــ خارج العمليات الرسمية للصليب الأحمــر ونشــاطه الرســمي ، أفرجت العراق بعد ندائنا الإنساني عن ٢٥٥ أسير إيراني على دفعتين :

١٣١ أسير بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٨٩م ،

و١٢٤ أسير في اليوم التالي الموافق ٢٤ يناير .

ومقابل إفراج العراق عن هذا العدد من الأسرى الإيـــرانيين ، ٢٥٥ أسير ، أفرجت إيران عن ٣٤٨ أسير عراقـــي — أي بزيـــادة مقـــدارها ٩٣ أسيرا أكثر ممن أفرجت عنهم العراق . هذا وقد تم الإفراج عـــن الأســـرى العراقيين لدى الجانب الإيراني على ثلاث دفعات وذلك خلال ثلاثـــة شـــهور على النحو التالي :

— ٢٣٣ أسير إيراني تم الإفراج عنهم بتاريخ ٢٣ فبراير عام ١٩٨٩م، أي بعد حوالي شهر من إفراج العراق للأسرى الإيرانيين ،

— ثم تم الإفراج عن ٦٦ أسيرا عراقيا في ١٠ أبريل ، أي بعد أقل من شهرين ،

— والدفعة الثالثة كانت ٤٩ أسيرا عراقيا كانوا في الســـجون الإيرانيـــة وتم الإفراج عنهم في ٢١ مايو ، أي بعد حوالي شهر ونصف الشهر من الإفراج عن المجموعة الثانية التي سبق الإفراج عنها .

وكانت مباحثات جنيف في ١٠و١١ نوفمبر عام ١٩٨٨م قد طالبـــت بإطلاق سراح كل الأسرى المرضى . وبتاريخ ٣٠ أكتوبر عام ١٩٨٨م مـــن العام نفسه ، أي بعد قرابة خمسة شهور من تاريخ الإفراج عن آخر مجموعة من الأسرى ، تم تبادل للأسرى بين الجانبين على النحو التالي :

— أفرجت إيران عن ٢٥ أسيرا عراقيا ،

— وأفرجت العراق عن مثل هذا العدد بالنسبة للأسرى الإيرانيين ،

— وفي السابع من ينـــاير عام ١٩٩٠م ، أفرجت إيران عن ٥٠ أسيرا عراقيا ، هذا بصـــرف النظر عن الإفـــراج في ٢٢ أغسطس عـــام ١٩٨٩م عن ستة أسرى صوماليين كانوا في سجون إيران ،

ـــ وفي ١٨ يناير من العام نفسه ، أفرجت العراق عن ٢٠ أســيرا من الإيرانيين الذين في سجونها .

ما سبق ذكره ، يشير إلى أن الأسرى الذين تم الإفراج عــنهم فــي غضون سنة من تاريخ انعقاد المؤتمر الثــاني للمجلــس الأعلــى للشــئون الإسلامية في بغداد والذي أثرنا فيه موضوع الأسرى وأهمية الإفراج عــنهم قد وصل عددهم إلى ١٠٣٤ أسير ، منهم ٦٧٨ أسير عراقي أفرجت عــنهم إيران ، مقابل ٣٥٦ أسير إيراني أفرجت عنهم العراق ، أي بنسبة تكاد تكون أسيرا إيرانيا واحدا مقابل أسيرين عراقيين ، بينما استجابة الدولتين للإفــراج عن الأسرى تحت مظلة الصليب الأحمر قبل مداخلتنا في بغداد وحتى عودتنا إلى أرض الوطن كانت بنسبة أسير واحد إيرانــي مقابــل أربعــة أســـرى عراقيين .

وبالرغم من أن إيران كانت سبّاقة فــي القيــام بمبــادرات إنســانية لإطلاق سراح الأسرى ـــ وإن كانت مبادرات "واجبة" مــن وجهــة النظــر الإسلامية أيضا ـــ حيث اهتمت إيران قبل العراق بالإفراج عن أعــداد مــن الأسرى العراقيين لديها ، والتي نستخلصها مما سبق ذكره عند قــراءة عــدد الأسرى المفــرج عنهم من كلا الجانبين ، ومن قراءة التــواريخ التــي تــم الإفراج فيها عن هؤلاء الأسرى . إلا أن إيران قد تأخرت شــهرا (مــن ٢٣ و٢٤ يناير عام ١٩٨٩م إلى ٢٣ فبراير) قبل الاستجابة الإنسانية التي قام بها الرئيس صدام عندما أصدر قراره التاريخي بالإفراج عن ٢٥٥ من الأســرى (بعدد أعضاء وفد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والذين حضروا جلســة المؤتمر التي عقدت في مقر صدام وبحضوره ، عندما أصدر قراره بالإفراج عن "عدد من الأسرى الإيرانيين مساو لعدد الحاضرين في هذا اللقاء الــذي

تم في بغداد) ، حيث أفرجت إيران ــ بعد وساطة إنسانية من صديق فاضـــل لدى الرئيس الإيراني آية الله الخميني ــ رحمه الله ـــ خصوصـــا وأن إيران كانت قد أفرجت عن ٢٥٥ أسير عراقي من قبل ، ولم تفرج العـــراق حتـــى انعقاد مؤتمرنا الموقر إلا عن ٥٦ أسيرا إيرانيا فقط قبل الإفراج عـــن هـــذا العدد الذي يتساوى وعدد الأسرى العراقيين الذين أفرجت عنهم إيـــران مـــن قبل ، ربما ، إلا أن الرئيس الإيراني قال (للصديق الذي ذكرّه بإطلاق صدام لأسرى إيرانيين عددهم ٢٥٥ أسير إيراني على مجموعتين بعد إطـــلاق ٥٦ أسيرا فقط طوال عام مضى) ، قال الرئيس الإيراني لهذا الصـــديق ــ الـــذي قام بالوساطة بيننا ــ ما مفاده أن العراق لم يطلب مبادلة الأسرى بـــالإفراج عن مثلهم ، ولكن ، سيدي الرئيس "وما جزاء الإحسان إلا الإحسان" ، وفزنا بإطلاق سراح عدد من العراقيين أكبر بكثير من عدد الأســـرى الإيـــرانيين الذين أصدر صدام قراره بالإفراج عنهم ، ٧٢٣ أسير ، ٤٢٣ أسير عراقي ، و٣٠٠ أسير إيراني ، وهذا يعني أن كل عضو من أعضـــاء وفـــد المجلـــس الأعلى للشئون الإسلامية والذين حضروا هذا اللقاء ــ والذي أراه أنـــا لقـــاء تاريخيا يجب أن نتذكره جميعا ، فهو يشير إلى شفافية رئـــيس عربـــي فـــي موقف إنساني ــ فك الله أسره ــ استطاع به علـــى المســـتوى السياســـي أن يكسب احترام شعبه داخل بلده وعلى المستوى العربي والإسلامي ، وإنســـانيا على مستوى العالم .

هكذا ، كسب كل عضو في المؤتمر حضر اللقاء مع صدام فك أســـر حوالي ثلاثة أسرى ، فك رقبة ، وذلك إذا تساوينا جميعا في هذا الفضـــل ــ بالرغم من أن الرئيس الخميني خص الطبيب الذي نقل له الواقعـــة بـــإفراج صدام عن ٢٥٥ أسير ورسالتي الشفاهية إليه ، وخصني أنا أيضا ، بعدد من

الأسرى ، باسم كل منا نحن الاثنين ، جعله الله في ميزان حسناتنا جميعا يوم القيامة ، اللهم آمين .

وما سبق ، كان ردا بالأرقام على وزير الأوقاف العراقي الذي نفى أمام أعضاء المؤتمر الثالث للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية والذي عقد بالقاهرة ، نفى سيادة الوزير أن تكون السلطات الإيرانية قد أطلقت سراح أسرى عراقيين من الموجودين في سجون إيران .

وننتقل الآن لكي نفند بعض ادعاءات وزير الأوقاف العراقي عندما كذب نفسه بعد مواجهته فقال بأن ما تم الإفراج عنهم من الأسرى العراقيين هم المرضى !!

فمن خلال سجلات الصليب الأحمر بالقاهرة ، خرجنا أيضا بالأرقام التالية ، والتي نراها منطقية ؛ فكيف يتصور عاقل أن يتم الإفراج عن الأسرى المعافين وترك الأسرى المعاقين والمرضى وكبار السن في السجون ؟؟

والملاحظ هنا ، أنه ، ومنذ بداية الصراع بين العراق وإيران ، لم تستطع هيئة الصليب الأحمر القيام بواجبها في حماية أسرى الحرب إلا بأعداد ضئيلة ، بل ولم يستطع مندوبوها مقابلة هؤلاء الأسرى ، سواء الأسرى الإيرانيين في السجون العراقية ، أو الأسرى العراقيين في السجون الإيرانية ، إلا أن هذا لا ينفي أن بعض الأسرى من الجرحى والمرضي قد استفادوا بالمادة رقم ١٠٩ وما بعدها والتي تنص عليها اتفاقية جنيف .

ولكن ، لم تستطع هيئة الصليب الأحمر في أثناء زياراتها التي قامت بها في الفترة من ١٩٨٦-١٩٨٧م أن تقابل أيا من الأسرى الذين بلغ عددهم في ذاك الوقت ٧٠٠٠ أسير حسب الأرقام المعلن عنها قبل نهاية عام

١٩٨٤م ، ولم يتوصل الصليب الأحمر إلى أي معلومات بخصوص هـؤلاء الأسرى ، مما يعني انتهاكا لحقوق الإنسان ، وهذا يفسر البيان الذي أرسله الصليب الأحمر في ١٥ يوليو لكلا الجانبين .

ودارت الأيام ، وأصبحنا نسمع ونقرأ عـن نجـاح هيئـة الصـليب الأحمر في إيفاد مندوبين لزيارة صدام في أسره ، مرة يـوم ٢٢ فبرايـر ، ومرة ثانية في ٢٨ أبريل ، ويشرب صدام حاليا من الكأس نفسه الذي أذاقه للآلاف من أبناء إيران والكويت .

ولكن نرجع ونقول : اللهم لا شماتة .

بل وندعو له الله أن يفك أسره .

فلو كان بجوار صدام ناصح أمين له ، ما وصل عليه الحال إلى هذا المنزلق الذي لا ندري متى النجاة منه .

ـ بصحبة ممثلين للصليب الأحمر

بناء على اتفاقية جنيف والخاصة بتبادل الأسرى الجرحى والمرضى بين البلدين ، وبفضل مباحثات وجهود مكثفة بخصوص ذلك في مقر الصليب الأحمر في جنيف في ١٠ و١١ نوفمبر ، أي قبل انعقاد مؤتمرنا ، كان مـن المفروض الإفراج عن كل الأسرى المعاقين قبل نهايـة عـام ١٩٨٨م كمـا تنص على ذلك المواثيق الدولية ، وينطبق ذلك على الإفـراج عـن ١١٥٨ أسير إيراني كمجموعة أولى ، يليهم الإفراج عن ٤١١ إيرانيا ، وقد تم تحديد أسماء هؤلاء الأسرى المعاقين الواجب الإفراج عنهم أثناء زيارة أعضاء من الصليب الأحمر للمعسكرات والمستشفيات في البلدين ، على أن يتبع ذلك في مرحلة تالية الإفراج عن الأسرى الجرحى والمرضـى والـذين هـم غيـر

معروفين بالنسبة للصليب الأحمر . وقد بلغ عدد ممثلي الصليب الأحمر الذين زاروا الأسرى في الجانبين في نهاية ١٩٨٧م ٣٧ شخصا ، منهم ١٦ عضوا محليا .

إلا أن الإفراج عن الأسرى والذي بدأ في ٢٤ فبراير توقف في ٢٧ فبراير بعد ثلاث رحلات ، مع ملاحظة أنه لم يتم الإفراج إلا عن ١٥٥ أسير عراقي و٥٦ أسيرا إيرانيا .

وقد قام ممثلو الصليب الأحمر بست زيارات لإحدى عشر معسكرا لأسرى الحرب الإيرانيين في العراق عام ١٩٨٨م ، حيث سجلوا في أثناء زياراتهم للأسرى القبض على ٢١ أسير حرب قبض عليهم حديثا ...

وها هي الأيام تدور دورة كاملة ، فتنقلب الأوضاع ، ويصبح الرئيس صدام أسيرا يزوره أعضاء في الصليب الأحمر ، والأيام دول "تداولها بين الناس" ،

فهل نتعظ ؟؟





صورة مركبة لصدام بثتها شبكة الإنترنت

لقطة أخيرة : صورة لصدام بعد القبض عليه في دراسة ميدانيـــة

نتائج الدراسة الميدانية

أولا ــ خصائص العينة

١ ــ النوع والسن والحالة الاجتماعية

أجريت هذه الدراسة في شهر فبرايـــر عـــام ٢٠٠٤م علـــى عينـــة عشوائية غير احتمالية قوامها ١٠٠ مفردة ، ٥٦ ذكور و٤٤ إناث . وتتوزع هذه العينة من ناحية السن في أربع فئات على النحو التالي :

جدول رقم ١
توزيع عينة الدراسة تبعا للسن

الفئة السنية	المجموع والنسبة%
أقل من ٣٠ سنة	٣٩ [1]
من ٣٠ إلى أقل من ٤٠	١٩ [2]
من ٤٠ إلى أقل من ٥٠	١٧ [3]
٥٠ سنة فأكثر	٧ [4]
لم يحدد السن	١٨
الإجمالي	%١٠٠

(جدول رقم ٢)
توزيع العينة تبعا للنوع وبحسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	ذكور		إناث		المجموع والنسبة %
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	
متزوج	٢٦	٤٦,٤	١٥	٣٤,١	٤١
غير متزوج	٢٠	٣٥,٧	١٩	٤٣,٢	٣٩
مطلق	١	١,٨	٢	٤,٥	٣
غير مبين	٩	١٦,١	٨	١٨,٢	١٧
الإجمالي	٥٦	١٠٠	٤٤	١٠٠	%١٠٠

(قيمة مربع كا ٠,٥٥٠)

---

[1] ١٨ سنة : ٥ ، و١٩ سنة : ٣ ، و ٢٠ سنة : ٥ ، و ٢١ سنة : ٨ ، و ٢٢ سنة : ٥ ، و ٢٣ سنة : ٣ ، و ٢٤ سنة : ٦ ، و ٢٥ سنة :٢ ، و٢٦ سنة : ٢.

[2] ٣٠ سنة : ٢ ، و٣١ سنة : ١ ، و ٣٢ سنة ٢، و ٣٣ سنة : ٣ ، و ٣٤ سنة : ٢ ، و ٣٧ سنة : ٣ ، و ٣٨ سنة : ٣ ، و ٣٩ سنة : ٣

[3] ٤٠ سنة : ١ ، و ٤٢ سنة : ١ ، و ٤٣ سنة : ٣ ، و٤٤ سنة : ٢ ، و ٤٥ سنة : ٢ ، و ٤٦ سنة : ٢ ، و٤٧ سنة ١ ، و ٤٨ سنة : ٣ ، و ٤٩ سنة : ٢ .

[4] ٥٢ سنة : ١ ، و ٤٥ سنة ١ ، و ٥٥ سنة : ١ ، و ٥٦ سنة : ٢ ، و ٥٨ سنة ١ ، و ٥٩ سنة : ١ .

بالنسبة للحالة الاجتماعية ، فإنه إلى جانب ١٧ حالة لم تجب عن هذا السؤال ، كانت نسبة المتزوجين أكبر قليلا من نسبة غير المتزوجين ، ولم نجد علاقة قوية بين النوع في هذه العينة وبين الحالة الاجتماعية .

٢ ـ المستوى التعليمي والعمل

يلاحظ في هذه العينة أن نسبة التعليم الجامعي فأكثر تصل إلى ٧٩% ، فالباحثون الذين قاموا بجمع البيانات ، وهم من الدارسين في الفرقة الأولى بمرحلة الدبلوم في الكلية ، قد طبقوا البحث على أصدقاء أو زملاء في العمل ، وهذا يظهر أيضا عند فحص العينة فيما يتعلق بالوظيفة أو العمل كما سنرى فيما بعد .

(جدول رقم ٣)
يوزع عينة الدراسة بحسب العمل

العمل: المجموعة	العمل: الفئة	التكرار	النسبة %
يعمل بأجر	موظف حكومة	٣	%٤٧
	كادر غير إعلامي	٢٦	
	إعلامي	١٨	
لا يعمل بأجر	طالب	٢٠	%٣٢
	ربة بيت	٢	
	ع المعاش	٢	
	لا يعمل	٨	
أخرى	باحث	٤	%١٥
	أخرى	١١	
المجموع		٩٤	%٩٤
غير محدد		٦	%٦
الإجمالي		%١٠٠	%١٠٠

يلاحظ من الجدول السابق أن ستة مبحوثين لم يذكروا طبيعة عملهم ، وأن ٣٢ مفردة لا تعمل حاليا بأجر (وهي الفئات : طالب ، وربة بيت ، و"ع المعاش" ، ولا يعمل) . كذلك يلاحظ ارتفاع نسبة الإعلاميين (١٨ تكرارا ما بين مذيع ومعد برامج ومخرج ومترجم وموظفة علاقات عامة)[1] كذلك يرتفع عدد المدرسين في هذه العينة إلى ١٥ حالة ، حيث إحدى الدارسات تعمل بإحدى المدارس ، هذا إلى جانب معيد ومدرس مساعد (أربع حالات) ، ومحاسب (٣) ، وأعمال إدارة عليا وإشرافية (٣) ، وضابط شرطة ومهندس وتاجر ووظائف أخرى ... والجدول التالي يوزع العينة تبعا للمستوى التعليمي ويبين ارتفاعه ، حيث ٧٩% حاصل على شهادة جامعية .

(جدول رقم ٤)
توزيع عينة الدراسة
تبعا للمستوى التعليمي

المستوى التعليمي	النسبة%
يقرأ ويكتب	١
ثانوية عامة أو ما في مستواها	١٨
شهادة جامعية وما في مستوها	٥٨
مستوى أعلى من الجامعي	٢١
غير محدد	٢
الإجمالي	١٠٠%

٣ ـ حجم المشاركة والتجاوب

أ ـ إبداء الرأي

في نهاية الاستمارة ، وبعد السؤال عن البيانات الشخصية ، وكما هي عادتنا في معظم البحوث الميدانية التي نجريها ، أضفنا سؤالا لمعرفة ما إذا كان المبحوث يود إضافة أي ملحوظات أو آراء بخصوص الموضوع الذي نتناوله بالدراسة . إلا أن ٥١ مفردة لم ترد على هذا السؤال (فهو سؤال

---

(1) سبق وقلنا عند الحديث عن المستوى التعليمي إننا اعتمدنا لجمع بيانات البحث الميداني على طلبة الفرقة الأولى في دبلوم قسم الإذاعة بالكلية ، والذين لجأوا بدرجة كبيرة إلى زملائهم في العمل لملء الاستمارات .

اختياري ، بمعني أنهم يمكنهم تركه ، هذا بالرغم من أن الاستمارة كانت تحتوي فقط على ١١ سؤالا ، والبيانات الشخصية ، وهذا السؤال الخاص بأي إضافات يود المبحوث تسجيلها!) . وقد أجاب بنعم ٣٥ مفردة وبأن لديهم ما يودون إضافته ، ولكن ١٢ منهم فقط هم من قاموا بتسجيل ما يودون قوله أو إضافته ، مما يعني أن ١٢ % فقط في هذه العينة المدروسة هم الذين يتصفون بالإيجابية والفاعلية ، مع ملاحظة ارتفاع نسبة التعليم فيها !! ...

(جدول رقم ٥)
العلاقة بين إبداء الرأي والنوع

إبداء الرأي	النوع		المجموع %
	ذكور	إناث	
أبدى برأي	١	٥	١٤
لم يبد برأي	١٦	١٩	٣٥
بدون إجابة	٣١	١٩	٥٠
الإجمالي	٥٦	٤٤	%١٠٠

ومن بيانات الجدول رقم ٥ يبدو أن الإناث في العينة أكثر إبداء للرأي من الذكور (مع الأخذ في الاعتبار موضوع البحث) ، حيث إن ٥٥,٤% من الذكور لم تجب عن السؤال الخاص بالرأي مقابل ٤٣,٢% من الإناث ، ويؤكد ذلك أيضا أن نسبة ١١,٤% من الإناث قد أبدت برأيها مقابل ١,٨% من الذكور في العينة نفسها . ولكن ، عند الفحص الإحصائي لنتائج هذه الجزئية ، لم يسفر البحث أو يكشف عن علاقة قوية بين إبداء الرأي والمتغيرات الديموغرافية المدروسة ، ربما بسبب الموضوع ؛ فإنه (وبترتيب المتغيرات من الأقل ارتباطا فالأكثر ارتباطا) ، خرج البحث بمعامل ارتباط قيمته ٠,٧٣٠ بالنسبة لإبداء الرأي في هذا البحث والسن ، و٠,٤٣٣ للعلاقة بين إبداء الرأي والعمل ، و٠,٣٢١ فيما يتعلق بالحالة الاجتماعية ، والتعليم

وإبداء الرأي ٠,٢٧١ ، والعلاقة الارتباطية بين النوع وإبداء الرأي في هـذا البحث ٠,٢٧٠ ، وذلك وفقا لمعامل بيرسون .

ب ــ ذكر الإسم

ذكرت ٥٣ مفردة في العينة أسماءها ، ومنهم حالتان رمزتـا للاسـم بالحروف الأولى اللاتينية لاسم كل منهما ، وقد يفسر هذا بالتـأثير الأجنبـي على الهوية المصرية ، مقابل ٤٧ مفردة فضـلت عدم ذكر الإسم ، بـالرغم من أن السؤال عن ذلك كان في نهاية الاستبيان ، إلا أنه كان اختياريا ، مما يفسر ارتفاع نسبة عدم الاستجابة بالنسبة لذكره إلى ما يقرب من نصف حجم العينة . وكانت قيمة معامل الارتباط بين ذكر الاسم والنوع ٠,٤٢٠ ، بينمـا كانت قيمتــه بالنسـبة للحالـة الاجتماعيـة مـثلا ٠,٠٢١ ، حيـث كـان غيرالمتزوجين أكثر تفاعلا بخصوص ذكر الاسم عن المتـزوجين ، ربمـا بسبب العلاقة بين الزواج والسن ، حيث يوجد ارتباط قوي في هـذا البحـث بين ذكر الاسم والسن (٠,٠٠٠) لصـالح فئة صغار السن . أمـا بالنسـبة للعمل ، فإن قيمة مربع كا بينه وبين ذكر الاسم ٠,٠٦٩ ، إلا أنه أقوى مـن الارتباط بين ذكر الاسم والتعليم الذي هو ٠,٧٤٦

ثانيا ــ صورة صدام في قرية ماكلوهان و"التليفون العربي"

كان السؤال المدخل للدراسة الميدانية الخاصة بصورة الرئيس صدام بعد القبض عليه ، كان السؤال مخصصا لمعرفة مـدى متابعـة المبحـوثين للعدوان الأمريكي على العراق ، وقد حصلنا من هذا السؤال على الإجابـات التالية :

ـ ٨٠ مفردة تابعت هذه الأحداث وباهتمام شديد ،

ـ حالتان تابعوها ببعض الاهتمام ،

ـ ١٦ تابعوها ولكن بدون اهتمام ،

ـ وحالتان ، إحداهما لم ترد على هذا السؤال ، والأخرى لم تتابع هذه الأحداث ، والسبب هو *الحسرة والندم الشديد على ما آل إليه حال العرب حيث يتملكني الاكتئاب الشديد عند سماع الأخبار المفجعة عن العراق* " (٢٣ سنة) .

هذه الإجابة تذكرني شخصيا بالحالة التي كنت قد وصلت إليها بعد عدة أسابيع من متابعة تلك الأحداث في عديد من وسائل الإعلام الإليكترونية والمطبوعة ، إلى أن وجدت نفسي في حالة كآبة شديدة لدرجة عدم احتمال متابعة الموقف من التشبع ، فبحثت عن بعد وبلمسة إصبع عن أي قناة انتقه من تقديم أخبارها ، وعثرت إلى قناة كانت تبث مسابقة للتزلج على الجليد على أنغام بعض المقطوعات الموسيقية العالمية (Patinage artistique) ، فقد هربت بفكري مبتعدة تماما عن تأثير كل هذا العنف على المدنيين ، والذي نراه منتشرا ، سواء في العراق أو في فلسطين أو في مناطق أخرى كثيرة على مستوى العالم ، بل وكل هذا العنف انعكس أيضا على موضوعات الحوار بيننا ، في البيت وفي خارج البيت .

١ـ إنها حقا قرية ماكلوهان الإليكترونية[1]

بالسؤال عن متى شاهد المبحوث صورة الرئيس صدام بعد القبض عليه ، خرجنا بنتيجة مفادها أن أكثر من ٦٠% من العينة المدروسة قد

[1] للاستزادة ، إرجع إلى كتابنا : الدش والإنترنت في قرية ماكلوهان الإليكترونية .

شاهدت هذه الصورة في اليوم نفسه الذي نشرتها فيه وسائل الإعلام ، وخصوصا الإليكترونية ، اليوم نفسه الذي قيل فيه إنه قد تم القبض على الرئيس العراقي صدام حسين ؛ نعم إنها حقا قرية ماكلوهان الإليكترونية ، والتي بفضلها أصبح مفهوم الخبر يحدد بأنه "يحدث الآن" ، والذي نعيشه في النقل "ع الهوا" مباشرة لغارات تقوم بها بعض قوات عسكرية على مدنيين بعيدين تماما عن إدراك وفهم الأسباب التي تختفي وراء تشريدهم وقتل ذويهم تحت بصرهم وهم في أحضانهم ...

(جدول رقم ٦)

تاريخ مشاهدة صورة صدام بعد القبض عليه

تاريخ مشاهدة صورة صدام	التكرار	النسبة%
يوم القبض عليه	٥٩	٦٢,١
ثاني يوم القبض عليه	٢٦	٢٧,٤
لا يتذكر	١٠	١٠,٥
الجملة	٩٥	٩٥
بدون إجابة	٥	٥
الإجمالي	١٠٠	١٠٠%

٣٤ مفردة من المبحوثين حددوا الساعة التي شاهدوا فيها صورة صدام لأول مرة ، وذلك بنسبة ٤٠% ممن حددوا يوم مشاهدتهم لصورة صدام (٨٥ مفردة) ، ولكن يوجد أيضا من لا يتذكر الوقت الذي شاهد فيه تلك الصورة ، ولا حتى اليوم الذي شاهدها فيه . ومنهم من حدد الوقت الذي شاهد فيه صورة صدام بالساعة ، بل وبنصف الساعة أيضا ، ولكن منهم من حددها بالفترة الزمنية الممتدة ، بالقول إنهم شاهدوها "ظهرا" (٢٣ سنة ، مترجمة) ، أو "آخر النهار" (كاتب ، ٤٨ سنة) ... ، هذا وقد أشارت إجاباتهم بخصوص الوقت الذي شاهدوا فيه صورة صدام بعد القبض عليه إلى أنهم

شاهدوا هذه الصورة "قبل غياب شمس اليوم الذي أعلن فيه الغزاة الأمريكيون خبر القبض على الرئيس صدام" وذلك بالنسبة لنصف من تذكروا وقت مشاهدتهم لصورة صدام بعد القبض عليه ، مما يؤكد أننا فعلا نعيش في عصر قرية ماكلوهان الإليكترونية ...

(جدول رقم ٧)
توقيت مشاهدة المبحوثين لصورة صدام بعد القبض عليه

الوقت الذي شاهد فيه المبحوثون صورة صدام بعد القبض عليه	التكرار
من الساعة الحادية عشرة وإلى ما قبل الساعة السابعة مساء يوم قيل إنه تم القبض عليه (١)	١٨
من بعد الساعة السادسة وحتى ١٢ مساء	٨
بعد يوم القبض عليه (٢)	٣
إجابات أخرى (٣)	٢
لا يتذكر (٤)	٥
الإجمالي	٣٦

ولا توجد علاقة في هذا البحث بين المتغيرات الديموغرافية وبين الوقت الذي قال المبحوثون إنهم شاهدوا فيه صورة صدام ، حيث معامل الارتباط مع النوع ٠,٩٦٩ ، ومع العمل ٠,٨٧٦ ، ومع الحالة الاجتماعية

---

(١) حالتان ذكرتا الساعة ١١ صباحا (مقدم برامج بالشبكة الثقافية ومدرس عربي) ، و"١٢ ظهرا" مرة ، و" ظهرا" مرة ، و"آخر النهار" مرة ، و"السادسة مساء تقريبا" مرة ، ظهرا مرة ، و "٢ظهرا" مرتين ، و"الثانية" مرة ، و"٢,٣٠" مرة ، و"الثالثة ظهرا" مرة ، و"الرابعة عصرا" مرتين ، و"الخامسة مساء" مرتين ، و "الخامسة تقريبا أو الرابعة" مرة ، و"٦ مساء" مرة .

(٢) مساء اليوم التالي (مجند بكالوريوس) ، و"ثاني يوم مساء" ، و"بعد أسبوع" (٣٩ سنة ، موظف بالمكتبة المركزية) .

(٣) "ثالث يوم" (٢٠ سنة ، طالب تربية رياضية) ، و"قبل القبض عليه" (١٨ حاصلة على ثانوية عامة) ، ولا تعليق لنا على هذه الإجابة !

(٤) "لا أتذكر" (١٨ سنة طالب) ، و "لا أتذكر اليوم" (٢١سنة ، طالب) ، و ٥٦ سنة (كبيرة إخصائية بدرجة مدير عام) ، و"لا أتذكر متى ولكن أثناء الأحداث" (متخصصة علاقات عامة في متحف الفن المصري) ، و"لا أتذكر وأعتقد أنه قبض عليه قبل ذلك" (٤٠ سنة باحث تنمية إدارية بوزارة الكهرباء) .

٠,٨١٦ ، والتعليم ٠,٢٢٤ ، ولكن العلاقة بين المتغير المدروس هنا وبـين السن أهم ، فهي ٠,١٨٩

٢ـ "التليفون العربي" ودوره في انتشار خبر القبض على صدام

(جدول رقم ٨)
الحالة الاجتماعية ومعرفة خبر صورة صدام قبل مشاهدتها

سمع عن صورة صدام	الحالة الاجتماعية								النسبة %
	متزوج		غير متزوج		مطلق/أرمل		بدون إجابة		
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
سمع عنها أولا	٢٦	٦٣,٤	٢٠	٥١,٣	١	٣٣,٣	٢	١١,٨	٤٩
شاهدها أولا	١٣	٣١,٧	١٧	٤٣,٦	٢	٦٦,٧	١٣	٧٦,٤	٤٥
بدون إجابة	٢	٤,٩	٢	٥,١	٠٠	٠٠	٢	١١,٨	٦
الإجمالي	٤١	١٠٠	٣٩	١٠٠	٣	١٠٠	١٧	١٠٠	%١٠٠

(قيمة مربع كا : ٠,٣٢٢)

كل الحالات المائة المدروسة هنا ـ بما فيهم الحالة التي لـم تشـاهد الأحداث والأخرى التي لم ترد على السؤال المدخل للبحث ـ ذكروا أنهـم شاهدوا هذه الصورة التي نشرت للرئيس صدام بعد القبض عليه ، ولكن منهم من سمع عنها قبل مشاهدتها ، ومنهم من شاهدها قبل أن يسمع عنهـا علـى النحو التالي :

ـ ٤٨ مفردة سمعوا عن هذه الصورة قبل مشاهدتها بأعينهم ، ممـا يؤكد أهمية الاتصال الشخصي ، نقل الأخبار من الفـم إلـى الأذن ، والذي يطلق عليه زملاء فرنسيون اسم "التليفون العربي" ، ، بـالرغم من وجود وسائل حديثة في الاتصال لم تحصل إلا على نسـبة قليلـة مقارنة بنسبة الاتصال الشخصي في ترويج خبر القبض على صـدام والحديث عن صورته .

- ٤٤ منهم شاهدوا صورة صدام قبل أن يسمعوا عنها من أي أحد .
- ٨ منهم لم يحددوا إذا كانوا سمعوا بها قبل مشاهدتها أو أنهم شاهدوها بأنفسهم قبل أن يسمعوا عنها .

ومن بيانات الجدول رقم ٨ ، يلاحظ أن الاتصال الشخصي في نقل خبر القبض على صدام وبث صورته ترتفع نسبته بين المتزوجين إلى ٦٣,٤% أكثر مما بين غير المتزوجين ٥١,٣% . ولكن ، عند اختبار هذه النتيجة إحصائيا ، حصلنا على معامل ارتباط قيمته ٠,٣٢٢ بين الحالة الاجتماعية ومعرفة خبر هذه الصورة قبل مشاهدة الشخص لها ، وهذا يعني أنه من الصعب افتراض وجود علاقة قوية بين المتغيرين. وفي هذا البحث ، لم نجد كذلك علاقة قوية بين أي متغير آخر من المتغيرات الديموغرافية وبين سماع المبحوثين بالخبر الذي يتعلق بالقبض على صدام وبث صورته قبل مشاهدتهم الشخصية لهذه الصورة ، حيث معامل الارتباط مع النوع ٠,٨٢٤، ومع العمل ٠,٨٠٣، ومع التعليم ٠,٧٢٥ ، ومع الحالة الاجتماعية ٠,٣٢٢ ومع السن ٠,٣٠١

وعند سؤال من ذكروا في هذا البحث أنهم سمعوا عن هذه الصورة لصدام قبل مشاهدتهم لها بأنفسهم ، وهم بنسبة ٤٨% ، مقابل ٥٢% شاهدوها بأنفسهم قبل أن يحدثهم عنها أحد قبل ذلك ، لم نجد ما يشير إلى علاقة قوية بين هذا المتغير والمتغيرات الديموغرفية ، فمعامل الارتباط مع النوع ٠,٨٢٤ ، ومع التعليم ٠,٧٢٥ ، ومع الحالة الاجتماعية ٠,٣٢٢ ، ومع السن ٠,٣٠١ .

وبسؤال من سمعوا عنها (قبل مشاهدتهم لها بأنفسهم في وسيلة إعلامية) عن مصدر معرفتهم بهذه الصورة قبل مشاهدتها ، خرجنا بالنتيجة

التي يعرضها الجدول رقم ٩ ، والذي تشير بياناته إلى أن نسبة ٥٤,٨% منهم (٢٢ مقابل ٢٦ أي ١١ مقابل ١٣) ، لم يحددوا مصدر معرفتهم بهذا الخبر . وذكر بعض المبحوثين أنهم شاهدوها في وسائل مطبوعة ، وآخرون شاهدوا صورة صدام هذه على وسائل إليكترونية أخرى ، وبعضهم شاهدوها في وسائل مطبوعة وأيضا في وسائل إليكترونية في آن واحد .

(جدول رقم ٩)
"التليفون العربي"
ينشر خبر القبض علي الرئيس صدام

المصدر الشخصي لمعرفة المبحوث بخبر نشر صورة صدام بعد القبض عليه	التكرار
صديق أو زميل [1]	١٦
فرد أو أفراد في الأسرة [2]	٧
الأصدقاء والأقارب [3]	١
مصادر أخرى [4]	٢
المجموع	٢٦
بدون تحديد المصدر [5]	٢٢
الإجمالي	٤٨

٣ ــ وسائل إعلامية روجت صورة صدام بعض القبض عليه وأشاعتها

ظهرت وسائل الإعلام ــ بطبيعة الحال ــ بوصفها مروجا لصورة صدام بعد القبض عليه . ولكن ، بالرغم من أن السؤال الثالث كان عن "أول وسيلة إعلامية شاهد فيها المبحوث صورة صدام بعد اعتقاله" ، إلا أن ١٢

[1] الأصدقاء (ثلاث مرات) ، و صديق (ثلاث مرات) ، وأصدقائي (مرة واحدة) ، وزملائي في الشارع (مرة واحدة لشاب ، ٢٤ سنة معيد في أكاديمية الفنون) ، والزملاء في العمل أو في الدراسة (ثلاث مرات) .
[2] والدي (مرتين) ، ومرة واحدة لكل من : زوجي (مهندسة) ، و أختي الصغيرة (٢٣ سنة ، نهائي جامعة) ، وابنتي (مدرس عربي) ، والأب والأسرة (١٨ سنة ، طالبة)
[3] متخصصة علاقات عامة في متحف الفن المصري .
[4] رسالة محمول (مدرس) ، وقرأت شريط الأخبار على الأولى ,
[5] منهم : ربة بيت ، ومحاسب ، وموظفة ، ومهندس بالحكومة ، ومهندس ، ومهندس آخر ، ومحاسب ، وتمهيدي ماجستير ، و٢١ سنة حاصل على دبلوم معهد فني تجاري ولا يعمل ، و٢٣ سنة آداب لغة عربية ، وتاجر حاصل على الثانوية ، وبعض طلبة وطالبات ...

مبحوثا منهم ذكروا وسيلتين ، بل وأكثر ، وركز بعض المبحوثين على ذكر مصدر واحد شاهدوا فيه صورة صدام ؛ فقد جاء ذكر "قناة الجزيرة ، والعربية ، وجريدة الأهرام" (مدير عام في الشبكة الثقافية بالإذاعة) ، وقال آخر إنه شاهدها على شاشة العربية وذكر أيضا "التليفزيون ع الهواء" ، وأيضا الجزيرة نت وجريدة النهار والبي بي سي (كاتب) ، بينما بعض المبحوثين ذكروا مثلا مشاهدتهم لهذه الصورة على "قناة تليفزيونية" بدون تحديد اسم لقناة بعينها... ، فقد جاء ذكر "قناة مصرية" من ثلاث مفردات في العينة المدروسة ولم يحددوا اسم أي قناة (وهم طالب ومهندس وثالث حاصل على دبلوم في الاقتصاد بعد الجامعة) .

أ ــ وسائل إليكترونية روجت صورة صدام

نبدأ هنا التعرف على الوسائل التي شاهد المبحوثون منها صورة الرئيس صدام بعد القبض عليه بأحدث الوسائل التي يتميز بها العصر الحالي ، الإنترنت ، خصوصا وقد حققت هذه الوسائل الإليكترونية نسبة أكبر مما حققته الوسائل المطبوعة في هذا البحث . فقد جاءت نسبة مشاهدة صورة صدام على وسائل إليكترونية هنا بنسبة ٧٨% ، بينما الوسائل المطبوعة لم تحظ إلا بنسبة ٢٢% ، وهكذا فرضت الوسائل الإليكترونية نفسها ، وبكل خصائصها المتطورة ، خصوصا مع تصاعد الأحداث وانتشار العنف على مستوى العالم ... فهي توفر لنا الحالية بالنسبة للصوت وللصورة لأحداث لم يكن يوجد حل من قبل لمشاهدتها في التو واللحظة ، ونراها اليوم تحدث تحت ناظرينا .

ـ الإنترنت

في هذا البحث ، جاء ذكر أربعة مواقع كان كل منهـا وسـيلة فـي معرفة المبحوثين الأربعة بصورة الرئيس صدام بعد القبض عليـه ، وهـذه المواقع هي :

- "الجزيرة نت"
- " arab.com " (مدرس مساعد بالجامعة)
- "massrawy" (محاسب وذكر هذا الموقـع مـع القنـاة الأولى وجريدة الأخبار)
- "www : cnn.org" (٣٣ سنة ، ضابط شرطة)

ـ قنوات أرضية وفضائية عربية وأخرى أجنبية

٠١ قنوات مصرية

بالنسبة للقنوات المصرية ، والتي هي حاليا أرضية وفضائية ـ فقـد جاء ذكرها في هذه العينة ٥١ مرة على النحو التالي :

ـ احتلت القناة الأولى المصرية مركزا متقدما بالنسبة لكل القنـوات المصرية والعربية . فقد تكرر ذكر القناة الأولى المصرية ، ٣٢ مرة (بينما قناة الجزيرة ، وتلي الأولى المصرية في هذا البحث ، فقد جاء ذكرها ٣١ مرة) .

ـ والقناة الثانية لم يذكرها سوى شخص واحد (مقدم برامج بالإذاعة)

ـ أما قناة النيل للأخبار (وهي فضائية وأرضية في آن واحد) ، فقـد جاء ذكرها ١٣ مرة .

ـ بينما قناة "النايل تي في" لم تذكر سوى مرتين .

٢ . قنوات أخرى

من بين القنوات غير المصرية سواء المتخصصة في الأخبار أو العامة ، سجلت قناة الجزيرة القطرية في هذا البحث ٣١ تكرارا بوصفها الوسيلة التي شاهد على شاشتها المبحوثون صورة الرئيس صدام حسين بعد ، القبض عليه ، وبذلك تأتي الجزيرة في المرتبة الأولى بالنسبة للقنوات غير لمصرية التي شاهد فيها المبحوثون في هذا البحث صورة صدام .

كذلك جاء ذكر قناة "العربية" ، فلم يذكرها هنا سوى سبعة مبحوثين .

أما قناة الأخبار الكابلية العالمية والمعروفة بالمختصر "CNN" والتي ظهر موقعها على الإنترنت أيضا ، فقد ذكرتها خمس حالات (منهم حاصل على بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية محاسبة ، وآخر ، ٢٥ سنة ، حاصل على بكالوريوس إدارة أعمال ومحاسب في شركة كمبيوتر وذكر معها الجزيرة القطرية) ، وثالث ، ثانوية عامة ، وذكر أيضا الأهرام والأولى المصرية والجزيرة ، ورابع (مدرس مساعد بالجامعة ٣٢ سنة وذكر معها الجزيرة و "arab.com" ، ومديرة بالمكتبة المركزية وذكرت معها القناة الأولى المصرية والجزيرة القطرية ، هذا بالإضافة إلى موقع هذه الشبكة على الإنترنت ، كذلك جاء ذكر البريطانية "BBC" مرة واحدة .

ب ــ صحافة مطبوعة روجت صورة صدام

بالرغم من أن خبر القبض على الرئيس صدام وعرض صورته عند القبض عليه قد بثتها قنوات مصرية وأجنبية في الصباح (فهي الأسرع هنا) ، إلا أن بعض المبحوثين لم يعرفوا بها إلا من الصحافة المطبوعة ، ومعظمها لم ينشر عنها إلا في اليوم التالي لتاريخ بثها على شاشات التليفزيون بقنواته

الأرضية والفضائية ، سواء شاهدها أولا على شاشات التليفزيون المصري أو على شاشات غيرها لتليفزيونات عربية أخرى أو أجنبية ، وربما لجأ بعض هؤلاء إلى الصحافة المطبوعة لمعرفة التفاصيل بعد مشاهدة صورة صدام على شاشات التليفزيون ، وأنا من هؤلاء .

(جدول رقم ١٠)
الوسيلة الإعلامية التي شاهدت العينة من خلالها صورة صدام بعد القبض عليه

مجموعة الوسائل	التكرار	النسبة%	الوسيلة	التكرار	النسبة%
وسائل إليكترونية	١٠٣	%٧٨	قناة تليفزيونية مصرية	٥٥ [١]	٤١,٧
			قناة تليفزيونية عربية أخرى	٣٨ [٢]	٢٨,٨
			قناة تليفزيونية غير عربية	٦ [٣]	٤,٥
			على موقع في الإنترنت	٤ [٤]	٣
وسائل مطبوعة	٢٩	%٢٢	صحف مصرية	٢٧ [٥]	٢٠,٥
			صحف عربية غير مصرية	٢ [٦]	١,٥
الإجمالي	١٣٢	%١٠٠	الإجمالي	١٣٢	%١٠٠

فقد شاهد صورة صدام ١٢ مفردة من عينة البحث في جريدة الأهرام المصرية ، وعشرة كانت جريدة الأخبار هي الوسيلة التي شاهدوا فيها صورة صدام (حيث ذكرها مسئول علاقات عامة ، ٢٤ سنة ، ولكن مع قناة الجزيرة والعربية والأولى المصرية) . كذلك جاء ذكر جريدة الوفد مرة واحدة ، وأيضا جريدة صوت الأمة (كبيرة أخصائيين في المكتبة المركزية

---

(١) ٣٢ الأولى ، ١ الثانية ، ٢ نايل تي في ، ١٣ النيل للأخبار ، ٣ قناة مصرية (بدون تحديد)
(٢) ٣١ الجزيرة ، ٧ العربية
(٣) خمس تكرارات CNN و BBC مرة واحدة
(٤) " arab .com" و "www : cnn.org" و "الجزيرة نت" و "massrawy"
(٥) ١٢ الأهرام ، ١٠ الأخبار ، ٢ المساء ، وتكرار واحد لكل من الوفد ، وصوت الأمة ، ومجلة "TV"
(٦) النهار والحياة

بجامعة القاهرة) ، والمجلة المتخصصة "TV" (معـدة بـرامج بالإذاعـة) . كذلك جاء ذكر أسماء لصحف عربية غير مصرية ، "النهـار" مـرة واحـدة (دبلوم في الاقتصاد وجاء ذكره عند الحديث عمن ذكروا أكثر من وسيلة) ، و"الحياة" مرة واحدة أيضا (٥٤ سنة ، كبير مهندسي برامج الإذاعة) . وفـي هذا البحث ظهرت الجريدة المسائية أيضا في إجابات المبحوثين ، فقد جـاء ذكر جريدة المساء مرتين (حيث ذكرت مرة مع القناة الأولى) ربما بحثا عن التفاصيل الخاصة بالخبر الذي بثته في البداية وسائل إليكترونية . والجـدول رقم ١٠ يلخص ذلك .

ثالثا ـ مصداقية صورة الرئيس صدام التي نشرت له بعد القبض عليه لدى العينة المدروسة

أفصح التحليل الإحصائي للبيانات عن صعوبة وجود علاقة قوية بين تصديق أن الصورة التي نشرت في وسائل الإعلام هي فعلا صورة لصـدام حسين وبين المتغيرات الديموغرافية في هذا البحث ، حيث معامل الارتبـاط بين هذا متغير –الصورة والحالة الاجتماعية ٠,٨٤٩ ، ومع السن ٠,٤٦١ ، ومع العمل ٠,٤٤٨ ، ومع التعليم ٠,٣٨٢ ، ومع النوع ٠,٣٠٠

أما بالنسبة لذكر الاسم ، فإن معامل الارتباط بينه وبين أن الصـورة هي فعلا للرئيس صدام قيمته ٠,١٤٥ ، وهو أقوى ارتباط بالنسبة للاعتقـاد بأن الصورة التي نشرتها وسائل الإعلام صورة حقيقية ، حيث تشير الأرقـام التي في الجدول رقم ١١ إلى أن نسبة ٣٠% فقط ممن ذكروا اسمهم في هذا البحث هم الذين صدقوا أنها فعلا صورة صـدام ، مقابـل ٥٢% ممـن لـم

يذكروا اسمهم . فهل يرجع ذلك إلى تردد المبحوث في تسجيل اسمه بعـــد أن تحدث صراحة عن رأيه في الصورة التي كذبها آخرون ...؟!

(جدول رقم ١١)
الإفصاح عن الاسم وتصديق الصورة

الرأي في الصورة	الإفصاح عن الاسم				الإجمالي
	ذكر الاسم		لم يذكر الاسم		
	التكرار	%	التكرار	%	
صدق الصورة	١٥	٣٠	٢٦	٥٢	٤١
شك فيها	٢٣	٤٦	١٨	٣٦	٤١
لم يصدقها	١٢	٢٤	٦	١٢	١٨
الإجمالي	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠	١٠٠

وفيما يلي الأسباب التي أخذ بها المبحوثون لبناء هذا الحكم .

١ ـ أكثر من شبيه لصدام

نظرا لما شاع بأن لصدام أكثر من شـــبيه ، وســـبق وتحـــدثنا عـــن المتحدث باسم العراق الذي شاهدناه على شاشة التليفزيون الفرنسي بعد غزو الكويت ، وما كان معروفا عن صدام من قوة تصل إلى العنف ، والشـــائعات التي راجت حول مقتل صدام عند قصف أحد القصور الرئاسية في بغـــداد ، ولأن صدام رئيس دولة ، والمكان الذي قيل إنهم وجدوا فيه صدام ، والحالة المزرية التي كان عليها في الصورة التي قيل إنها التقطت له يـــوم القـــبض على صدام ، ولرفض بعضنا النفسي أن تقبض قوى أجنبية على رئيس دولة عربية ... ، نظرا لكل ذلك وغيره ، كانت الصورة التي عرضت لصدام بعد القبض عليه موضع شك بالنسبة لكثيرين ، وحتى الآن . وقد ضمنا الاستمارة سؤالا للتعرف على وجهة نظر المبحوثين فـــي هـــذه الصـــورة :" *عنـــدما*

[1] وحتى الآن . وقد ضمنا الاستمارة سؤالا للتعـرف علـى وجهـة نظـر المبحوثين في هذه الصورة :" *عندما شاهدتها أول مرة ، هل صـدقت أنـه صدام؟ ولمـاذا*" ؟ حيث جاءت إجابات المبحوثين على النحو التالي :

ـ ٤١ كانت الصورة موضع شك

ـ ٣٩ هي فعلا صورة صدام

ـ ١٨ لم يصدقوها

ـ ٢ بدون إجابة .

ومن بين ٣٩ مفردة أجابوا بأنهم صدقوا أنها صورة صدام وليسـت صورة شبيه له ، خمسة منهم فقط ذكـروا أسـباب تصـديقهم ، أي بنسبة ١٢,٨% من هؤلاء ، حيث كانت أسبابهم كالتالي :

١. لأنها تشبهه كثيرا .
٢. لأن الشكل أقنعني أنه هو (مدرس) .
٣. من الصورة التي كان عليها (٤٥ سنة باحث تنمية إدارية ليسـانس لغات شرقية) .
٤. لقدرة الأمريكيين على الكذب (٣٢ سنة مترجمة) .
٥. لعلمي الشديد بمدى إجرام الإرهابي جورج بوش .

أما من شكوا في مصداقية هذه الصـورة والذين بلـغ عـددهم ٥٩ مفردة ، ولم يتخيلوا وقوع الرئيس صدام في أيدي الأمريكان ، فإن عدد مـن فسر وجهة نظره منهم ستة أفـراد فقـط ، أي بنسـبة ١٠,٢% ، وجـاءت الأسباب التي تختفي وراء رفض هذه الصورة على النحو التالي :

---

[1] انظر فيما يلي من صفحات : صدام على شبكة الإنترنت .

١. *الموقف كان مليئا بالدهشة لما أصاب، هذا الرجل الذي طالت لحيته من السهر والقلق من الولايات المتحدة والدول الأوربية وخاصة أمريكا .*

٢. *لأن الشبه غير واضح ، ولكن البصمة الجينية أكدت أنه صدام .*

٣. *من الصعب لأي إنسان عادي أن يصدق أن رئيس دولة كبيرة كالعراق نراه بهذا المنظر المسيء للأمة العربية* (مجند حاصل على بكالوريوس محاسبة) .

٤. *لاأصدق أمريكا* (٤٠ سنة باحث تنمية إدارية بوزارة الكهرباء) .

٥. *لأنه كان لدي يقين أنه قتل في إحدى الغارات على بغداد والتي أصابت أحد قصور الرئاسة وجاءت عليه بالكامل ، وقد أكد لي ذلك أحد الكتاب السياسيين في الأهرام في مقابلة شخصية قبل إعلان القبض على صدام حسين بمدة طويلة .*

٦. *لأن الأسطورة الدكتاتورية صدام كان مستسلما تماما وهو في الحقيقة لم يكن كذلك .*

ما سبق ذكره يشير إلى أن من بين ٩٨ مبحوثا ذكروا أنهم شاهدوا صورة صدام بعد القبض عليه ، ٣٩ منهم اقتنعوا بأن الصورة التي عرضتها وسائل الإعلام كانت بالفعل للرئيس صدام بعد القبض عليه ، و٥٩ لم يصدقوا أنها صورة صدام ، ولم يحدد السبب وراء قناعة كل من الفريقين برأيه سوى ١١ مبحوثا ، أي بنسبة ١١,٢% فقط ، بينما الباقون لم يجيبوا عن السؤال الخاص بسبب تصديقهم لهذه الصورة أو عدم تصديقهم لها ، خصوصا وأننا لم نغلق هذا السؤال بإجابات احتمالية للاختيار من بينها ما يتلاءم ورأي المبحوث ، وهو ما أخذنا به في الشق الأول من السؤال وكما

في عدة أسئلة سابقة عندما حددنا احتمالات الإجابة ، ولكن مع إتاحة الفرصة في فئة مفتوحة أمام أي مبحوث لتقديم أي "إجابة أخرى" حيث الؤال في هـذه الحالة يعرف بأنه نصف مفتوح ؛ فهل الأسئلة المفتوحة تشـجع المبحـوثين على الكسل وعدم الإجابة ؟ أم نحن هنا أمام الإجابة التقليدية التي خرجنا بها، في بحوث سابقة عندما لا يجد المبحوث مبررا محددا يعلل به سـبب تبنيـه لرأي محدد ، فتكون إجابته عندئذ "كـده" أو " من غير ليه" ...

وهذا النوع من الإجابات شاهدناه أيضا في إجابات بعض المبحـوثين في المملكة العربية السعودية ، وبحوث أخرى أجريت في فرنسا ، عندما يرد المبحوث بقوله "Parce que" ، وكذلك في بحوث أجريت فـي دول ناطقـة باللغة الإنجليزية ، والرد على السؤال الذي يبحث عن السبب الذي يمكـن أن يفسر موقفا لدى المبحوث أو رأيا أو اتجاها ... فتكون إجابته "Because" . لذلك وجب التنويه عن ذلك ، لتنبيه الباحثين إلى **أهمية غلق الأسـئلة قـدر الإمكان ، لمساعدة المبحوثين وتشجيعهم لاتخاذ قـرار بخصـوص تحديـد الأسباب التي قد تختفي وراء تبني رأي معين** ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فإن إغلاق السؤال من شأنه تسهيل مهمة الباحث عند تفريغ البيانات ، ولكن مع بعض التحفظ ، فقد يلجأ المبحوث ـــ إذا كانت هذه طبيعته ـــ إلـى تضليل الباحث ...

٢ـــ القبض على صدام في فترة سابقة قبل بث هذه الصورة

بخصوص اعتقاد المبحوثين بأن صدام قد قبض عليه قبل عرض هذه الصورة بفترة ، وحيث ٤٢% يؤيدون هذا مقابل ٤٨% يشـكون فـي ذلـك ويقولون بأن الصورة حديثة لصدام يوم القبض عليه ، لم نجد علاقة ارتباطية

قوية بين هذا الاعتقاد أو ذاك وبين المتغيرات الديموغرافية في البحث ؛ فبالنسبة للعمل أو الوظيفة ، تبلغ قيمة معامل الارتباط ٠,٨٣٦ ، ومع التعليم ٠,٦٩٧ ، ومع السن ٠,٥٧٨ ، ومع النوع ٠,٣٤٠

وقد رأينا بين الأسباب التي ذكرها المبحوثون والتي أشرنا إليها عاليه بعض مؤشرات لتكذيب المصدر الذي جاءت منه هذه الصورة ، وذلك في الإجابات : "لا أصدق أمريكا" ، و"لقدرة الأمريكيين على الكذب" . والجدول رقم ١٢ يوضح مدى تفكير العينة في أن هذه الصورة التي قيل إنها التقطت للرئيس صدام أثناء القبض عليه ، والتي بثتها له وسائل الإعلام ، قد تكون صورة حديثة فعلا لصدام ، ولكنها التقطت له بعد فترة طويلة من إلقاء القبض عليه ، والذي نستخلصه من بعض الأسباب التي ذكرها المبحوثون : *" لأن الأسطورة الدكتاتورية صدام كان مستسلما تماما ، وهو في الحقيقة لم يكن كذلك"* ... والجدول نفسه يوضح كذلك مدى تفكير عينة الدراسة في أن الرئيس صدام كان قد قبض عليه قبل بث هذه الصورة بفترة طويلة ، حيث لم يفكر ٣١% في أنه قد قبض على صدام قبل ذلك بكثير ، بينما ٥٩% يعتقدون ذلك ، حتى ولو مجرد شك منهم (١٧%) .

(جدول رقم ١٢)
الاعتقاد بأن صدام قبض عليه قبل الإعلان رسميا عن القبض عليه

الاعتقاد بأن صدام قبض عليه قبل ذلك	ذكر السبب وراء هذا الاعتقاد		
	التكرار	العدد	النسبة % من تكرار كل فئة
قبض علي صدام قبل ذلك	٤٢	١٣	٣١%
يوجد شك	١٧	٢	١٢%
قبض عليه مع بث الصورة	٣١	٢	٦,٥%
المجموع	٩٠	١٧	١٨,٩%
أخرى	١٠	١	١٠%
الإجمالي	١٠٠	١٨	١٨%

ولكن ، عند السؤال عن السبب الذي يفسر وجهة نظر المبحوث ، لم يحدد ذلك سوى ١٨ من هؤلاء المائة ، حيث أكبر نسبة كانت بين من يقولون إن صدام قبض عليه قبل ذلك مما يشير إلى ثقة هؤلاء بوجهة نظرهم . أما عن الأسباب التي قالها المبحوثون لتفسير وجهة نظرهم بالنسبة لمن يعتقدون بأن صدام كان قد قبض عليه من قبل ، أو من الذين لا يشكون في ذلك ، أو حتى من الذين ليس لهم رأي في هذا الموضوع ، فقد كانت علـــى النحـــــو التالي :

أ ـ بالنسبة للرأي بأنه قبض على صدام قبل التقاط هذه الصورة

تعددت الأسباب والتي ذكرتها ١٣ مفردة من المبحوثين والتي تختفي وراء التفكير في أن صدام كان مقبوضا عليه قبل التقاط هذه الصورة ، حيث ذكر ثلاثة منهم وجود نخل مثمر ، ومن هذه الأسباب جـــاء ذكـــر الصـــورة المزرية التي كان عليها الرئيس صدام واستسلامه ليدي من يقـــوم بفحـــص رأسه وأسنانه مما يوحي بأنه إما كان تحت تأثير مخدر ، أو أن الفترة التـــي قضاها في الأسر قد أثرت عليه وأصبح مستسلما لقدره ... ! ونحـــن نتفـــق كثيرا مع كل هذه الأراء التي تفند وتفسر الأسباب في التفكير بـــأن الـــرئيس صدام كان قد تم القبض عليه قبل الإعلان رسميا عن ذلك وبثت صورته من خلال وسائل الإعلام . وفيما يلي الأسباب التي ذكرها بعـــض المبحـــوثين ، والتي هي مجرد شك وليس يقين بالنسبة لاثنين منهم .

١) *لأن امريكا تستطيع معرفة مكانه في أي وقت تريد ، وقد قبضـــت عليه بالفعل قبل إعلان القبض عليه ، وقد وضح ذلـــك فـــي ثمـــر*

النخل في شريط الفيديو (٢٠ سنة ، والمبحوث هنا متأثر بصـــورة "السوبر مان" الأمريكي) .

٢) *البلح* (٤٠ سنة باحث تنمية إدارية بوزارة الكهرباء ، والمبحـــوث عنده القدرة على الاختزال و"*يجيبها م الآخر*") .

٣) وجود *البلح الأصفر* (٣٩ سنة موظف بالمكتبة المركزية ، ويجـــب الانتباه للفئة السنية هنا وفي الحالة التي سبقتها واكتفـــاء المبحـــوث بذكر كلمة واحدة لتوضيح وجهة نظره) .

٤) *من الصورة التي كان عليها صدام* (٤٥ سنة ، باحث تنمية إدارية، ليسانس لغات شرقية ، وهو هنا يعطي صورة عامة مبتعـــدا عـــن التفاصيل وقد أجمل) .

٥) *لأن صدام حسين أذكى من أن يختبئ في هذا المكان الذي يقولـــون إنهم عثروا عليه فيه* (الإيمان بالقدوة في صدام ، وبأنه لا يمكن أن يخطئ) .

٦) *لأنه لا يمكن لشخص مثل صدام أن يقبل أن يستســـلم كحيـــوان أليف بهذا الشكل بعد كل ما فعله وقاله من قبل . فشخص كهـــذا الموت أشرف له من القبض عليه . فمن المؤكد إنه قد تم القبض عليه منذ فترة . وأيضا ظهوره بهذا الشكل لا يكون بإرادته أبدا . ولا يظهر صدام بهذا الشكل المروع إلا إذا كان تحت تأثير مخدر وهذا ما أكده كثير من الكتاب والخبراء فيما بعد* (٣٣ سنة أعمال تجارية حرة بكالوريوس محاسبة، وهنا أيضا المبحوث يبحث عن القدوة في شخصية صدام حتى لو تعارض هذا مع الدين بمحاولة انتحار) .

٧) *الظواهر كلها تدل على ذلك ، الذقن والملابس* (أخصـــائي شـــان مكتبات ، والماكرو والمايكرو في رؤية الأمور) .

٨) *لأن الرئيس الأمريكي زار العراق مرة في عيـد الفطــر بـدون سابق تنويه* (معدة برامج ، وهي تربط هنا بين الأحـداث ، مـع التحفظ بأن يكون ذلك بسبب ما أشيع عند زيارة بوش العراق) .

٩) *لأن توقيت إظهار الصورة مناسب للانتخابات الأمريكية* (الـربط بين الأحداث ذات اللون السياسي ، والإحساس بالانتهازيـة فـي الشخصية الأمريكية) .

١٠) *أشك في ذلك لأن توقيت إظهار الصــورة مناســب للانتخابـات الأمريكية* (الملحوظة السابقة) .

١١) *لأن الأمريكان كذابين* (هنا أيضا نلمس عدم ثقة من المبحوث في الشخصية الأمريكية) .

١٢) *حتى يستغلها بوش في الانتخابات القادمة* (الرؤية السابقة نفسها).

١٣) *كان فيه شك بسـبب آثـار التعـذيب* (٢٤ سـنة ، محاسـبة ، بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية ، واهتمام بحقوق الإنسان) .

ب ـ بالنسبة للرأي بأن الصورة التقطت فور القبض على صـدام وتم بثها مباشرة

من الأسباب التي فسر بها المبحوثون قناعتهم بأن الرئيس صدام قـد تم القبض عليه قبل بث هذه الصورة مباشرة ، ظهر تأثير وسـائل الإعـلام الأمريكية بوجه خاص ودورها في ترويج بضاعتها . ومن بـين الإجابـات أيضا ، يوجد من يركز على معلومات لاحقة قيلت ــ عـن طريـق وسـائل

للإعلام مصرية ـــ بخصوص هذه الصـــورة ، وأن مـــن مصـــلحة أمريكـــا الإعلان فورا عن القبض على صدام لأن ذلك من شأنه إحباط أي مقاومـــة ، كذلك ظهرت حالة واحدة ظل صاحبها ما بين مصدق ومكـــذب ... ، وفيمـــا يلي نذكر ، مع التعليق ، الأسباب التي تفسر قناعة المبحوثين بأن صدام لـــم يقبض عليه منذ فترة قبل عرض صورته في وسائل الإعلام .

١) *نظرا للضجة الإعلامية ، لم أكن أتوقع أنه قد يكون سيناريو أمريكي* (الثقة في وسائل الإعلام) .

٢) *لم أشعر بأي شك لأن هذا الأمر كان متأكدا من وقوعه آجلا أو عاجلا* (طالبة ، ١٩ سنة ، والحلم الأمريكي) .

٣) *لأن صدام كان في حالة مزرية* (الثقة في أمريكا) .

٤) *لأهمية ظهوره فورا لإحبـــاط المقاومـــة* (بكـــالوريوس إدارة أعمال محاسب في شركة كمبيوتر ٢٥ سنة (أهميـــة دراســـة جدوى من محاسب) .

٥) *بعد أسبوع شاهدت برنامج "اختراق" وعرفت أنه قد يكون تم القبض عليه قبل شهرين من إذاعة الخبر* (مصداقية وســـائل الإعلام المصرية) .

٦) *علمت بعد ذلك أنها صورة قديمـــة وعرضـــت بعـــد شـــهر* (التذبذب بين رأيه الشخصي وآراء آخرين يشير إلـــى عـــدم نضج في الشخصية) .

٧) *الحرب الإعلامية التي قامت بهـــا أمريكـــا كانـــت برأيـــي الشخصي هي الانتصار في الحرب كما يسمونها بأنها حرب استقلالية . فمن المتوقع أن يكون الرئيس بوش ، أو بمعنـــى*

أدق الفاشية الأمريكية ، أرادت أن تلعب على الجميع علـى النحو التالي :

ـ أن يتم القبض على صدام وعدم إخبار أي أحـد بـالقبض عليه .

ـ أن تلعب أمريكا من ناحية أخرى بأنها تبحث عن صـدام عادي جدا .

ـ أن تعرف أمريكا المتعاونين فعلا معها والباحثين عـن المال فقط ، لأن الإعلان عن القبض على صدام كان سينهي الحرب ، أما ما يحدث الآن في العراق ، فإنه باسم "تعميـر العراق" ، أي أن من سيدخل العراق الآن سيساعد في تعميره العراق ولا يساعد في الحرب (مجند حاصل على بكالوريوس محاسبة) .

جـ ـ موقف متأرجح بين التصديق والتكذيب

بالنسبة لواحد من المبحوثين المائة في هذه العينة ، **الخداع الإعلامي لا حدود له** ، ولا معرفة لهذا المبحوث بخصوص الكيفية التـي تـدير بهـا أمريكا آلتها الإعلامية ، وبالتالي فهو لا يصدق أو يكـذب موضـوع تـأخر عرض صورة صدام عن الوقت الحقيقي للقبض عليه (إنسان يعترف بحدوده وإمكاناته) .

رابعا ـ الحديث مع آخرين عن صورة الرئيس صدام

في دراسات سابقة لنا ، قلنا إن وسائل الإعلام ـ أو وسائل منها على الأقل ـ ينظر إليها بعضنا على أنها كانت سببا في إصابة بعض الأفراد بالعزلة والانطواء ، كما أشار بعض الأفراد إلى أنها تسببت في غياب الحوار بين أفراد الأسرة . إلا أننا ، ومنذ السبعينيات ، خرجنا من أكثر من بحث سابق بأن وسائل الإعلام يمكن أن تكون سببا في إثارة موضوعات يدور حولها الحوار بين الأفراد ، داخل الأسرة ، وفي مكان العمل ، بل وفي الشارع ووسائل المواصلات العامة ...

وفي البحث الذي بين أيدينا الآن ، خصصنا سؤالا عما إذا كانت صورة صدام بعد القبض عليه محورا للحديث بين المبحوث في العينة المدروسة وبين آخرين ، خصوصا وجميع المبحوثين هنا قد اعترفوا بأنهم قد شاهدوها .

ومن إجابات المبحوثين على هذا السؤال ، خرجنا بنتيجة تؤكد ما سبق لنا الإشارة إليه بخصوص أن **وسائل الإعلام تساعد في خلق موضوعات يمكن أن تكون محورا للحديث بين الأفراد** ، حيث ٩٠% من العينة المدروسة هنا اعترفت بأنها تحدثت مع آخرين عن هذه الصورة التي روجتها وسائل الإعلام لصدام .

فكيف بالله يمكن أن يتصور أحد أن تمر علينا هذه الصورة لصدام ، والتي قدمته في شكل "متشرد" من دولة أوربية وقد شرب حتى الثمالة ؟ والمهم في الأمر ، هو أن العدو الأمريكي أكمل إخراج الصورة بطريقة تؤكد هذا التصور عندما قال إنه قد تم القبض عليه في حفرة تحت الأرض تغيب عنها النظافة ...

كذلك فإن الموضوع الذي تتناوله وسيلة الإعلام التي نسأل عنهـا ، وهو صورة رئيس عربي كان ملء السمع والبصر ، يظهر على المـلأ فـي شوارع بغداد (هو أو شبيه له !) والعدو الغازي على أبواب بغـداد عاصـمة الرشيد ، رافعا بذلك شعار "كله تمام" ، حتى ولو حمل معه سـلاحه ، وهـو يرد بتحية من يده على من يهتفون له "بالروح ، بالدم ، نفـديك ياصـدام" ، ويداعب طفلة يرفعها إليه والدها ليقبلها ، وهو الذي كان يشهد له بالغطرسـة والعنف ، خصوصا بعد تلميعه إعلاميا في أثناء الغزو .

ومن منا ينسى وزير خارجية العراق محمد سعيد الصحاف بمفرداته اللغوية التي كان يتم تأويل بعضها أو تفسيرها حتى يمكن تقبله ، والذي كـان مشاهدو التليفزيون ينتظرون ظهوره — كما ينتظرون المسلسل المصري في دول عربية كثيرة — على أمل أن يسمعوا منه خبر القضـاء علـى العـدو الأمريكي الذي غزاهم ...

كل هذا ، وبتراكماته ، وخيبة أملنا لضياع العراق منا ولا ندري إلى متى ، وخيبة أملنا في صدام و"ترسانته المسلحة" التـي كـان يتشـدق بهـا و"يعشمنا" و"يمنينا" بأنه سيستخدمها في القضاء على إسرائيل ، ثـم لا تفـتح أبوابها إلا في إظهار عضلات فاشلة بشن حرب على إيران وغزو الكويت ، كل هذا وغيره كان سببـا أن ينتظر الجميع معرفة المصير المتوقـع لهـذا الرجل .

وفي هذه المعركة ، صدام/بوش ، رأينا "الـديك العربـي" يحـاول المحافظة على حياته ونسى كرامته كعربي. ومن شيم العرب الإباء والشمم . ولكنه هنا يستسلم ذاعنا صاغرا لقدره ولعدوه ، أسـيرا ذليلا لا حول له ولا قوة ، "يقلبه" العدو الأمريكي كيفما شاء ، ويتأكد من سلامته . وكمـا يقـول

المثل "الضرب في الميت حرام" ، وما دام قد استسلم ، أسير حرب أو مجرم حرب فالأمور كلها أصبحت سيـان بالنسبة له ، ودوام الحال من المحـال ، وسبحـان من له الدوام ، المعز المذل ، سبحان الله !

نحن في حلبة "صراع للديوك" التف النظارة من كـل أنحـاء العـالم حولها ، وكل منهم قد راهن على واحد منهما يعتقد في أنه سيفوز .

ولا بد من أن ينتهي الصراع بأن يقضي طرف ويُجهزعلى الطـرف الآخر .

لابد من منتصر ومهزوم[1] .

ونحن معنيون ...

(جدول رقم ١٣)

الحديث عن صورة صدام والنوع

الحديث عن صورة صدام	النوع		النسبة %
	ذكور	إناث	
	التكرار	التكرار	
تحدث عنها كثيرا	٣٧	٣٨	٧٥
يتحدث عنها حتى اليوم	١٠	٢	١٢
تحدث عنها قليلا	٣	٠٠	٣
لم يتحدث عنها	٤	٢	٦
بدون إجابة	٢	٢	٤
الإجمالي	٥٦	٤٤	١٠٠%

(قيمة مربع كا ٠,١٤٧) .

وتشير الأرقام في الجدول رقم ١٣ إلى أنه في مقابل ٥% فقط أفادوا بأن هذه الصورة بالنسبة لهم لم تكن محورا للحديث مع آخـرين ، وخمسـة مثلهم لم يجيبوا عن هذا السؤال ، فإن ٩٠% من العينة المدروسـة ـ كمـا

[1] أول مرة شاهدنا فيها صراع الديوك كانت في ميدان في مانيلا عام ١٩٦٢م ، وعرفنا أنه توضع شفرات أمواس حادة في أرجل كل منهما للإجهاز على الخصم بشكل سريع .

ذكرنا ــ كانت صورة الرئيس صدام بعد القبض عليه موضع حديث لهم مع آخرين ، حيث ٨٧% كان حديثهم عنها كثيرا ، بل ومنهم ١٢ ــ خصوصا الذكور ــ مازالوا يتحدثون عنها بعد مرور شهور على هذه الواقعة (حيث أعلن عن أنه قد تم أسره في ١٤ ديسمبر ٢٠٠٣م) ربما بسبب ما تبثه شبكة الإنترنت بخصوص هذا الموضوع[١] ، وهذا يؤكد ما سبق وخرجنا به من نتائج بخصوص أن **"وسائل الإعلام يمكنها أن تثير موضوعات تصبح محورا للحوار بين الأفراد"** .

وبالمعالجة الإحصائية للبيانات الخاصة بالحديث عن صورة صدام ، لم يسفر البحث عن وجود علاقة قوية بين المتغيرات الديموغرافية والحديث عن صورة صدام ، حيث كانت قيمة معامل الارتباط بالنسبة للتعليم ٠,٩٨٧ ، والحالة الاجتماعية ٠,٨٥٤ ، والسن ٠,٣٤٤ ، والعمل ٠,١٦٠

أما النوع وعلاقته بالحديث عن صورة صدام ، فقد سجل أعلى نسبة للارتباط مقارنة ببقية المتغيرات الأخرى ، حيث جاءت قيمة معامل الارتباط ٠,١٤٧ لصالح الإناث ، إذ لا يمكن تجاهل ما يقال بأن المرأة أكثر اهتماما بالنواحي الإنسانية ، بل ويقال إنها تثرثر أكثر من الرجل ...

خامسا ــ المشاعر التي أثارتها مشاهدة هذه الصورة لصدام

١ ــ اللهم لا شماتة

صورة صدام هذه ، والتي كانت محورا لأحاديث وتعليقات بين كثير من المصريين ، بل ومن غيرهم أيضا سواء عرب أو أجانب ، كانت لها ردود أفعال مختلفة بيننا ، مفجرة فينا بعض مشاعر متباينة ومتداخلة أحيانا .

---

[١] انظر الملاحق .

وفي بدائل الإجابة لمعرفة مشاعر الناس وأحاسيسهم عندما شاهدوا صـورة صدام ، حددنا سبعة مشاعر لكي يختار كل مبحوث من بينهـا مـا يـتلاءم والإحساس الذي ساده واعتراه بعد مشاهدة هذه الصورة .

(1)

وقد اختار بعض مـنهم إحساسـا واحـدا ، واختار بعضهم الآخر أكثر مـن إحسـاس ، ولجأ آخرون إلى الفئة المفتوحة لأي إحسـاس آخر لتحديد إحساس آخر غيـر مـا ذكرنـاه تحديدا في استمارة البحث .

وعند تحليل إجابات المبحوثين ، حيث لـم يهتم خمسة منهم بالرد عن السؤال الخاص بما شعروا به عند مشاهدة صورة صدام ، وجدنا بعضهم يقول بأن *كل هذه الأحاسيس والمشاعر انتابتهم* ، وقال آخر *"كل هـذا فيما عدا الشماتة"* (٣٣ سنة ، أعمال تجارية حرة) ، وقال آخـر *إنـه انتابـه شعور بانهيار الأمة العربية كلها* ...، وعنده حق .

خلاصة القول هنا ، هي أن **"الشماتة"** ـــ فـي إجمـالي الأحاسـيس والمشاعر التي طرحناها بدائل للإجابة ـــ كانت أقلها ترددا بين أفراد العينـة في هذا البحث ، مقارنة بالإحساس بالشفقة ـــ مثلا ـــ والذي تفوق الإحسـاس بالشماتة بأربعة أضعاف ، وهو ما يستشف من قولنا لبعض من اتصلوا بنـا من الصحفيين لمعرفة وجهة نظرنا فيما حدث : *"ارحموا عزيز قوم ذل"* .

أما أكثر الأحاسيس شيوعا بالنسـبة للمبحـوثين فـي هـذه العينـة المدروسة ، فقد كان **الإحساس بالعار** ؛ فنحن العرب جميعا في سلة واحدة ،

(1) هذه الصورة مأخوذة من على شبكة الإنترنت .

وبعض قادتنا يقودوننا إلى التهلكة ، وهو ما عبرت عنه طالبة في البحث بقولها : "*شعرت بالعار أن مثل هذا الرجل الذي كان يمثل هو وبلده كرامة الوطن العربي . أما أن يستسلم ويقبض عليه في هذا الموقف المهين ، فقد كان أولى به من الأول ألا يصل بكرامة العرب وكرامته وكرامة بلاده إلى هذا الحد*" . حتى عندما قال أحدهم إنه قد "*انتابته حالة من الغضب*" ، فإنه يقر أيضا بأنه قد "*انتابته جميع المشاعر*" التي ذكرناها بدائل للإجابة ، لأنه "*شعب وقلب عربي*" (٢٢ سنة ، جندي) .

ولنا تعليق هنا قد يكون القارئ هو أيضا قد توصل إليه وذلك بخصوص شبابنا ، في مصر بوجه خاص ، والذي لا ننكر أن بعض حالات منهم قد انحرفت عن بعض قيمنا وولائنا لهذه الأرض الطيبة وشعوبها التي تجمعها ببعضها روابط قوية لم يستطع أي استعمار – مهما كان عنفه وجبروته – أن يفتت وحدته ، فنحن "*جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى*" صدقت يا نبي الإنسانية ، صلوات الله وسلامه عليك ، والدليل على ذلك هذا الإحساس بالألم والمرارة لما يحدث في العراق وفي فلسطين ، والتي يعبر عنها غليان الشباب في مجتمعاتنا العربية ، والإسلامية ، بل وفي دول إسلامية وأجنبية كثيرة قد لا توجد مصالح لها بيننا إلا أنها لا تقف متفرجة على ما يحدث لنا – رغم أنف أبراهام مولز – فنراها تفصح عن وجهة نظرها الرافضة لهذه الاعتداءات ، بالمظاهرات على الأقل ، مشكلة بذلك ضغوطا على أولي الأمر الذين يكتفون بالرفض والشجب والتنديد ... ، بل والتناقض أحيانا بين القول والفعل ، وتحاول شعوبهم دفعهم لاتخاذ موقف صريح وحاسم إزاء هذه الاعتداءات ، وإن كان للمسئولين وآخرين رأي مخالف .

ويحضرني في هذا الخصوص واقعة عشتها شخصيا وتوضح التناقض بين القول والفعل بالنسبة لبعض الحكومات ...على الأقل .

فقد كنت في فرنسا يوم أن اعتدت إسرائيل على صبرا وشاتيلا يوم السبت الموافق ١٨ سبتمبر من عام ١٩٨٢م[١] ، والمفروض أن يوم السبت مقدس لدى اليهود !!

وكان السبعة الكبار للدول الصناعية مجتمعين في باريس . وفي نشرة أخبار الساعة الثامنة ، كان من بين فقراتها "شجب هؤلاء "الكبار" المجتمعين في باريس لما حدث في فلسطين ... وانتهت النشرة ، لكي تنتقل كاميرات التليفزيون إلى قصر فرساي حيث أقيم به احتفال على شرف السبعة "الكبار" ويغطيه التليفزيون وينقل على الهواء مباشرة . المذيع الذي ينقل الحفل من مسرح "موليير" بالقصر هو "ليون زيترون" (وهو يجيد أكثر من خمس لغات إجادة تامة !) . قدم المذيع الفقرة الأولى ، ثم الثانية ... ، ثم فوجئنا به يقول إن الفقرة الثالثة كانت غير مدرجة في برنامج الحفل !!

ياه ! فالموضوع يتعلق بحفل رسمي على شرف رؤساء سبع دول .

وانتظرنا الفقرة "المهمة" و"اللي ما حصلتش" وأقحمت على برنامج الحفل .

على خشبة المسرح ، ظهرت مطربة ، بدأت تتباكى على اليهود ، وتندب حظهم العاثر ، وحقهم المهضوم ...

لقد كانت "تندب" ، وكان ينقصها أن "تلطم" !

لماذا ؟ والفلسطينيون هم المعتدى عليهم في حرب إبادة يشنها عليهم الإسرائيليون ؟

---

(١) اعتمدنا على الإنترنت لمعرفة هذا التاريخ ، فقد لا تسعفنا الذاكرة به .

صدمنا .

وسبب الصدمة هو ما حدث بعد أن انتهت هذه "المعدّدة" من مرثيتها ، وهو لب الموضوع .

فما أن انتهت ، حتى شاهدنا تصفيقا حادا من الحضور ، ونقل المخرج عدسة الكاميرا لكي تركز على أيدي الكبار في لقطة مقربة (Close Up) ...وهي تصفق ...

ـ لمن تصفق هذه الأيدي ؟

كان هذا تساؤلنا ، خصوصا والفقرة لم تكن مدرجة في برنامج الحفل ...

وفي اليوم التالي ، ولم يكن مضى على هذا المشهد سوى ساعات قليلة ، حضرنا مع زميل لبناني مناقشة رسالته ، والتي رأس لجنة الحكم عليها الأستاذ "روبير إسكاربيت" ، أكبرمتخصص في الإعلام المطبوع على مستوى العالم ، والذي كان على رأس قسم الإعلام وجامعة بوردو ٣ .

وبعد انتهاء المناقشة والتوصية بالدرجة التي يمكن منحها للباحث ، جمع الحاضرين وأعضاء لجنة الحكم على الرسالة ، في تقليد متبع في فرنسا ، حفلُ شاي ، على نفقة الباحث . ودارت بين الحاضرين حوارات جانبية في أثناء تناول المشروبات ، حيث يمكن أن يكون الحوار حول ما دار في المناقشة ، أو عن رسالة لباحث آخر ، بل وممكن أن يكون الحديث عن أحوال الأسرة ...

سألت روبير إسكاربيت :

ـ *"هل شاهدت حفل الأمس ؟ "*

وكانت الإجابة :

ـ *"نعم"*



ــ "ورأي حضرتك فيما حدث ؟ "

ــ *"إحنا كده ، نقول اللي على كيفنا ، ونعمل اللي يرضينا"* .

ونعتقد أن إجابته هذه تفسر كثيرا من المواقف المتضادة لبعض الأفراد وبعض الدول . وأذكر القارىء هنا ، مثلا ، بموضوع الحجاب في فرنسا ، وهي فرنسا ، التي تنادي بالحرية بالمفهوم الواسع لهذه الكلمة ، وفي شتى المجالات !!

بالعـــار !

والعار ، العار وحده دون أي شعور آخر ، هو الإحساس الأول من حيث عدد مرات التكرار التي ذكره فيها المبحوثون بمفرده . وعند جمع الفئات التي في الجدول رقم ١٤ ، نجد أن الشعور بالغضب يحتل المرتبة الأولى ، ولكن بفارق ضئيل مع الشعور بالعار والمرارة ... وتأتي الشماتة هنا أيضا في آخر المشاعر التي سجلتها العينة المدروسة وذلك بعد الشعور بالخجل والهوان .

أما بالنسبة للمشاعر الأربعة الأخرى في الإجابات التي سجلها المبحوثون في الفئة "أخرى تذكر" ، فقد جاء كل منها في تكرار واحد على النحو التالي :

- *كل هذه الصفات والأحاسيس* (١٨ سنة ، طالبة)
- *الحزن والأسى على الأمة العربية*
- *التعجب* (٢١ سنة)
- *الخداع* (٢٠ سنة ، طالب)

وإلى جانب إحدى الحالات التي قالت *لم أشعر بشيء ، فقد تعودنا على ذلك*" (٣٤ سنة ، مقدم برامج بالإذاعة) ، وباللمهانة فقد رخصنا ، جاء

أيضا في إجابات المبحوثين ما يؤكد هذه الإجابة ، وما يشير إلى مـا سـبق ذكره ، بانتماء شديد من قبل المبحوثين إلى الأمة العربية وذلك بالنسبة لثلاث حالات قالت :

- *شعرت بمدى إهانة العرب وما وصـلوا إليه مـن مذلـة* (٤٩ سنة ، مهندس زراعي)
- *ضياع هيبة العرب جميعا في رمز صدام* (٥٢ سـنة ، مـدير عام في الشبكة الثقافية بالإذاعة)
- *انهيار الأمة العربية كلها* (دبلوم في الاقتصاد ، كاتب) ...

والجدول التالي يوزع ما سبق ذكره بخصوص المشاعر التي أحس بها المبحوثون عند مشاهدة صورة صدام بعد وقوعه في الأسر .

(جدول رقم ١٤)
مشاعر العينة المدروسة بعد مشاهدة صورة الرئيس صدام بعد القبض عليه

المشاعر	ك	المشاعر	ك
العار	١٩	الغضب والشفقة والشماتة	١
الشفقة	١٥	الغضب والشفقة	١
الغضب	١٥	الغضب والخجل	١
المرارة	١٣	الغضب والعار	١
الشماتة	٤	الغضب ومشاعر أخرى	١
الخجل	٣	العار والشفقة	١
الهوان	٢	العار والشماتة	١
الهوان والمرارة	٤	العار والشفقة والخجل والهوان	١
الغضب والمرارة والخجل	٤	الشفقة والهوان	١
كله ما عدا الشماتة	٤	مشاعر وأحاسيس وإجابات أخرى	٤
المرارة ومشاعر أخرى	٢	بدون إجابة	٥
الإجمالي			١٠٠

وبتجميع المشاعر في الفئات السبع التي طرحت علـــى المبحـــوثين للاختيار من بينها ، نرى "الغضب" يقفز ليصبح على رأس قائمة المشاعر ، ولكن العار وأيضا المرارة

(جدول رقم ١٥)
جدول تجميعي لإجابات المبحوثين
فيما يتعلق بما شعروا به عند مشاهدة صورة صدام

المشاعر	التكرار	النسبة %
الغضب	٢٨	١٩,٢
العار	٢٧	١٨,٥
المرارة	٢٧	١٨,٥
الشفقة	٢٤	١٦,٤
الخجل	١٣	٩
الهوان	١٢	٨,٢
الشماتة	٦	٤,١
مشاعر وأحاسيس وإجابات أخرى	٤	٢,٧
المجموع	١٤١	٩٦,٦
بدون إجابة	٥	٣,٤
الإجمالي	١٤٦	%١٠٠

ومن الجدير بالذكر هنا ، أن هذا البحث قد أفصح كذلك عن علاقـــة قوية بين السن والشعور بالمرارة عند رؤية صورة صدام حسين ، حيث قيمة مربع كا بين المتغيرين ٠,٠٠٠ ، كما أن وجود علاقـــة قويـــة فـــي العينـــة المدروسة بين السن والحالة الاجتماعية ، وحيث قيمة معامل الارتباط بينهما ٠,٠٠٠ ، يسمح بقيام علاقة بين الحالة الاجتماعية والشعور بالمرارة عنـــدما قبضت القوات الأمريكية على صدام ونشرت وسائل الإعلام صورته ، كذلك وجدت علاقة قوية في هذا البحث بين الشماتة والحالة الاجتماعية (قيمة مربع كا ٠,٠٠٠) .

سادسا ــ استشراف مستقبل العراق بعد القبض على صدام

السؤال العاشر في استمارة البحث ، كان لمعرفة توقعات العينة المدروسة لدولة العراق بعد القبض على صدام ، وهو من الأسئلة نصف المغلقة ، حيث قدمنا ثلاثة بدائل اختيارية (يمكن للمبحوث اختيار واحد أو أكثر من بينها أو اختيارها كلها) ، وتركنا الباب مفتوحا لمن لا يريد إبداء رأيه أو لمن لايعرف ، إلى جانب فتح فئة لأي إجابات أخرى .

وقد توقع ١١ مبحوثا أنه لا مفر من الاستسلام ، حيث قال أحدهم إن الاستسلام سيكون *"مقابل المصالح الشخصية لدى العراقيين وليس الصالح العام"* ، وقال آخر إنه يرى *"الاستسلام لوضع حد للمهانة التي يشعرون بها يوميا ، لأنه يعتقد أن المقاومة ستكون ضعيفة"* (٢٠سنة ، طالب) ،

وفي مقابل هذا التسليم بالأمر الواقع دون مقاومة ، فإن بيانات الجدول التالي توضح أنه لا بد من المقاومة والتي جاءت بنسبة ٥٨% ، وقد ذكرت المقاومة وحدها ٥٢ مرة ، ومع غيرها ست مرات . والمقاومة بالنسبة لأحد المبحوثين *"لأن الشعب العراقي يعتز بأرضه رغم كل ما يقولونه عنه"* ، وقال آخر إنه *"واثق من أن الشعب العراقي لا يرضى بالذل والهوان"* ولكن بسبب *"فقدان الحيلة والقدرة على السيطرة وعدم رجوع الأمر كما كان"* (١٩ سنة طالبة) ، و*"لإحساسهم بمرارة الاستعمار"* ، والمقاومة *"حتى آخر نقطة دم"* .

ويرى أحد المبحوثين أن *المقاومة يجب أن تكون من الشعب والجيش . ولكن ، أين هو الجيش العراقي ؟ "الجيش وداعا له"* ، *"لا توجد عنده ذرة شجاعة ولكن الجبن يستحوذ عليهم"* *والإجابة النهائية المقاومة من*

الشعب واستسلام من الجيش ، ولكن الشعب مسكين لكنه حريص على بلـده وأقدم تحية للشعب العراقي بأكمله" (٢٢ سنة ، جندي في القـوات المسـلحة وحاصل على الثانوية العامة) .

أما التحرر ، فلم يتوقع سوى ثمانية أفراد فـي العينـة المدروسـة تحقيقه . ولكن التحرر هو نتيجة طبيعية يمكن الحصول عليه في حالة نجـاح المقاومة . وترى إحدى الحالات أنها تتوقع ذلك "*لأن العراق دولة لها تـاريخ وليس من السهل محو هذا التاريخ وهذه الحضارة*" (٤٦ سنة ، دبلوم دراسات عليا نقد فني ، ومذيعة بالبرنامج الثقافي) ، و"*لأن الدول لا تتوقف مصـائرها على أشخاص حتى لو كانوا هم رؤساء هذه الـدول ، فالشـعب يملـك مـن الطاقات ما لايملكها الرؤساء وإن كان دور الرؤساء والزعماء هو شحن هذه الطاقات ، وهو دور مهم ، ولكن ليس هو كل ما يرجى في إخـراج الغـزاة*" (٣٣ سنة مخرج بالإذاعة) .

وبالنسبة للاحتمالات الأخرى التي ذكرت في الفئة المفتوحة ، جـاء أن "*العراق سوف يتفتت في دويلات*" (مـدرس ٣٠ سـنة) ، ويتوقـع آخـر "*نشوب حرب أهلية*" (أخصائي مكتبات في المكتبة المركزية) ، وأن "*العراق سوف يعاني لفترة*" (٥٥ سنة كبير مقدمي برامج بالإذاعة) ، و"*التخـبط فـي السلطة ومستقبل غير آمن*" (٥٤ سنة كبير مهندسي برامج الإذاعة) .

ومع المقاومة ، يوجد من يحذر مـن نشـوب "*حـرب أهليـة بعـد التحرير*"، وقال آخر محذرا من العدو الحقيقي "*أتوقع لدولة العراق في الفترة القادمة الكثير من التشتت والخلافات بين الطوائف مع المقاومة من قلة قليلة ، وكل هذا لصالح العدو الحقيقي*" (٣٣ سنة أعمال تجارية حـرة بكـالوريوس محاسبة)

وبخصوص العلاقات الارتباطية ، فقد خرجنا من هذا السؤال بعدة نتائج ، منها مثلا عدم وجود ما يؤكد وجود ارتباطات قوية بين المتغيرات الديموغرافية وبين استشراف مستقبل العراق ، حيث قيمة معامل الارتباط بالنسبة لمتغير استشراف مستقبل العراق بعد القبض على صدام حسين والحالة الاجتماعية ٠,٧٢٩ ، ومع العمل ٠,٣٩٣ ، وإن كان من الممكن توقع وجود ثمة علاقة وإن كانت غير قوية بين بعض متغيرات ديموغرافية وبين توقعات المبحوثين لمستقبل العراق بعد القبض على صدام ، وهي النوع (حيث قيمة مربع كا ٠,٢٨٥) ، والتعليم (٠,٠٦٨) ، والسن (٠,٠٠٨) . وفيما يلي تفسير لوجهة نظرنا .

١ ــ النوع واستشراف مستقبل العراق بعد القبض على صدام

عند قراءة بيانات الجدول رقم ١٦ والذي يوزع إجابات المبحوثين عن السؤال الخاص بتوقعاتهم للعراق ، نلاحظ أن الذكور يميلون إلى المقاومة (٥٧,١%) عن الإناث (٤٥,٥%) ، بينما العكس بالنسبة للتحرر ، حيث الإناث ــ أكثر من الذكور ــ (١٣,٦% و ٣,٦% على التوالي) [١] تحلم بالعراق وقد تخلص من المحتل الأمريكي ، ونرى أن ذلك ربما يرجع لبعض خصائص ، منها ما هو نفسي بالدرجة الأولى ويتعلق بالنوع . أما قيمة معامل الارتباط بين المتغيرين هنا ، والذي هو ٠,٢٨٥ ، فإنه لا يقطع بوجود علاقة قوية وفارقة بين الجنسين فيما يتعلق باستشراف مستقبل العراق

---

[١] هذه النتيجة في حاجة لدراسة مستقلة من المهتمين بقضايا الهوية والتبعية .

[٢] في الجداول التالية سوف نكتفي بذكر رقم الفئة

[٣] فقد ربط ثلاثة مبحوثين بين *المقاومة والتحرر* (بمعنى المقاومة حتى التحرر !) ، وقال واحد منهم *المقاومة والاستسلام* (ربما كان يقصد المقاومة أو الاستسلام) ، وذكر اثنان المقاومة وإجابات أخرى

(جدول رقم ١٦)
استشراف مستقبل العراق
من خلال
توقعات المبحوثين بعد القبض على صدام

التوقعات [٢]		النوع				النسبة %
		ذكور		إناث		
مسلسل	التوقع	ك	%	ك	%	
١	المقاومة	٣٢	٥٧,١	٢٠	٤٥,٥	٥٢
٢	الاستسلام	٦	١٠,٧	٥	١١,٤	١١
٣	التحرر	٢	٣,٦	٦	١٣,٦	٨
٤	المقاومة والتحرر معا	١	١,٨	٢	٤,٥	٣
٥	المقاومة والاستسلام	٠٠	٠٠	١	٢,٣	١
٦	المقاومة ووسيلة أخرى	١	١,٨	١	٢,٣	٢
٧	كل ما سبق	٠٠	٠٠	١	٢,٣	١
٨	إجابة أخرى [٣]	٤	٧,١	٠٠	٠٠	٤
٩	بدون رأي	٧	١٢,٥	٤	٩,١	١١
١٠	بدون إجابة	٣	٥,٤	٤	٩,١	٧
الإجمالي		٥٦	١٠٠	٤٤	١٠٠	%١٠٠

(قيمة مربع كا = ٠,٢٨٥)

٢ ـ السن واستشراف مستقبل العراق بعد القبض على صدام

بالنسبة للسن ، فإنه لايوجد في نتائج البحث التي يعرضها الجدول السابق ما يجعلنا نجزم بوجود علاقة قوية بينه وبين توقعات المبحوثين لمستقبل العراق بعد القبض على صدام ، حيث كانت قيمة مربع كا على بيانات الجدول رقم "١٧" ٠,٠٠٨ ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

(١) فقد ربط ثلاثة مبحوثين بين *المقاومة والتحرر* (بمعنى المقاومة حتى التحرر !) ، وقال واحد منهم *المقاومة والاستسلام* (ربما كان يقصد المقاومة أو الاستسلام) ، وذكر اثنان المقاومة وإجابات أخرى .

التوقعات ←			١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	المجموع
السن	لم يحدد	%	٦١,٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠		٥,٦	٢٧,٨	٥,٦	١٠٠
		ك	١١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٥	١	١٨
	٥٠ فاكثر	%	٤٢,٩	٠٠	١٤,٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٤٢,٩	١٠٠
		ك	٣	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٣	٧
	٤٠ ــ ٥٠	%	٢٣,٥	١١,٨	٢٣,٥	١١,٨	٠٠	٥,٩	٠٠	٥,٩	٠٠	١٧,٦	١٠٠
		ك	٤	٢	٤	٢	٠٠	١	٠٠	١	٠٠	٣	١٧
	٣٠ــ٤٠	%	٦٣,١	١٠,٥	٥,٣	٠٠	٠٠	٥,٣	٠٠	١٠,٥	٥,٣	٠٠	١٠٠
		ك	١٢	٢	١	٠٠	٠٠	١	٠٠	٢	١	٠٠	١٩
	أقل من ٣٠		١	٢	٣	٤	٠٠	٢,٦	٢,٦	٠٠	١٢,٨	٠٠	١٠٠
		ك	٢٢	٧	٢	١	١	٠٠	١	٠٠	٥	٠٠	٣٩
النسبة %			٥٢	١١	٨	٣	١	٢	١	٤	١١	٧	%١٠٠

(جدول رقم ١٧)

السن واستشراف مستقبل العراق

وبتجميع فئات السن في فئتين ، أصغر من ٣٠ سنة فئة و٣٠ سنة فأكبر فئة ثانية ، والتركيز فقط على بدائل الإجابة الثلاثة التي حددناها في الاستمارة واستبعاد بقية بدائل الإجابة (من لم يجيبوا عن هذا السؤال أو بدون رأي ، ومن ذكروا أكثر من إجابة أو أي إجابة أخرى) ، نحصل على الجدول التالي :

(جدول رقم ١٨)

التوقعات التي ركزنا عليا في البحث وعلاقتها بالمرحلة السنية

التوقع	أقل من ٣٠ سنة		٣٠ سنة فأكثر		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
المقاومة	٣٢	٨٠	٢٠	٦٤,٥	٥٢	٧٣,٢
الاستسلام	٦	١٥	٥	١٦,١	١١	١٥,٤
التحرر	٢	٥	٦	١٩,٤	٨	١١,٤
المجموع	٤٠	١٠٠	٣١	١٠٠	٧١	١٠٠

وعند فحص بيانات هذا الجدول يتضح ما يلي :

ــ كبار السن ، ٣٠ سنة فأكثر ، ٦٤,٥% منهم يطالبون بالمقاومة ، مقابل ٨٠% في فئة الشباب (أقل من ٣٠ سنة) .

ــ وبالتالي ، لم يكن غريبا أن يميل الأفراد في الفئة السنة ٣٠ سنة فأكثر إلى القول بالاستسلام (١٦,١%) مقارنة بمن هم أقل من ٣٠ سنة (١٥%) .

ــ أما بالنسبة للتحرر ، فأمامنا حالتان فقط في الفئة صغيرة السن ، وحالة واحدة في الفئة الأكبر سنا ، حيث الحالات التي في الفئة السنية ٣٠ سنة فأكثر ترى أن العراق سوف يتحرر وذلك بنسبة ١٩,٤% ، بينما من يرون ذلك ممن هم في الفئة السنية أقل من ٣٠ سنة حالتان وبنسبة ٥% .

كذلك نلاحظ هنا اختلافا في ترتيب التوقعات ؛ فبالرغم من أن المقاومة على رأس القائمة بالنسبة لفئتي السن ، إلا أن الاستسلام جاء في

المرتبة الثانية بالنسبة للفئة الأصغر سنا ويليه التحرر ، بينما العكس هو ما نراه بالنسبة للفئة السنية الأكبر حيث يأتي التحرر قبل الاستسلام ؛ هل هي حكمة الزمن والتجارب ؟ ربما ، فقدان الأمل لدى الشباب ؟ ربما . ولن نستطيع بطبيعة الحال التأكد من ثبات هذه النتائج خصوصا والمعالجة الإحصائية لم تسفر عن وجود مثل هذه العلاقة القوية بين السن والتوقعات حيث قيمة مربع كا بينهما ٠,٠٠٨.

(جدول رقم ١٩) : المستوى التعليمي واستشراف مستقبل العراق

التوقعات	المستوى التعليمي										المجموع %
	يقرأ ويكتب		ثانوية عامة		شهادة جامعية		مستوى أعلى		غير مبين		
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
١	١	١٠٠	١٤	٧٧,٦	٢٩	٥٠	٨	٣٨	–	–	٥٢
٢	–	–	١	٥,٦	٥	٨,٦	٥	٢٣,٨	–	–	١١
٣	–	–	١	٥,٦	٦	١٠,٤	١	٤,٨	–	–	٨
٤	–	–	–	–	١	١,٧	١	٤,٨	١	٥٠	٣
٥	–	–	١	٥,٦	–	–	–	–	–	–	١
٦	–	–	–	–	٢	٣,٤	–	–	–	–	٢
٧	–	–	–	–	–	–	١	٤,٨	–	–	١
٨	–	–	–	–	٤	٦,٩	–	–	–	–	٤
٩	–	–	–	–	٥	٨,٦	٥	٢٣,٨	١	٥٠	١١
١٠	–	–	١	٥,٦	٦	١٠,٤	–	–	–	–	٧
مج	١	١٠٠	١٨	١٠٠	٥٨	١٠٠	٢١	١٠٠	٢	١٠٠	١٠٠

(قيمة مربع كا = ٠,٠٦٨)

٣ــ المستوى التعليمي واستشراف مستقبل العراق بعد القبض على صدام

ذكرنا آنفا أن هذا البحث لم يسفر عن وجود علاقة قوية بين المستوى التعليمي وتوقعات المبحوثين لمستقبل العراق بعد القبض على صدام في

العينة المدروسة . ولكن بعد ضم فئات المستوى التقليمي التي يعرضها جدول ١٩ في فئتين ، فئة لمن حصلوا على شهادة جامعية أو درجة علمية أرقـــى ، وفئة لمن حصلوا على الثانوية العامة أو أقل ، والاكتفاء بالنســبة للتوقعــات بالبدائل التي حددناها في استمارة البحث ، خرجنا بالجدول التالي :

(جدول رقم ٢٠)
المستوى التعليمي وكيف يمكن للعراق أن يتحرر

التوقع	المستوى التعليمي				المجموع	
	أقل من المستوى الجامعي		مستوى جامعي أو أعلى			
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
المقاومة	١٥	٨٨,٢	٣٧	٦٨,٥	٥٢	٧٣,٢
الاستسلام	١	٥,٩	١٠	١٨,٥	١١	١٥,٥
التحرر	١	٥,٩	٧	١٣	٨	١١,٣
المجموع	١٧	١٠٠	٥٤	١٠٠	٧١	١٠٠

من بيانات الجدول السابق ، نلاحظ ثمة علاقة بين المستوى التعليمي وتوقعات المبحوثين لمستقبل العراق بعد القبض على الرئيس صدام ، حيــث ترتفع نسبة المقاومة في فئة المستوى الأقل تعليمــا (٨٨,٢%) عنهــا بــين المستويات التعليمية الأعلى (٦٨,٥%) ؛ فهل هذا لأنهــم يأخــذون الأمــور بالمقولة التي تنسب للزعيم سعد "باشا" زغلول "مافيش فايدة ؟".

وفي مقابل ذلك ، نلاحظ أن نسبة الاستسلام بين المستويات التعليمية العليا أكثر مما هي في فئة المستويات التعليمية الأقل ، وهذا ينســحب أيضــا على التحرر . ولكن بين من هم أقل تعليما في هذا البحث ، فإنــه يتســاوى لديهم توقع الاستسلام والتحرر .

والسؤال الآن هو : ما الوسيلة التي يمكن أن تخرجنا من هذا المأزق وتساعد على طرد المحتل لتحرر العراق ؟

سابعا ـ رأي العينة في الأسلوب الذي يمكن به تحرير العراق

نحن هنا مع السؤال الأخير في الاستمارة ، والتي جـاءت صـياغته على النحو التالي : وفي رأيك ، كيف يمكن إخراج القـوات المحتلـة مـن العراق ؟ وطرحنا ثلاثة احتمالات للإجابة ، مع ترك الفرصة للمبحوث ليقول كل ما عنده . وفيما يلي نتائج تحليل إجابات المبحوثين على هذا السؤال .

(جدول رقم ٢١)

النوع وأساليب التحرر من الاحتلال الأمريكي في العراق

مسلسل	أساليب التحرر من الاحتلال(١)	النـوع		الإجمالي
		ذكور	إناث	
١	بالإرادة الشعبية	٢٩	١٤	٤٣
٢	بضغوط عربية	٦	٤	١٠
٣	بضغوط غير عربية	٥	٥	١٠
٤	بوسائل أخرى	٤	٣	٧
٥	إجابة أخرى	٤	٢	٦
٦	لم يكون رأيا	٢	٤	٦
٧	١و٢و٣	٢	٢	٤
٨	١و٥	١	–	١
٩	١و٢	١	٨	٩
١٠	بدون إجابة	١	١	٢
١١	١و٤	١	–	١
١٢	١و٣	–	١	١
الإجمالي		٥٦	٤٤	%١٠٠

(قيمة مربع كا ٠,٢١٦)

وبتجميع ما جاء في الجدول السابق بالنسبة للبدائل التي ذكـرت مـع غيرها ، نحصل على الجدول التالي والذي منه يتضح أن الإرادة الشـعبية ـ

(١) سنكتفي بذكر بدائل الإجابة مرة واحدة هنا ، وفي بقية الجداول المماثلة نستأذن القارئ المهتم باللجوء إلى هذا الجدول لمعرفة المقابل للرقم .

والتي اختارها حوالي نصف حجم العينة (٤٩,٢%) ـــ هي التي من شأنها أن تخلص العراق من المحتل الأمريكي !

(جدول رقم ٢٣)

أساليب التخلص من الاستعمار الأمريكي من وجهة نظر المبحوثين

الأسلوب	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
بالإرادة الشعبية	٥٩	٤٩,٢	إجابة أخرى	٧	٥,٨
بضغوط عربية	٢٣	١٩,٢	المجموع	١١٢	٩٣,٣
بضغوط غير عربية	١٥	١٢,٥	لم يكوّن رأيا	٦	٥
بوسائل أخرى	٨	٦,٦	بدون إجابة	٢	١,٧
الإجمالي				١٢٠	١٠٠

(جدول رقم ٢٢)
النوع والأسلوب المقترح لطرد الغزاة من العراق وتحريرها

الأسلوب	النـــــوع				الإجمالي	
	ذكور		إناث			
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
بالإرادة الشعبية	٢٩	٧٢,٥	١٤	٦٠,٩	٤٣	٦٨,٢
بضغوط عربية	٦	١٥	٤	١٧,٤	١٠	١٥,٩
بضغوط غير عربية	٥	١٢,٥	٥	٢١,٧	١٠	١٥,٩
الإجمالي	٤٠	١٠٠	٢٣	١٠٠	٦٣	١٠٠

قيمة مربع كا المحسوبة على بيانات الجدول رقم ٢٢ ، والتـــي تـــم تجميع أهمها في الجدول عاليه ، تشير إلى عدم وجود علاقة قوية بين متغير النوع ورأي المبحوثين في الأسلوب الذي يمكن اتباعه لتحريـــر الكويـــت . ولكن بقراءة الجدول التجميعي ، نلاحظ أن بياناته تشير إلى أهمية الاعتمـــاد على الإرادة الشعبية بالنسبة للعينة المدروسة كلها (٦٨,٢%) ، ولكن النســـبة في فئة الذكور هنا ٧٢,٥% لمن اختار منهم أن يكون دفع هذا البلاء بالإرادة

الشعبية ، بينما النسبة في فئة الإناث ٦٠,٩% . وبالرغم من تساوي عدد من يقولون بأن ذلك يتطلب ضغوطا عربية ومن يميلون إلى أن تكون ضـــغوطا غير عربية ، إلا أن الإناث هنا تميل أكثر من الرجال بأن يكون ذلك بضغوط أجنبية (٢١,٧%) أكثر من الذكور (١٢,٥%) وأيضا بالنسبة لضغوط عربية (١٧,٤% و ١٥%) على التوالي .

أما بالنسبة للسن وعلاقته برؤية المبحوثين لمســتقبل العــراق بعــد القبض على صدام ، فإن قيمة مربع كا هنا (٠,٠٥٤) لا تشير إلـــى علاقـــة قوية بين المتغيرين ، بين السن والأسلوب الذي يمكن اتباعه لتحرير العــراق من الاحتلال الأمريكي ، بينما وجدت علاقة قوية مثلا بين ذكــر المبحــوث لاسمه واختيار أسلوب للتخلص من المحتل في العراق حيث معامل الارتباط وقيمة "٠,٠٠٠" وذلك لصالح من لم يذكروا الاسم وقالوا بأن "تحرير العراق يكون بالإرادة الشعبية" ، حيث نسبتهم في الفئات الثلاث الأولـــى ٧٩,٤% ، بينما من ذكروا الاسم كانت نسبة الإرادة الشعبية لديهم ٥٧,٦% ؛ فهل لهـــذه النتيجة علاقة بسرية العمل الشعبي ؟؟

ونتائج المعالجة الإحصائية للبيانات لم تؤكد وجود علاقة ارتباط قوي بين بعض المتغيرات الديموغرافية وبين الأسلوب المقتـــرح للقضـــاء علـــى الاحتلال ؛ فبالنسبة لمتغير العمل ، جاءت قيمة مربع كا ٠,٩٩٦ ، وبالنســبة للمستوى التعليمي قيمة مربع كا ٠,٩٤٣ ، وبالنسبة للحالة الاجتماعية قيمـــة مربع كا ٠,٦٩٧ ، بينما أفصح البحث عن وجود علاقة قوية ذات دلالة بـــين "الأسلوب المقترح للتخلص من المحتل" و"توقعات العينة لعــراق المســتقبل بعد القبض على صدام" .

(جدول رقم ٢٤)

توقعات مستقبل عراق ما بعد صدام وأسلوب التخلص من المحتل الأمريكي

طرد المحتل	توقعات المستقبل لعراق ما بعد صدام										مج
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	
١	٢٩	٣	٢	٢	٢	١	٣	-	-	١	٤٣
٢	٢	٢	٢	٣	-	-	-	١	-	-	١٠
٣	٤	٣	٢	١	-	-	-	-	-	-	١٠
٤	١	٢	-	-	٢	-	١	-	١	-	٧
٥	٣	-	-	٣	-	-	-	-	-	-	٦
٦	٤	-	-	٢	-	-	-	-	-	-	٦
٧	٢	١	-	-	-	-	-	-	-	-	٤
٨	-	-	-	-	-	-	١	-	-	-	١
٩	٥	-	١	-	-	-	٢	١	-	-	٩
١٠	٢	-	-	-	-	-	-	-	-	-	٢
١١	-	-	-	-	-	-	-	١	-	-	١
١٢	-	-	١	-	-	-	-	-	-	١	١
مج	٥٢	١١	٨	١١	٤	١	٧	٣	١	٢	١٠٠

(قيمة مربع كا ٠,٠٠٠)

وبالاعتماد على الأسلوب الذي تم استخدامه بالنسبة لجداول سـابقة ، بالتركيز فقط على الفئات الأولى الفردية تلك التي تم تحديدها في الاستمارة ، نجدنا أمام جدول تشير بياناته إلى أن المقاومة ترتبط لدى العينة المدروسـة بالإرادة الشعبية ، وهي نتيجة تتماشى مع منطق الأحداث .

(جدول رقم ٢٥)

العلاقة بين رأي العينة في أسلوب طرد المحتل

وتوقعاتهم لمستقبل ما بعد القبض على صدام

أسلوب طرد المحتل	توقعات العينة لمستقبل العراق					
	المقاومة	النسبة%	الاستسلام	النسبة%	التحرر	النسبة%
بالإرادة الشعبية	٢٩	٨٢,٩	٣	٣٧,٥	٢	٣٣,٣
بضغوط عربية	٢	٥,٧	٢	٢٥	٢	٣٣,٣
بضغوط غير عربية	٤	١١,٤	٣	٣٧,٥	٢	٣٣,٣
المجموع	٣٥	١٠٠	٨	١٠٠	٦	١٠٠

أما عن الأسباب التي كانت خلف ثقة المبحوثين في أسلوب محدد لطرد الغزاة وتحليل العراق فقد جاءت على النحو التالي [1] :

١ ـ بالإرادة الشعبية وبالضغوط العربية

ـ *"لأنه بدون الإرادة لا يتحقق الاستقلال , فانتظار تحرك الدول العربية لن يحدث حقيقي ولو قامت أمريكا بالدخول في أراضيهم لأنها مسيطرة على عقول العرب بما فيهم من كبير إلى صغير"* (٢٤ سنة ، طالب بكلية الآداب قسم اللغة العربية) .

ـ *"الإرادة الشعبية لأنه لن يستطيع أحد إخراج القوات المحتلة إلا بإرادة شعبها ، وخصوصا لأن العرب قد اتفقوا على ألا يتفقوا مثلما فعلت مصر في ٧٣ فهي التي استطاعت استرجاع أرضها ، فلم يقف بجانبها أحد"* (١٩ سنة ، طالبة) .

ـ *"الإرادة الشعبية أولا ثم بعد ذلك الاستعانة بالدول العربية ونفوذها والضغوط العربية ونتمنى من الله ألا تترك الشعب العراقي كما تركنا الشعب الفلسطيني والله مع الجميع"* (٢٢ سنة ، جندي في القوات المسلحة ، حاصل على الثانوية العامة) .

ـ *"الإرادة الشعبية والمقاومة الشديدة"* (٤٩ سنة ، مهندس زراعي) .

ـ *"بالإرادة الشعبية مجتمعة بالإضافة للضغوط العربية (باستخدام كافة الأسلحة المتاحة لديها كما حدث في أكتوبر المجيد) وكذلك وبعد ذلك*

---

[1] حرصنا في هذا الكتاب على نقل ما كتبه المبحوثون بدون تعديلات جوهرية من جانبنا ، ولو نحجر على فكر أي واحد منهم وإن اختلفنا أحيانا مع بعض أصحاب هذه الآراء .

الضغوط غير العربية ممثلة في مجلس الأمن والاتحاد الأوربي (ممثلا في الدول الرافضة للاحتلال الأمريكي البريطاني) ومع ذلك لن تجتمع هذه الوسائل لتحرير العراق وستظل الإرادة الأولى والأخيرة للأمريكان" (٣٣ سنة ، أعمال تجارية حرة ، بكالوريوس محاسبة)

ـ *الإرادة الشعبية هي المسئولة عن تحرير العراق من قوات الاحتلال ومجلس الحكم الانتقالي ليس هو الجهة المسئولة عن وضع الدستور حتى لا يتم تقسيم العراق بين السنة والشيعة والأكراد والديانات الأخرى"* (٣٩ سنة ، موظف بالمكتبة المركزية) .

ـ *"بالإرادة الشعبية لأن كل دولة سواء كانت عربية أو غير عربية مهمومة بمشاكلها الداخلية أو الخارجية والضغوط العربية غير مجدية بالنسبة للعراق والجهود غير العربية (الأوربية) غير مضمونة وإذا وجدت فإن لها مطامع وأهداف أخرى والعراقيون يملكون من الإمكانيات ما يؤهلهم من إخراج الغزاة"* (٣٣ سنة مخرج بالإذاعة) .

ـ *"بالإرادة الشعبية وبضغوط عربية معا"* (١٩ سنة ، طالب) .

ـ *"بالإرادة الشعبية والضغوط العربية"* (١٨ سنة ، حاصلة على الثانوية العامة) .

٢ ـ إجابات أخرى

ـ "بمزاج أمريكا" (٤٠ سنة ، مخرج إذاعي)

ـ *"ستخرج أمريكا بعد أن تحقق هدفها وتستنزف البترول"* (٤٠ سنة ، باحثة تنمية إدارية بوزارة الكهرباء)

ـ *"لا يمكن إخراج القوات المحتلة أبدا للأبد"* (بدرجة مدير عام) .

ـــ *"زيادة الإيمان وأهم ما أراه مفيدا لتحرير العراق هـــو التماسـك والترابط والقضاء على العناصر الخائنة ونشر الوعي الديني مـــن قبـل الوطنيين الحق ، باختصار وبمعنى أوضح الرجوع إلى عهـد الناصـر صلاح الدين"* (طالبة علم نفس ، جامعة الأزهر) .

ـــ "بضغوط غير عربية لأنه لن تخرج القوات المحتلة" .

ـــ "لا يعرف" (دبلوم دراسات عليا ، مهندس) .

ثامنا ـــ ملحوظات وآراء بخصوص "الموضوع"

وعن "ملحوظات المبحوثين وآرائهم بخصوص الموضوع" ، كانــت نسبة الاستجابة ضعيفة ، حتى بالنسبة لبعض من قالوا إن لديهم ما يريـــدون تسجيله هنا ، إذ لاحظنا أن منهم من لم يسجل ما يود ذكـــره . وفيمـــا يلـــي الانطباعات التي صورها المبحوثون الإيجابيون على موضوعنا .

ـــ *"انتظروا صدام بقوة أكثر من الأول"* (٢٠ سنة ، طالب) .

ـــ *"ما يحدث في المنطقة العربية لن يكـــون آخـــر الأحـــداث ، لأن الهدف الأصلي للغزو الأمريكي للعراق هو تأمين الجهـــة الشـــرقية لإسرائيل بعد تحييد وإبطال دور مصر كعدو أصـــيل فـــي الجهـــة الغربية ، والسطو على موارد العراق النفطية"* (٥٨ ســـنة ، مـــدير أمن صناعي) .

ـــ *"على الرغم من أن الشعب المصري هو الذي يتعاطف مع جميـــع الأحداث العراقية والفلسطينية ، ولكن ماذا نفعل وبقية الدول العربيـــة لا تفعل شيئا ؟ نحن الشعب المصري والقيـــادة المصـــرية بأكملهـــا واقفين بجانب الشعبين ؟ وأين بقية الشعوب ؟ هل مصـــر وحـــدها ؟*

لابد من اتحاد جميع الدول العربية" (٢٢ سنة ، جندي في القوات المسلحة ، حاصل على الثانوية العامة)[١] .

ـ *أرى أن العدوان على العراق كان مخططا له مسبقا قبل الإعلان عنه بفترة طويلة ١١ سبتمبر ، والمستوى المتدني الذي وصل حال العرب إليه مثل القواعد الأمريكية في الكويت وفي قطر والسعودية والبحرين . صدام حسين هو السبب الرئيسي لما حدث من دمار في العراق . الولايات المتحدة الأمريكية التي تدعو إلى احترام القانون هي أول دولة داست على الشرعية والقانون الدولي في العالم"* (٤٩ سنة ، مهندس) .

ـ *"يلاحظ في ذلك أن الدول العربية جميعا متفككة في حكامها وليس في شعوبها، ولا يوجد ضمير في الأمة العربية وقد انتهى هذا الزمان الذي كانت فيه الأمة العربية تفخر بها لأنه لايوجد ترابط بين شعوب الأمة وقياداتها ، لذلك فسوف يأتي الوقت الذي يمر به شعب العراق الآن من مهانة واحتلال على جميع الدول العربية سواء باحتلال الأراضي أو باحتلال القيم والمبادئ العربية وتغيير هوية شعوبها ، قصدي حكامها ، وسوف تحارب شعوب الأمة العربية*

---

[١] ملحوظة : إيجابية هذاالجندي عندالمشاركة في البحث لفتت انتباهنا ونسجل هنا شكرنا له ، ولكل المبحوثين الذين أعطوا البحث العلمي من وقتهم ، وللدارسين في السنة الأولى بدبلوم قسم الإذاعة عام ٢٠٠٤م الذين شاركوا في جمع بياناته من الميدان

[٢] ملحوظة : المبحوث هنا كتب اسمه الثنائي وباللغةالعربية عندما سئل عنه، ووقع بالحرفين الأولين"HE"على ما كتبه في نهاية الورقة . الخط غير مقروء ، والأخطاء عديدة وبالتالي فالجمل غير مفهومة ، وكان لابد من حذف بعض الكلمات لتسجيل جمل لها معنى

حكامها قبل أن تحارب المحتل الأمريكي .. ولا يوجد حرية رأي في تلك الأمة العربية لذلك لم أذكر اسمي وأعلم أن تلك الأبحاث روتينية ولا تظهر أي نتائج إيجابية وإذا أردتم إجابة السـؤال ابحثـوا عـن برنامج حمدي قنديل أين ذلـك البرنـامج الـذي اسـتهدف وتـم اعتقاله" (٤٥ سنة ، باحث تنمية إدارية ، ليسانس لغات شرقية) .

ـ "الملحوظة الرئيسية في هذا الموضوع أن العالم الآن يتحرك بفكر يهودي عن طريق أمريكا . نحن نعلم جميعا أن اليهـود هـم الـذين (يؤكدون ويتبرون؟؟) المكانة للعرب . نحن نخاف أن تـأتي علينـا مثلما ذهبوا لفلسطين والعراق ، وعلى ما أظن أننا سنطوق مثل الفار في المصيدة . نعلم جميعا أن سوريا ولبنان هما التاليتان ثم ليبيا ثـم السودان ثم ... " (مجند ، حاصل على بكالوريوس محاسبة)[1] .

ـ خطة غزو العراق كانت مدبرة مسبقا من أول يـوم تـولى فيـه الرئيس بوش الرئاسة .

ـ أمريكا تعرف جيدا ماذا تريد من العراق ، البترول .

ـ العراق ليس هو آخر المطاف ولكنه خطـوة فـي سـبيل تغييـر خريطة الشرق الأوسط لمصلحة إسرائيل وسوف تتبعهـا خطـوات كبيرة ، وسوف تحتل أمريكا دولا أخرى مثل سوريا وإيران . ومـن الجائز أن تدور الدفة على مصر لتحقيـق حلـم الصـهاينة بدولـة إسرائيل من النيل إلى الفرات (٤٠سنة باحث تنمية إدارية ، وبوزارة الكهرباء مواطنة مصرية قلبها واجعها)[1] .

---

[1] ملحوظة : التوقيع هنا يحمل مرارة شديدة

ـــ لن تخرج أمريكا من العراق قبل أن تحوله إلى فلسطين أخرى.

ـــ "لكم الله يا عرب" (كبير مهندسي برامج الإذاعة)[١] .

ـــ لا أتوقع شيئا للعراق أو للعالم العربي إذا لم تتغير العقول وتدخل منظومة القرن الحادي والعشرين ، حيث الأفكار والثقافات والحساسية مختلفة تماما ولا ينفع معها استعارة عقول الأجداد والتفكير بها (٤٣ سنة مقدم برامج إذاعة البرنامج الثقافي) .

ـــ غالبا ما تتأخر القنوات الإخبارية المصرية في عرض وإعلان أخبار هامة ، ولا ندري لماذا ؟ في الغالب القبض على صدام قبل الإعلان عن القبض عليه بفترة ليست قصيرة . شعرت بالمرارة والهوان رغم غضبي الشديد من صدام ولكن أمريكا تعطي درسا قاسيا لنا جميعا ممثلين في شخص صدام وربما ندفع الآن ثمن صمتنا على فظائعه وجرائمه وتسلطه . لن تخرج القوات الأمريكية من العراق (القوات الأمريكية موجودة في ١٠٠ دولة على الأقل في العالم ... صحيح ستستمر المقاومة ولكن بدون فعالية ، وأتوقع أن تزداد العمليات الانتقامية بين فصائل الشعب العراقي كل حسب انتماءاته سواء القبلية أو الدينية (شيعة أو سنة) ، وبدلا من أن يتوحدوا لطرد الاحتلال سيزداد التناحر بينهم مما يعطي الذريعة لبقاء القوات الأمريكية إلى ماشاء الله حتى[٢] يحافظوا على الأمن في العراق كما يدعون ، ولكن هذا جزء من مخطط أمريكي للهيمنة

---

(١) ملحوظة . لا أدري لماذا ذكرني هذا النداء الخارج من القلب بأغنية كنا نحبها وهي في "تتر" تستخدمه إذاعة صوت العرب . "أمجاد يا عرب أمجاد" ...!!!

(٢) نعتقد أن الأصوب القول "بحجة أن"

على العالم والتفاخر بذلك ... وقد ساعدهم صدام بغبائــه وجهلــه وعناده على الدخول واحتلال منطقة لم يكن يحلم بها ولا بعد ألــف عام (أخصائية بدرجة مدير عام ، ٥٦ سنة) .

— *على العرب أن يستيقظوا وكفانا ذل وإهانة وحســبي الله ونعــم الوكيل في الكفرة والمشركين* (١٨ سنة ، طالبة) .

— *المفروض أن على الدول العربية والإسلامية أن تتحد في جــيش لتحرير العراق وفلسطين وسوريا بالقوة لأنه — كمــا قــال عبــد الناصر — "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة"* (٢٤ سنة معيد فــي أكاديمية الفنون) .

— *الإسلام هو الحل* (٢٤ سنة ، مدرس) .

— *لماذا توقفت وسائل الإعلام عن تقديم المعلومات عن آخر أخبار صدام وكيفية معاملته من قبل الأمريكان ؟* (٢٠ سنة ، طالب بكلية الهندسة) .

— *ظلم وقع على شعب مسلوب الإرادة سواء من الحكم الســابق أو الحكم الظالم المغتصب الحالي . نرجــو تجميــع كلمــة العــرب المسلمين حتى يمكن مناهضة هذا الاعتــداء الصــليبي* . ("مــديرة عامة" بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة) .

— *"لماذا لا يتم مثل هذا الاستفتاء في معظم أمــور حياتنــا ؟"* (٢٠ سنة ، طالب بكلية الآداب) .

وفي ختام هذه الآراء ، والتي رأينا أن منها من يطالب بتعميم إجراء مثل هذه الدراسات الميدانية (بالنسبة لطالب) ، أسعدنا في هذا البحث أيضــا

وجود نقد للاستمارة من ثلاث نقاط (من مقدم برامج بالإذاعة ، ٣٤ سـنة ، وحاصل على ليسانس آداب ودبلوم مسرح) على النحو التالي :

١ــ اللغة المستخدمة خليط بين العامية والعربية ،

٢ــ بعض الأسئلة تحتاج متخصصين في الاستراتيجية ،

٣ــ يرجى ملاحظة أن كثيرا من الأسئلة ستعتمد على التخمين .

وردنا على ملاحظات سيادته ، والتي تعكس إيجابيته ، يجيب عنها ما جاء في متن الكتاب .

كذلك نرحب بأي رأي للقارئ ، إما بالبريد إلى كلية الإعـلام ، أو بالبريد الإليكتروني : shal39@yahoo.fr

تاسعا ــ ماذا يقول زملاؤنا في العراق ؟

ثلاثة من زملائنا في العراق كانوا في زيارة لمصـر ، وهـم مـن الحاصلين على درجة الدكتوراه ، وفي الفئة السنية ٥٠ سنة فأكثر ، وطلبنـا منهم الإجابة عن أسئلة الاستمارة وكانت إجاباتهم على النحو التالي :

ثلاثتهم بطبيعة الحال تابعوا العدوان الأمريكي على العراق . وقبـل أن يسمعوا بها ، شاهدوا صورة صدام بعد القبض عليه علـى شاشـة قنـاة الجزيرة بالنسبة لاثنين منهم ، حيث أضاف واحد منهما أنه شـاهدها أيضـا على شبكة الإعلام . أما الثالث ، فقد ذكر أنه شاهد هذه الصورة على شاشـة قناة تليفزيون دولة عربية دون تحديد اسم هذه الدولـة ، كمـا ذكـر أيضـا مشاهدته لها في "صحف عراقية" بدون ذكر اسم صحيفة واحدة . وقـد قـال واحد منهم إنه شاهد الصورة عصر يوم القبض على صدام ، وقال آخر إنـه شاهدها في الساعة السادسة مساء (بتوقيت بغداد) ، ولم يرد الثالث عن هـذا

السؤال . وقد تعرف ثلاثتهم على صدام في هذه الصورة ، وتكلم ثلاثتهم عنها كثيرا . أما عن الشعور الذي انتابهم بعد مشاهدتهم للصورة ، فقد كانت المرارة بالنسبة لاثنين وأضاف واحد منهما الشعور بالعار أيضا ، أما الثالث (الوحيد غير المتزوج) فقد كان الإحساس بالعار هو ما شعر به عند رؤية صورة صدام ، وهو الوحيد الذي يعتقد أن صدام كان قد قبض عليه قبل ذلك ، في حين أن زميليه لا يعتقدان ذلك . أما عن توقعاتهم للفترة التالية بعد القبض على صدام ، فقد اختلف ثلاثتهم في رؤيتهم لها ، حيث ظل من اعتقد بأن صدام قبض عليه قبل ذلك بدون إبداء للسبب ، بينما توقع آخر وجود مقاومة عراقية ، ورأى الثالث أن الاستسلام هو ما يتوقعه للعراق للخروج من هذه المحنة بإذن الله تعالى ويتخلص من الاحتلال وأن يزول الوهم الذي طغى من خلال وسائل الإعلام عن صورة النظام السابق والعودة إلى الأمة العربية بفعل حقيقي ومخلص ، هذا وقد اتفق ثلاثتهم على أن الإرادة الشعبية هي التي يمكن أن تخرج العراق من هذه المحنة .

والزميل الذي شعر بالعار عند مشاهدته صدام من قناة الجزيرة ومن شبكة الإعلام (فهو يعمل أيضا في وسائل الإعلام العراقية) أضاف إلى إجابته ما يلي : "أود أن أشير إلى أن الإعلام ظلم العراق كما ظلمه صدام حسين ، وأن قناة الجزيرة الفضائية والقناة العربية هي قنوات من تمويل صدام حسين لذا شوّهت القناتان الفترة التي تلت الحرب بتجميل صدام حسين .



— مناقشة

أجرينا هذا البحث على عينة من ١٠٠ مفـردة ، ذكـور وإنـاث ، بالإضافة إلى ثلاث حالات من زملائنا في العراق فصلنا إجاباتهم عن بقيـة الإجابات . ويلاحظ في هذا البحث عدم وجـود علاقـات بـين المتغيـرات الأساسية للبحث والخصائص الديموغرافية للعينة المدروسة ، وهـذه نتيجـة منطقية ، فقد تأثر الجميع بهذا الحدث ، ذكورا وإناثا ، صغارا وكبـارا ... وفجعتنا الصورة التي نشرت لصدام والتي قيل إنها صورة حديثـة لـه تـم التقاطها عقب القبض عليه . وكانت هذه الصورة ، ومازالت ، محور حـديث بيننا ، في مصر وفي دول العالم كله بين أفراد الأسرة وفي الشـارع وفـي وسائل الإعلام ، غير مدركين ما يحدث لهذا "الرئيس" الذي كان يوما مـلء السمع والأبصار وتحت الأضواء ، فقد كان نجما من نجـوم السياسـة وكـم صفق له كثيرون !!

وسواء اختلفنا معه أو اتفقنا ، فقد تساءلنا جميعا :

"ليه كده ؟"

"ألم يكن يكفيه وجوده على قمة السلطة يأمر فيطاع ؟"

و"صديقي من أهداني عيوبي" *"فهل فقد صدام الصديق والحبيب الذي يـرى فيه أخطاءه فيرجع إلى الصواب ؟"*

...

وبعض الناس انتابهم شعور بالغبطة بل والشماتة عندما رأوا الرئيس صدام داخل حفرة في الأرض في صورة قريبة الشـبه بصـورة "متشـرد" مخمور فاقد الوعي ، بكل ما تعنيه هذه الكلمات من دلالات ؛ فقد قتل وعذب وسجن كثيرا من أبناء جلدته ، ودارت الأيام لكي يشرب من الكأس نفسه .

واللهم لا شماتة !



- **ماذا سيكون مصير صدام ؟**
- **سؤال نتركه للزمن والأمر بين أيدي رجال العدالة .**
- **ولكن**
- **ما مصير العراق ؟**
- **هذا هو السؤال الذي يجب أن نبحث عن إجابة له ، وحاولنا ذلك في هـذا البحث .**
- **مستقبل غامض للعراق ، ولكل المنطقة ، فنحن أمام استعمار مـن نـوع غريب ، بعد أن انتهت عصور الاستعمار بمرها قبل حلوها ، إن كـان هناك من يعتقد بوجود حلاوة في الاستعمار .**
- **استعمار "شَبَطَة"[1] "ما صدق وحط رجله" ، وقد حاول من قبـل الغـزو العسكري لفيتنام**
- **و فشـــــل .**
- **وحاول غزو العالم بثقافته ، ثقافة الهمبرجر والكوكاكولا ، ثقافـة "التيـك أواي" ووالت ديزني[2] وترويج أفكاره وإيديولوجياته بنعومة الأفـاعي من خلال الأفلام والمسلسلات .**
- **و نـــــجــــــح .**
- **فهل نتوقع أن يأخذ "سلاحه" ويرحل ؟**
- **ولكن كيف ذلك وقد تصور يوما أن العراقيين سوف يستقبلونه بالزهور ؟**

---

(1) كلمة من قاموس المفردات اللغوية في قريتنا وتعني "كلب وممسك عظمة"، وأرجو ألا أكون قد فسرت الماء بعد الجهد بالماء ...

(2) هناك رفض من فرنسيين لوجود مدينة والت ديزني في فرنسا ، ويعدون ذلك غزوا لهم ، كذلك رأينا وزيرا فرنسيا يطالب بالحد من عرض الأفلام الأمريكية في صالات السينما في باريس للسبب نفسه ...

- "مش حاسس بنفسه" !
- ولكن كيف "يخلع" والبترول مازال في باطن الأرض ؟
- فهل سيكتفي بالعراق ؟
- لقمة وراها لقمة ، ولن يشبع ، والعالم كله يجلس كراسي المتفرجين !
- فماذا ننتظر ؟
- الشرعية الدولية وقرارات لمجلس الأمن ؟
- "نبلها ونشرب ميتها" وقد أثبتت الأيام ذلك في فلسطين قبل العراق وغيرهما ...
- وآخرتها إيه ؟
- ما الحل إذن ؟
- وماذا ننتظر ؟
- خراب "مالطة"[1] ؟

تاسعا ـ صدام حسين على شبكة الإنترنت

مرت حوالي أربعة أشهر على القبض على صدام ، ومازال صدام وأسر صدام وصورة صدام والجندي الأمريكي الأصلع ... أهم موضوعات الساعة ، وانقسمنا بين مصدق بأنه قد تم فعلا القبض عليه ، وبين مكذب لذلك ، على مستوى الإنسان العادي وعلى مستوى وسائل الإعلام . كذلك اختلفت الآراء حول ما إذا كان صدام سوف يحاكم بوصفه مجرم حرب ، أو أنه ستتم معاملته معاملة الأسرى ووفقا لمواثيق جنيف . وفي حالة محاكمته ، هل سيكون أمام محكمة عراقية أم لا بد من محاكمته أمام محكمة دولية ...

---

[1] مع اعتذارنا لمالطة وأهل مالطة وحكومة مالطة ...

وكنا قد حاولنا معرفة انطباعات وآراء المبحوثين بخصوص صورة صدام في الدراسة التي ذكرنا نتائجها في الصفحات السابقة راغبين الاكتفاء بذلك . إلا أن محمد السيد (الدارس في السنة الأولى شعبة إذاعة في كلية الإعلام ، والذي قام هو وزملاؤه بتطبيق استمارة البحث على ١٠٠ مبحوث) ذكر لنا أن هناك من يشككون على شبكة الإنترنت في مدى مصداقية الإعلام الأمريكي ، موسكو ، وخصوصا فيما يتعلق بصورة الرئيس صدام التي نشرت بعد إلقاء القبض عليه وقيل إنها صورته ، وأنهم يدعون أن الشخص الذي يقول الأمريكان إنهم قبضوا عليه ما هو إلا شبيه لصدام ... وقد نشر ذلك في واصلة (Link) على الإنترنت بعنوان "**أسر صدام ليس إلا نصب واحتيال**" (٢ يناير ٢٠٠٤م) ، وأخرى على الواصلة نفسها ولكن بتاريخ آخر(٤ مارس عام ٢٠٠٤م) بعنوان "**رسالة صدام لابنته التي حملها الصليب الأحمر ذهبت مع الريح!**"[1] ، وهناك طبعا تفسير لعدم وصول الرسالة التي قيل إن صدام كتبها لابنته رغد المقيمة حاليا بالأردن بعدم وجود هذه الرسالة أصلا ، لأنه لاوجود لصدام لكي تكتب مثل هذه الرسالة ؛ فهل هذا يمكن ونحن نتحدث عن دور الصليب الأحمر ؟

المهم أن محمد طبع لنا هذين الموضوعين ، وفتح بذلك شهيتنا للبحث عن واصلات أو مواقع أخرى تكون قد تناولت الموضوع نفسه ، ووصلنا إلى بعض منها ، وساعدتنا ابنتنا آية في الوصول إلى أخرى ، فالموضوع يدخل في اهتماماتها[2] ، وساعدنا الصديق أحمد سيد علي[3] بالحصول على

---

[1] Page URL :http://www.fakesaddam.com/capture2.htm

[2] رئيسة تحرير نشرة الأخبار باللغة الفرنسية في نايل تي في (Nile TY) ومعدة برامج وخصوصا البرامج الإخبارية في هذه القناة ، ومذيعة أيضا في البرنامج الأوربي .

[3] متخصص في لغة الكمبيوتر .

بعض وثائق من موقع الناسا ، كما ساعدتنا المهندسة إلهام علي بكلية الإعلام في توضيح وتصغير وتكبير بعض الرسوم والصور[4] ...

وفيما يتعلق بالصليب "الأحمر" نتذكر هنا برنامج "مراسل خاص" (Envoyé spécial) الذي بثته القناة الناطقة باللغة الفرنسية ، TV5 ، في أوائل شهر أبريل عام ٢٠٠٤م ، وقدّم "حوارا" بالكاميرا بين رجل إسعاف فلسطيني وآخر إسرائيلي ، البرنامج ملئ بالسم عند عقد المقارنات ؛ فها هو شاب فلسطيني أصيب في حادث سيارة ، ولكن من سينقله هو رجل الإسعاف الإسرائيلي بالرغم من وجود نظيره الفلسطيني في موقع الحدث ، وذلك لأن هذا الشاب يسكن بالجوار !! إلا أنه مات بعد ذلك !!

ومقابل ذلك ، نسمع سارينة سيارة الإسعاف الإسرائيلية ، المصفحة (عرفنا ذلك من سائقها) وتتجه سيارة الإسعاف إلى موقع سيارة مفخخة أدت إلى تدمير مساكن وقتل وإصابة عشرات من الإسرائيليين !! ...

ومن بين لقطات هذا الفيلم ، يتحدث المذيع عن "الهلال الأحمر" وهو الرمز الذي تحمله سيارات الإسعاف الفلسطينية ، وركز في حديثه على اللون الأحمر ودلالته الدموية ، ولا ندري هوية هذا المذيع ولا انتماءاته الدينية ولا الحزبية السياسية ...

وانتهى هذا البرنامج باتصال تليفوني بين أحمد الفلسطيني وموشي الإسرائيلي ، وفي نهاية المكالمة نسمع الأول يقول للآخر ، "يكفي ما حدث ، نريد أن نعيش" !

---

[4] ولكل منهم أسجل هنا الشكر والامتنان ، كذلك كل شكري لمن ساهم في خروج هذا العمل ، الأبناء في السنة الأولى لدبلوم الإذاعة بكلية الإعلام جامعة القاهرة الذين قاموا بالعمل الميداني ، وإلى أصدقائهم وزملائهم الذين تفضلوا بالإجابة على أسئلة الاستمارة الذين لولاهم ما استطعنا الخروج بمثل هذه النتائج ، كما أشكر الأطفال - وهم من الشباب حاليا - والذين تحدثنا هنا عن رسوم لهم جمعناها منهم عام ١٩٩٠م مع غزو العراق للكويت .

بعد أكثر من ثلاثين سنة في السلطة (منذ عام ١٩٧٩م) ، تنفس كثيرون الصعداء .

سقط صدام

فقد تم إلقاء القبض عليه

وأصبح أسيرا في يد الأمريكان

وكان مجلس الأمن (في السادس من أغسطس عام ١٩٩٠م) قد أصدر قراره رقم ٦٦١ بموافقة ١٣ صوتا ضد صوتين ، كوبا واليمن ، والذي يتضمن المقاطعة الاقتصادية (التجارية والمالية) والعسكرية ضد العراق . وقد انتظر الأمريكيون انهيار العراق وأن يقع انقلاب فيها للقضاء على الرئيس العراقي ، خصوصا وقد بدأ العنف يستشري في العراق ، وقد أتاح لهم صدام الفرصة وقدم لهم العراق على طبق من فضة في يد ، وفي اليد الأخرى قدم لهم رقبته على طبق من ذهب .

وقد سبق القبض على صدام تنفيذ أحد العراقيين محاولة تفجير لسيارة ملغومة مستهدفا مخفرا للشرطة ، ونتج عن هذه العملية التي تمت في الخالدية غربي بغداد مقتل ١٧ فردا منهم منفذ العملية ، وازداد العنف في الشارع العراقي ... ، وتمنى كثيرون أن تنزاح هذه الغمة ولو بالقبض على صدام ، إلا أن الأيام أثبتت صدق ما قاله بوش بحذر شديد ، بأن "القبض على صدام ليس معناه نهاية العنف في العراق"، والدليل على ذلك ما نعيشه حتى اليوم ، منها اعتداء عشرات من الموالين لصدام على مركزين للشرطة بأسلحة أوتوماتيكية ، وتفجير قنابل في الأعظمية (وهو الحي الذي يسكنه مواطنون من السُنة في شمالي بغداد) .

وعلى بعد ٦٠ كيلو مترا غربي بغداد ، استولى موالون لصدام على مركز للشرطة واحتلوه ، والسيارات المفخخة يزداد عددها في العراق ، ولن نشير إلى ما تتناوله الصحف وما يبث على شاشات التلفزيون بصــفة شــبه يومية من اعتداءات مزرية من المحتل الأمريكي على إخواننا وأخواتنا فــي العراق ، من اقتحام للبيوت ، والقبض التعسفي على المــواطنين ، وتعــذيب لمن ألقي القبض عليهم ، واعتداء بدني ولفظــي وجنســي علــى الــذكور ، واغتصاب للنساء ...

أما أخبار القبض على الرئيس صدام ، ٦٦ سنة ، بعــد أن اختفــي تماما عن الأنظار بعد سقوط بغداد منذ أكثر من ثمانية أشهر (منذ التاسع من شهر أبريل عام ٢٠٠٣م) ، ولم نسمع إلا بعض تسجيلات صوتية أذاعتها له بعض القنوات العربية ومنها الشريط الذي نعى فيه مقتل ابنيه عُدي وقصــي واللذين قتلتهما القوات الأمريكية في ٢٢ من شــهر يوليــو ٢٠٠٣م ، وتــم التعرف على جثتيهما بتحديد هويتهما عن طريق فحص الحمض النــووي .

وقد كان قصي وعدي في القائمة التي ضمت ٥٥ اسما لشخصــيات تطلب القوات الأمريكية القبض عليهم وعلى رأسهم صدام حسين ، ورصدت لذلك جائزة مالية لكل من يرشد عن أي واحد منهم ويوجد اسمه في القائمة ، والتي كانت في شكل ورق كتشينة (مما يمثل درجة عالية في الاســتهزاء) ، ولكل شخص فيها رقم مسلسل ورمز من الرموز الأربعة التي تحــدد أوراق اللعب ، ورمز لرئيس صدام بالرقم واحد ، "الآس" ، واختــاروا لـــه "القلــب الأسود" المقلوب ♠ ("Pique, or, Spade")

الصور الأولى لصدام بعد اعتقاله

هذه العملية التي نفذت للقبض على صدام ، والتي أطلق عليها اسم عملية "الفجر الأحمر" ، يقال إنه لم ينجم عنها أية خسائر ، فلم يصب فيها أي فرد ، بل ولم تطلق فيها رصاصة واحدة . ولكن ، يقال إنه قد تم فيها القبض أيضا على اثنين من "بطانة" صدام وحاشيته .



آخر لقطة شوهد فيها صدام بين جماهير شعبه
ونقلتها شاشة تليفزيون أبو ظبي
في ٤ سبتمبر ٢٠٠٣م

أما عن تاريخ هذه العملية ، فإن البحث الميداني الذي سبق وعرضنا نتائجه قد أشار فيه بعض المبحوثين إلى أنهم يعتقدون ، بل ومنهم من يقطعون ويجزمون وآخرون أيضا ، بأن عملية القبض على صدام كانت قبل تاريخ الإعلان رسميا عن القبض عليه والتقاط هذه الصورة بأسابيع طويلة ، خصوصا مع ظهور النخل المثمر في المزرعة التي عثروا على صدام فيها . وقد أشرنا من قبل أيضا إلى أن على شبكة الإنترنت خرج من يؤكد على أن الصورة في شريط الفيديو الذي عرضوه لمن يدعي الأمريكان بأنه صدام ، صورة "مفبركة" ومزورة ، وقد تكون لشبيه لصدام ، لممثل مغمور ،

"دوبلير" ، أو لشبيه لصدام خصوصا وقد كان له أكثر من شبيه لحمايته ممن تسول له نفسه الاعتداء على شخصه في زياراته لبعض الأماكن العامة .

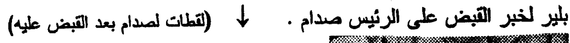
– فهل آخر صورة شاهدناها له من تليفزيون أبو ظبي كانت لصدام بلحمه وشحمه أم لشبيه له ؟

– وهل خرج من العراق مع المسئولين الروس كما يقال ؟

– أم أنه قتل في أثناء القصف المركز والعنيف على واحد من قصوره يقال إنه كان يختبئ فيه ؟

كذلك يوجد من يؤكد أن القبض على صدام قد تم يوم السبت ، في حوالي الساعة الثامنة والنصف بالتوقيت المحلي لبغداد (الساعة الخامسة والنصف حسب توقيت جرينتش) ، وآخرون يقولون بأن القبض عليه كان يوم الجمعة .

وقد كانت البي بي سي والسي إن إن (BBC,CNN) من موقعيهما على شبكة الإنترنت صباح يوم ١٤ ديسمبر أول من تابع هذا الخبر ببث برقية من وكالة "الأسوشيتدبرس" (Associated Press) تشير إلى أنه قد تم إلقاء القبض على صدام حسين في ليلة السبت/الأحد في أثناء غارة شنتها القوات الأمريكية على تكريت . وفي الساعة العاشرة تقريبا بتوقيت "جرينتش" ، أذاعت البي بي سي تأكيدا من رئيس الوزراء البريطاني توني بلير لخبر القبض على الرئيس صدام .



(لقطات لصدام بعد القبض عليه)





ـ الإعلان رسميا عن القبض على صدام : حكايات وروايات

يوم الأحد الموافق ١٤ ديسمبر عام ٢٠٠٤م ، وفي الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا بالتوقيت المحلي لبغداد ، أعلن بول بريمر (Paul Bremer) القبض على صدام بقوله : 'We got Him'، وأضاف بريمر بأن إلقاء القبض على صدام تم يوم الجمعة في حوالي الساعة الثامنة والنصف مساء بالتوقيت المحلي لبغداد ، ثم قال إن "الطاغية هو الآن مجرد سجين" .

وطوال الساعتين التاليتين لبث هذا الخبر ، سرت شائعات تشكك في عدم صحته ، فقد تم بثه بدون تدعيمه بما يؤكد صحته ، خصوصا ونحن نعيش عصر حضارة الصورة .

وقد صرح الجنرال "ريكاردو سانشيز" (Ricardo Sanchez) رئيس القوات الأمريكية في العراق ، بأنه قد تم العثور على الرئيس صدام في حفرة على بعد ١٥٠ كيلو متر شمالي بغداد بمزرعة بها نخيل[1] في زمام قرية بالقرب من تكريت مسقط رأس صدام حسين .

وفي بغداد ، كانت القوات الأمريكية قد ألقت القبض على مستشار للرئيس صدام في ساعة متأخرة من يوم الجمعة أو صباح السبت (فقد اختلفت الروايات) ، بعد عشرات الغارات التي شنتها القوات الأمريكية ولأسابيع طويلة على بغداد . وقد جاء على لسان "جيمس هيكي" (James Hickey) أنهم قد اصطحبوا هذا الشخص معهم إلى تكريت ليرشدهم لمخبأ صدام ، وبالفعل قادهم إليه ، إلا أن هيكي لم يصرح ما إذا كانت السلطات الأمريكية قد دفعت مكافأة لهذا الشخص الذي كان في يوم ما من المقربين للرئيس

---

(1) بالرغم من شهرة تمر العراق على مستوى العالم كما ذكرنا من قبل ، إلا أن نخلة منها تحمل ثمارها من البلح الأصفر في هذه المنطقة طبقت شهرتها الآفاق ، فقداستخدمت دليلا لتكذيب الأمريكان بأنهم قبضوا على صدام في آخر النصف الأول من شهر ديسمبر

السابق للعراق ، حيث تم رصد مبلغ ٢٥ مليون دولار مكافأة لمن يساعد في القبض على صدام[٢] ...

وصرّح عضو سابق في المخابرات العراقية ن صدام كـان قـد قبض عليه أحد أعضاء الاتحاد الوطني الكردي (UPK) الذي انضم إلى جانب القوات الأمريكية في حرب العراق إلى أن اتفق مع الأمريكان ، ومن شـأن هذا الاتفاق أن يكون له تأثيره السياسي على المنطقة .

ومن مصدر آخر لم يفصح عن هويته لجريدة "سان داي إكسـبرس" اللندنية (Sunday Express) ، كتب"جوزيف لوغان"(Joseph Logan) في الجريدة أن "صدام لم يتم أسره بفضل جهود من المخابرات الأمريكيـة أو البريطانية ، فهناك من كان يريد الانتقام من صدام ، والمسألة كانت مسـألة وقت" ؛ وبذلك فإن القصة الكاملة لأسر صدام يوم ١٣ ديسمبر بـالقرب مـن مسقط رأسه تشير إلى أن ما رواه الأمريكيون غير كامل كما تقول الجريدة ، التي تؤكد أن شخصا من إحدى القبائل قد أرشد عن صدام انتقاما منـه ، لأن ابن صدام ، عدي ، كان قد اغتصب إحدى فتيات تلك القبيلة .

ورواية أخرى تقول بأن صدام أسره الأكراد وخدروه ، حيث تعتقـد رغد صدام أن والدها قد تم تخديره ، وهذا ما نشرته "سـان داي إكسـبرس" اللندنية يوم القبض على صدام ، يوم الأحد ، حيث أكدت الجريدة أن الرئيس العراقي قد ألقي القبض عليه بعد أن سجنته القوات الكردية ، ثم تم تخـديره وتسليمه للقوات الأمريكية ...، إلا أن هناك رواية تقول بـأن أحـد الجنـود الأمريكيين هو الذي اكتشف مخبأ صدام عندما كان هذا الجندي في المزرعة.

---

(٢) يقال إن الشخص الذي أبلغ السلطات الأمريكية عن مكان ابني صدام عدي وقصي قد قبض في هذه العملية ثلاثين مليون ، ومكان آمن في الولايات المتحدة يعيش فيه بقية حياته .

والرواية الرابعة لما حدث ، هو أن القبض على صـدام قامـت بـه قـوات مشتركة تتكون من ٦٠٠ فرد ، وتتشكل من عناصر أمريكية تساعدها قـوات خاصة كردية ، وبشمرجية ...

ولكن ، عندما أعلنت الولايات المتحدة القبض على صدام حسين قال بعض الناس إن الولايات المتحدة كانت تحتجز صـدام حسـين منـذ فتـرة طويلة ، وأن المخابرات الأمريكية "السي آي إيه" قد تمكنت من برمجة مـخ صدام لجعله يذهب إلى حفرة تكريت وينتظر جنود الجيش الأمريكي ليقبضوا عليه . هذا القول يواجه مشكلة عويصة لا يستطيع تجاوزها مفادها أنـه "إذا كان بإمكانهم برمجة مخ صدام ليفعل كل ذلك ، لماذا إذا لا يبرمجون مخـه ليخبرهم أين الأموال ؟ أيهما أهم : المليارات أم الحفرة ؟ وإذا كان لدي السي آي إيه ذلك القدر من النجاح في العراق وكانوا قادرين علـى برمجـة مـخ صدام ، لماذا استبدلوا رئيس قاعدة السي آي إيه في العراق ، وثلاث مرات ، منذ أن أعلن الرئيس الامريكي جورج بوش انتهاء المعارك الرئيسية في مايو ٢٠٠٣م ، لفشلهم الذريع للتجسس في العراق . كذلك فإن آخر رئيس للسـي آي إيه في العراق تم استبداله بعد اعتقال صدام ! فهل هذه كانت مكافأتـه ، للنجاح الباهر ، الذي حققه في العراق ، بإعفاء هذا الرجل من مهامه ! ؟

انطلاقا مما سبق ذكره ، يؤكد أصـحاب هـذه النظريـة علـى أن الأمريكان لم يتمكنوا أبدا من اعتقال صدام ، ولا حتى لثانية واحدة .

وهناك من وصفوا "المخبر" الذي وفر لهم المعلومة التي قادتهم لأسر صدام بأنه من أفراد عائلته ، وقالوا إنهم أخضعوه لتحقيقات قاسية وعمليـات

نفسية حتى أجبر على الاعتراف على مكان صدام . ولما كانت "آخرة الخدمة عند الغز علقة" كما يقول المثل ، إلا أن هذا الواشي قد نجـا بجلـده ؛ فقـد اكتفى الأمريكان بحرمانه فقط من المكافأة ، وقالوا عنه إنه لايستحق المكافأة التي قدرها ٢٥ مليون دولار ، لأنه لم يقدم المعلومات طواعية .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، لماذا لا يستخدمون الأسلوب نفسـه مع صدام ليخبرهم عن مصير المليارات ؟ أو على الأقل ، ليحصـلوا علـى معلومة كالتي حصلوا عليها من ذلك المخبر ! ؟ لماذا يـؤلمهم أنـه "غيـر متعاون ولا يدلي بمعلومات ؟ لماذا لم يسألوه عن أسلحة الـدمار الشـامل ؟ لماذا ولماذا ... عشرات الأسئلة يمكن طرحها هنا والتي تشير الإجابات عنها عن أن هذا "الفيلم الهندي" الذي صـوروه من خيالهم لبطل من حبـر علـى ورق ، المخبر، وأنهم استطاعوا برمجة مخه،الإجابات التي نحصل عليها من تلك التساؤلات تنفي إمكانية أن يكون وراء كل هذا الخيال ذرة من الحقيقة .

وفي مقابلة تليفزيونية مع السي إن إن ، قال وزير الدفاع الأمريكـي رامسفيلد عند سؤاله عن التحقيقات مع صدام حسين إن الجواب المختصـر: صدام لا يتعاون . فإذا كان "صدام لا يتعاون" هو الجواب المختصر ، فما هو الجواب المطول ؟ الجواب المطول هو الجواب المختصر نفسه ، "صـدام لا يتعاون" . وعندما سئل رامسفيلد عن أسلحة الدمار الشامل قال ، إلى الآن لـم نجد أسلحة كيماوية أو بيولوجية "بكميات كبيرة" . فهل المقصـود "بكميـات كبيرة" هذه تضليل المشاهدين والإيحاء لهم بأنهم قد حصـلوا علـى كميـات صغيرة ؟ الحقيقة هي أنهم لم يحصلوا على شيء ، لا كميات كبيرة ولا حتى صغيرة . أسلحة الدمار الشامل وقصة اعتقال صدام كله كذب في كذب ...

الولايات المتحدة حاليا تتسول المساعدات من الدول الأجنبية لإعادة إعمار العراق . كل ما استطاعت الولايات المتحدة الحصول عليه ممن يطلق عليهم اسم "مانحو العراق" هو فقط مليار واحد . السؤال هو إذا كان لديهم شخص وفي يده ٤٠ مليارا من الدولارات (٤٠ ألف مليون) ، فهل سيتركون صدام بحاله ؟ إذا كان كذلك ، لكان الأولى بهم أن يتركوه داخل الحفرة ! ولكن بالطبع ، صدام المزعوم ، الذي اعتقل في ١٣ ديسمير وظهر في شريط الفيديو ، ليس في حوزته ولا جزء صغير من هذا المبلغ ، باختصار ، لأنه زائف ، بالضبط مثل لحيته الزائفة ، هكذا يتحدثون في واحد من الروابط على الإنترنت .

ـ أنا صدام حسين

في صبيحة يوم الإثنين ، روى ضباط ممن اشتركوا في العملية كيف تم القبض على صدام ، وأنه قال لهم *"أنا صدام حسين ، أنا رئيس العراق ، أريد التفاوض"* ، قالها باللغة الإنجليزية ! وجاءت الإجابة على لسان الكولونيل "ريد" (Reed) : *"الرئيس بوش يتمنى لك صباحا سعيدا"* .

ويقول هيكي إن جنوده عندما نظروا في *"حفرة الفئران"* هذه ، والتي عثروا فيها على الرئيس صدام ، اكتشفوا وجود رجل ، وظهرت يدان ، وأضاف هيكي إنه *"كان واضحا بأن هذا الشخص يريد تسليم نفسه"* . ويقول هذا الضابط إنه *لم يكن يتصور أن الأمر سيكون بمثل هذه السهولة"* ، وأن الجنود كانت لديهم أوامر ــ كما في الأفلام التي تصور الغرب الأمريكي ،

"الويسترن" ، بأن يعثروا على صدام ، والقبض عليه أو قتله ، فهو ***"مطلوب حيا أو ميتا"*** !!

WANTED

وقد تم "العثور" على الرئيس العراقي صدام في تلك الحفرة ، والتي أمكن الوصول إلى داخلها "بهدم جدار ورفع الأتربة التي كانت تخفي الحفرة عن الأنظار" ، وهذا يؤكد الرواية الأولى التي تشير إلى وجود وشاية من أحد الأشخاص الذين أبلغوا القوات الأمريكية عن مكان صدام رغبة في المكافأة .

وقد قيل إن هذه الحفرة كانت مظلمة ، وبها فئران ، ولكنها مزودة بفتحة تهوية ، وبها مروحة . وقد ذكر بعض المسئولين العراقيين أن صدام ، لحظة القبض عليه ، كانت معه بندقية إلا أنه لم يستخدمها عند وصول الجنود الأمريكيين إلى مكانه ، كما قيل إن الجنود قد عثروا في الحفرة التي كان صدام يختبئ فيها على ٧٥٠٠٠٠ دولار من فئة المائة دولار ، ومسدس ، و"كلاشنكوف" ...

باختصار، توجد أكثر من رواية لكيفية القبض على المدعو"صدام" .

وبعد ذلك ، تم نقل صدام إلى مكان سري ، على حد تعبير المتحدث الرسمي لبريمر ، حيث قيل في البداية إنه وُضع في زنزانة بالقرب من مطار بغداد .

وقد صرح نانشيز بأن صدام عند القبض عليه كان يتكلم كثيرا ، "ثرثارا" ، إلا أن هذا يتناقض والصور التي عرضت في شريط الفيديو ، والتي ظهر فيها الرئيس صدام وهو شبه منوّم ، ومستسلما بوداعة ليدي جندي أمريكي أصلع يرتدي قفازا من "الكاوتشوك" وهو يقوم بفحص صدام الذي كان شعر رأسه "منكوشا" وكذلك لحيته ...

وهنا نتساءل : هل كان الرئيس صدام ثرثارا عند إلقاء القبض عليه قبل التقاط هذه الصور له ، أي قبل ذلك بأسابيع ؟! ربما .

وإذا أخذنا بوجهة النظر القائلة بأن صدام قد وقع في قبضة الأمريكان قبل أسابيع من التقاط هذه الصور له ، والتي تبدو فيها بعض جراح في وجهه وجبته ، فهل عذبوا صدام الذي في الصورة جسديا إلى جانب العذاب النفسي مما جعله يستسلم هكذا وباستكانة عجيبة ليدي واحد من جلاديه ؟

- هل هو فعلا صدام ؟
- ولماذا نراه في الصورة وكأنه أمام طبيب أسنان أو طبيب أنف وأذن وحنجرة ؟ (١)

لقد شاهدنا صداما فاغرا فاه منتظرا في سلبية واستسلام الطبيب الأصلع أن يزج في فمه آلة الضغط على اللسان . ويتساءل "فيليب جيلوك" عاشق القطط (٢) عن خافض اللسان هذا : هل هو عصا "اسكيمو" ؟ سيكون هذا عجيبا !

- والفيلم الخاص بصدام يمكن أن يستمر .
- بلحية وبدون لحية ...
- عرض مستمر.
- تم القبض على صدام .



---

(١) فيلم الفيديو الذي سجل لصدام بعد إلقاء القبض عليه يمكن مشاهدته لمن يرغب على موقع السي إن إن (CNN) بشبكة الإنترنت .

(٢) (Philippe Geluck) http://www.lemonde.fr/web/article/0,1-0@2-3208,36-346351,0.html

- مشاهد تبث "ع الهوا" مباشرة، "live" .
- خبر عاجل .
- Exclusive !
- سيارة مفخخة تهدم مخفرا للشرطة في قلب بغداد .
- حرّك الريموت . اضغط . اختر قناة . اثبت عليها .
- الجزيرة .
- العربية .
- CNN
- قناة النيل للأخبار .
- تعذيب المعتقلين .
- اقتحام منازل .
- ترويع الأطفال .
- اغتصاب نساء .
- من الذي يمكنه وقف كل هذا العنف والقتل في العراق ؟
- اقطع .
- انتهى الدرس .

لم نشاهد مثل هذه الإثارة منذ شاهدنا الطائرتين تخترقان برجي مبنى التجارة العالمي في نيويورك بأمريكا .

شعور غريب بدأ ينتابنا أمام صدام الذي من خلال هذا "القصف" الإعلامي بدأنا نراه ضحية وازددنا إشفاقا عليه . فكلما زادت مشاهدتنا له

مستسلما لهذا العدو الأمريكي المتغطرس قلت رؤيتنا لجرائمه ، خصوصا والعنف يتصاعد بسرعة في الشارع العراقي .

فرصة ، يراها فوتورينو ذهبية ، ويدعو للانتباه إليها وتسجيلها :

- هيا يا مخرجي السيناريوهات .
- قليلا من الجهد .
- وسوف نبكي على صدام كما تفعل بعض الأصوات العربية[1]
- كم عدد المرات ، منذ الأحد ١٤ ديسمبر ٢٠٠٣م ، شاهدنا فيها صورة صدام ؟
- هل تمت تلك المشاهد بالاتفاق مع الأمريكان لجذب انتباه العالم وكسب تعاطفه على مصير صدام ؟ [2]
- هيا ، أين عروضكم ؟
- هل من مزايد ؟
- "ألا أونا" !
- لن نقول "ألا تريه" الآن .
- المزايدة على صدام ما زالت مستمرة .
- هل كان مخدرا ؟
- هل تم تسليمه وبيعه ؟

ويتعاطف "جاك فيرجاس" المحامي الذي يدافع عن "باربي" (Barbie)[3] ، ، لدرجة أنه يريد أن يدافع عن صدام .

---

(١) "إيريك فوتوريو" ('Eric Fottorino) جريدة "لو موند" الفرنسية (Le Monde)

(٢) http://www.lemonde.fr/web/article/0,1-0@2-3208,36-346351,0.html

(٣) هذه الدمية التي جذبت أطفال العالم

هل لأن كلمة "باربي" ، اسم الدمية ، قريبة من كلمة "بارب" (Barbe) التي تعني لحية باللغة الفرنسية[٤] ؟ هل الكلمة سمّعت ؟ هل هو التداعي ؟ فبالعقلية التجارية ، وبمناسبة أعياد المسيح عليه السلام في ديسمبر ٢٠٠٣م ، طرح الأمريكيون دمية ملتحية تمثل صدام حسين خارجا من حفرته[*] .

- أردد مع محمود العسيلي أغنيته "مجنونة مجنونة" !!!
- باحبها .
- موسيقاها مختلفة حتى ولوكانت مقتبسة ، لون جديد قلده مطرب آخر له اسمه في السوق قبل العسيلي .
- لو لم يكن هذا العالم مجنونا ! ؟؟ لا أقصد المكان ، بل السكان !
- فبعد تحديد سعر لرأس صدام ، يدعي بوش أنه يود ترك العراقيين يقررون ذلك . ولكن ، حتى الآن المخابرات الأمريكية هي التي تقوم بعملية "طبخ" وتسوية هذا السجين .
- ومسألة محاكمة صدام حسين وضباطه ، كما يقول "روبير بادنتر" (Robert Badinter)[١] ، والتي أصبحت تشكل حجر الزاوية لمستقبل العراق ، بل وللمنطقة كلها ، مما يجعلها "ولا مسألة الشرق الأوسط" في زمانها ! فالبعض يُمني نفسه

---

[٤] "beard" بالإنجليزية .

[*] في بداية الثمانيات ، كانوا قد طرحوا دمية تشبه الإمام الخميني بلحيته عل اللحية تجذبهم ؟ فابحثوا عنها لديكم بين أبنائهم من الهيبز .

[١] **Nouvel Observateur** Semaine du jeudi 18 décembre 2003 - n°2041 - Dossier

بل ويحذّر ويقول : "انتظروا صدام قادم وبقوة" ، والكلام ده بعد أسر صدام [1] !

وليلة وراها ليلة ، وشهريار القرن الواحد والعشرين ، التليفزيون ، هو الذي يحكي ، ويحكي . رتابة . ملل . نفس الكلام . فبعد اليوم المشهود الذي قالوا فيه إنهم قبضوا على صدام ، ودائما نسمع نفس القصة ، ويجب أن نبدو وكأننا نصدق . صدام ، صدام ، صدام . طب ، وبعدين ؟؟ ، الكل في الانتظار ، لأي حركة من العراق ، لأي كلمة من شاهد على الرئيس السابق للعراق ، فإن الفقرات التي تم تصويرها تدار باستمرار . اسطوانة مشروخة . إخراج تليفزيوني . أضف إلى ذلك أن شريط القبض على صدام موجود على موقع السي إن إن ، وتحت أمر من يريد ، وكأننا لم نشاهد جيدا ، ولم نفهم أيضا . صدام يعبث بلحيته ، يتخللها بأصابعه ، يعاود فتح فمه ، ويشرد بفكره ، ويتوقف . ويد تلبس قفازا من الكاوتشوك تفحصه ، تقلبه . وآخر ، وبوضع غلالة على عينيه ، فضل المخرج عدم الكشف عن هويته . هل هو الشخص الذي قاد القوات الأمريكية إلى مخبـأ صدام ؟ ربما . جندي أمريكي ؟ طب ليه محاولة إخفاء هويته ؟ لماذا يتنكر ؟

كل هذا يصورونه لنا في فيلم من أفلام الإثارة ، وبالسينما سكوب، وفي صورة مقربة تملأ الشاشة (Gros Plan) ، الوجه يغطي كل مساحة الشاشة ، وربما يرمزون بذلك إلى أن صاحبها كان يوما ملء السمع ، وصورته في كافة وسائل الإعلام ، بل ومازال . فلم تنته الأسطورة بعد .

- هيا ، اطرحوا عروضكم .
- من المزايد الجديد هنا ؟

(1) انظر فيما سبق نتائج البحث الميداني

- ننتظر .
- لم العجلة ؟
- فلنتأكد أولا من البضاعة .
- نوع جديد من أسواق النخاسة .
- يا ربنا !
- ياإله الكون ! وكم تهزني أغنية "إله الكون سامحني أنا إنسان" لرياض لسنباطي !
- رحمتك وسعت كل شيء يا الله ، فارحمنا وتب علينا واغفر لنا يا غافر الذنوب ، يا الله ، يا رحمن يا رحيم .
- ما الذي يجري هنا ؟
- وعلى الشاشة الصغيرة ؟
- لماذا كل هذا الفحص ؟
- مذيعو التليفزيون يتساءلون ، ونتساءل نحن أيضا معهم ، عما إذا كان الأمريكيون "عندهم حق" في عرض صور الرئيس صدام كما الفأر على العالم .
- ألم يسبق واعترضوا ، ونددوا ، وشجبوا ، لأن بعض القنوات العربية تجرأت وعرضت صور أسرى أمريكيين في العراق وكانوا فيها يحتسون الشاي معززين مكرمين ؟
- هل عرض صور صدام وهو ملقى على الأرض ، مصابا ، و"لص" يقلب فيه بحثا — ربما — عن دولار هنا أو هناك ، هل هي صورة جميلة تجعلهم يفخرون بمعاملتهم الحسنة لهذا الأسير "فوق العادة" ؟

- هل هذا مستوى معاملة الأسرى الذي يتشدقون به ؟
- أين جمعيات حقوق الإنسان وهي ترى كرامة إنسان ، ، تحت أقـدام لصوص أيا كانت جريمته وأيا كانت مكانته الاجتماعية ؟
- أين "بريجيت باردو" ؟
- أين هذه الصورة من صورة المعاملة الكريمة من العراقيين للأسـرى الأمريكيين ؟
- وكيف نقارن بين معاملة الأسرى الأمريكيين في بلادنا مع ماتراه في صورة صدام وهو مطروحا أرضا على وجهه وأحد الجنود يقلبه كما الذبيحة ؟ وأخرى وآخر وهو يفتش في رأسه ؟ وثالثة وهم يفحصون فمه ؟ ولا نعرف لم "يفلي" العسكري الأمريكي أسيره ؟ وعما يبحث عنه لدى هذا السجين المغلوب على أمره ؟ هل بحثا عـن حشـرات هربت منهم ويعتقدون أنها لجأت إلى هذا الأسـير ؟ هـل يريـدون استرجاع حقوقهم التي اختلسها رغما عنهم ؟ [1] .

لقد أمرنا ديننا الحنيف إذا نحن ذبحنا أن نحسن الذبح بشـفرة حـادة حتى لا نعذب الذبيحة . فأين هؤلاء الأمريكان من هذه الأخلاقيات السامية ؟ ويدعون أنهم متحضرون ؟ هل هذه حضارة يمكن احترامها ؟

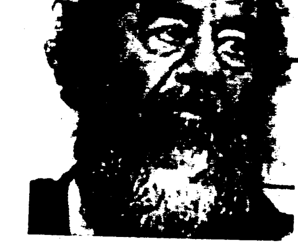
المزايدة على صدام ما زالت مستمرة .

- هل التقطت هذه المشاهد بالاتفاق مع الأمريكان لجذب انتباه العالم وكسب تعاطفه على مصير صدام ؟

---

[1] انظر ملحق الصور

- هل كتب خطابا لابنته رغد وسلمه صدام لمندوب الصليب الأحمر لتوصيله لابنته ؟



- بل ، هل صدام موجود أصلا ؟
- هل زاره أحد أقربائه ؟
- هيا ، أين عروضكم ؟
- هل من مزايد ؟
- "ألا أونا" !
- لا ، انتظروا ! لم ننته بعد !
- نعرف الأول نتيجة التحليل !

ـ اختبار الحمض النووي

يوجد هنا من يقول بأنه قد تم الحصول على العينة التي خضعت للتحليل لتحديد هوية هذا السجين في اللحظة التي كان يتم فيها الكشف عليه وشاهدناها في الصورة إياها ، وذلك لتحديد الحمض النووي ومقارنته ـ ليس بنتيجة تحليل سابق لصدام ـ أشك ، ولكن مقارنتها بتحاليل قد تكون أجريت على فرد من أسرته من خلال التعرف على الجينات الوراثية .

فللتأكد من أن الشخص المقبوض عليه هو صدام وليس شبيها له ، تم اللجوء إلى تقنية بريطانية كان قد تم اكتشافها منذ حوالي عشرين سنة ، وتستخدم في تحديد هوية بعض المشتبه فيهم ، بل والمجني عليهم أيضا ، كما تستخدم هذه الاختبارات كذلك في بعض قضايا أخرى مثل قضايا تحديد النسب .

وقد استخدم هذا الاختبار لتحديد هوية الضحايا في حرب البوسنة ، وبالنسبة لضحايا الطائرات (لتحديد هوية ضحايا الطائرة المصرية التي سقطت — أو أسقطت — قبالة السواحل الأمريكية ، وبالنسبة لضحايا الطائرة المصرية التي سقطت في المياه بالقرب من الساحل قبالة شرم الشيخ ...) .

و" استخدام هذا النوع من الاختبارات لتحديد هوية صدام لدليل آخر على أهمية هذا الاختراع" ، هكذا يقول لوكالة الأنباء الفرنسية "أليك جيفريز" (Alec Jeffereys) الذي كان له الفضل في استخدام هذا النوع من الاختبارات في مجالات مهمة .

وتجرى اختبارات الحمض النووي بالمعالجة الكيماوية والتسخين لعينة تؤخذ طبعا من المراد فحصه ، حيث يمكن أخذ هذه العينة من اللعاب ، أو من جلد جاف ، أو حتى شعرة ، عندما يراد تحديد هوية شخص ما .

وفي بداية استخدامات هذا النوع من الاختبارات ، كان ينبغي الانتظار أسبوعين في بعض الأحيان للحصول على النتيجة... ، وهذا يفسر لماذا سرت همهمات تتساءل عن مدى صحة إجراء اختبارات الحمض النووي لصدام ، عندما أعلنت القوات الأمريكية عن أن نتائج الاختبار تؤكد بأن الشخص المقبوض عليه هو صدام بعينه وليس شبيها له .

ولما كان هناك تساؤل عن التاريخ الذي أجريت فيه لصدام هذه الاختبارات ، فقد صرح العالم البريطاني أليك جيفريز الأب الروحي لهذا الاختبار لوكالة الأنباء الفرنسية أنه قد أصبح في الإمكان الآن الحصول على نتيجة هذا الاختبار بعد ساعات قليلة من أخذ العينة ومعالجتها كيمائيا ... ،

فقد جاءت نتيجة التحليل المعملي للحمض النووي المعروف باسم "دي إن إيه" (DNA)[1] بعد سبع ساعات من سحب العينة من صدام .

ــ ردود أفعال القبض على صدام

قوبل خبر القبض على صدام بشعور بالارتياح على مستوى العالم ، حيث أعرب قادة العالم كله عن ذلك ، من المعارضين تماما للحرب إلى المؤيدين للصراع المسلح ، فقد تقبل الجميع ، وبراحة تامة ، العملية التي تم من خلالها القبض على صدام .

وقد عبّر العراقيون عن ذلك بإطلاق النار فرحا وابتهاجا في كل العراق ، وتبادلت قوى المعارضة في العراق التهاني ... وارتفعت أصوات تنادي بتسليم السلطة وبسرعة للعراقيين ، سواء من العراقيين أنفسهم أوممن يريدون السلام في المنطقة العربية ، فقد كان هناك تخوف من التواجد الأمريكي في المنطقة ، والذي أفصحت عنه فرنسا وألمانيا وروسيا بالإعراب صراحة عن رفضهم التدخل الأمريكي في العراق ، وهذا قد يفسر مطالبة بعض الدول بدور إيجابي للأمم المتحدة ...

وفي فرنسا ، أطلق جاك شيراك على عملية القبض على صدام اسم **"الحدث الكبير"** ، وصفه بأنه "حدث مهم والذي من شأنه المساهمة في تحقيق الديمقراطية والاستقرار في العراق ، كما يسمح للعراقيين بالتحكم في مقدراتهم ..." .

أما "توني بلير" (Tony Blair) ، فإنه قد أعلن شبكة "سكاي نيوز" (Sky News) بأن *" صدام لن يعود "* . وأرسل المستشار الألماني "شرودر"

(1) المعروف باللغة الفرنسية باسم "AND"

(Schreder) رسالة لنظيره الأمريكي يهنئه فيها بنجاح القوات الأمريكية في إلقاء القبض على صدام ، كذلك كانت إسرائيل من بين الدول التي هللت لإلقاء القبض على صدام ؛ فبالرغم من أن إسرائيل هي التي اعتدت وضربت العراق أكثر من مرة ، إلا أن المسئولين فيها لا يمكنهم أن ينسوا لصدام أنه هددهم في أثناء حربه مع الكويت ، وكان هذا سببا على سبيل المثال وراء انتشار بيع الكمامات الواقية من استنشاق الغازات السامة ...

وكان للكنيسة الكاثوليكية رأيها . ففي يوم الثلاثاء الموافق ١٦ ديسمبر عام ٢٠٠٣م ، طيّرت وكالة الأنباء الفرنسية كلمة قالها "ريناتو مارتينو" (Renato Martino)[١] ، وقد تناول فيها الأسلوب غير الإنساني الذي عومل به صدام حسين ، واصفا تلك المعاملة بأنها "معاملة بقر" ، وقال إنه "قد تألم من الصور التي التقطت لصدام عند القبض عليه"[٢] ؛ فقد قال *تألمت شخصيا لرؤية هذا الإنسان المحطم وهو يعامل معاملة بقرة يفحصون أسنانها" و"أعتقد أنه كان من الواجب أن يجنبونا مشاهدتها . وعند رويتي لهذا الرجل في مأساته (...) كان لدي إحساس بالشفقة وأتمنى أن يكون هذا الشعور لدى آخرين"* . وقد عبر أيضا عن أمنيته في أن يكون القبض على صدام والقضية التي يجب أن تعقد لها محكمة في مكان يكفل للقضية وصاحب القضية الضمانات الكافية للمساهمة في تحقيق الديمقراطية والأمان في العراق ، وأضاف "من الصعب الاعتقاد بأن أسر صدام يمكن أن

---

(١) من رجال الكنيسة الكاثوليكية وكان لسنوات طويلة ممثلا للفاتيكان في الأمم المتحدة ويرأس المجلس البابوي للعدل والصحافة .

(٢) على هامش خطاب جان بول الثاني بابا الكنيسة في الفاتيكان في اليوم العالمي للسلام. في المؤتمر الصحفي الذي عقد بمناسبة إلقاء كلمة البابا بول الذي يندد باستخدام القوة على أنها الوسيلة الوحيدة للدفاع ضد الإرهاب ، ولكنه يساند العقوبات ضد الحكومات المهتمة بانتهاك حقوق الإنسان .

يعالج كل المآسي والخسائر التي نتجت عن صراع ، دائما له تأثيره السلبي على الإنسانية ، وتمنى ألا تكون لذلك آثار سلبية على تسوية الأزمة في الشرق الأوسط[1] . وقد نشرت وكالة "الأسوشيتدبرس" عن الفاتيكان أنه يوافق على يحاكم صدام على الجرائم التي ارتكبها ، ولكن يظل الفاتيكان ضد عقوبة الإعدام ، بل ويشعر بالشفقة تجاه الرئيس السابق للعراق .

وبالنسبة للدول العربية والإسلامية ، شـرحت جريـدة الريـاض بالسعودية لقرائها يوم الاثنين ١٥ ديسمبر وجهة نظرها موضحة أهمية هـذا الحدث . ثم نشرت الجريدة نفسها في ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣م موضـوعا مـن ٦٦٢ كلمة للكاتبة "منى نعيم" تتحدث فيه عن أسر صدام ، ولكـن بـإخراج درامي ، بأنه *أخيرا صدام ... أسيرا* ، وتـم جمـع الموضـوع وتحريـره باستخدام حروف كبيرة سوداء ، وفي الصفحة الأولى .

وخبر القبض على صدام قوبل أيضا بارتياح شديد في الكويت وإيران ، إلا أن ردود الفعل في دول أخرى مثل مصر كانت مختلفة ؛ فقد استقبل المصريون خبر القبض على صدام بعدم ارتياح ربما لأن الصور التي شاهدوها على شريط الفيديو ودلالتها صدمتهم ، إذ إن صدام ، إن "رحنا والا جينا" ، شئنا ذلك أم أبينا ، رئيس دولة عربية يهان أمام أعيننا من عدو أمريكي قام بغزو دولة شقيقة واحتلها ونحن في القرن الواحد والعشرين ، خصوصا وقد سبق انتهاك أمريكا للشرعية الدولية باعتدائها غير المبرر منطقيا لأفغانستان ، وكذلك بتدخلها في شئون العراق متعللة بأسباب ملفقة ، وهذا الخروج عن الشرعية الدولية بالاعتداء على العراق ورموزه غير

---

[1] http://www.lemonde.fr/web/dh/0,14-0@14-0@2-3208,39-22059555,0.html

مرضي عنه من قبل كثير من الدول ، ويدخل من وجهة نظرنا الخاصة تحت مسمى "شريعة الغاب" .

وعن ردود أفعال الشارع العراقي ، وحيث في مسقط رأس صدام في شمال وغرب بغداد لا يخفون تعاطفهم مع الرئيس صدام ، نشرت وكالة رويتر على لسان جوزيف لوغان (Joseph Logan) أنه قد ساد العراق فرح للقبض على صدام ، حيث أسرع كثيرون في صباح اليوم التالي للإعلان عن إلقاء القبض عليه لشراء الصحف ، حيث خبر القبض على الرئيس في الصفحة الأولى ، آملين أن يأخذ جزاءه ، ولكنهم لا يميلون إلى شكر الولايات المتحدة الأمريكية ، التي يرونها سببا وراء الآلام التي هم فيها حاليا ، وكانت انطباعات بعضهم عن الحدث على النحو التالي :

ـ *"أتمنى أن يكون من حقنا محاكمته حتى يعاني كما عانى آخرون بسببه*(علي ، ٢٩ سنة ، وصاحب مكتبة ، والذي هزه سماع هذا الخبر) .

ـ *لأن يكون في حفرة ، أو في السجن ، فإن هذا لن يفيدني بشيء الآن ، ولن يحميني ، ولن يرسل أبنائي إلى المدرسة"* .

ـ *"يجب أن نكون أغنياء"* .

ـ *أتمنى أن يكون هذا سببا في نشوب معارك جديدة ضد الأمريكان فهم سيواجهون حربا مقدسة ، وسوف يكون الوضع أكثر بشاعة . فكلنا نحب صدام حسين"* (أحمد علي ، ضابط شرطة أنهى تعليمه في الولايات المتحدة ، ويتحدث هنا بالعربية وكان بالقرب منه أمريكان يعمل معهم ، ومتأكد من أنهم لا يفهمون ما يقول) .

ـ *"الناس غاضبة لرؤية صدام مقبوضا عليه ، ويتمنون فقط رحيل الأمريكان، ولهذا سوف تشتعل المعارك"* (حسن يعقوب، تخصص بيولوجيا)

— *"جميل أن يتم القبض على صدام ، ولكن ليس صدام السبب وراء ما حدث بالنسبة لارتفاع سعر البترول والكهرباء وما شابه ذلك"* (غازي ، طبيب أسنان ، ٥٢ سنة ، وقد تأثر بارتفاع سعر البنزين) .

— *"بوصفنا دولة منتجة للبترول ، كان يجب أن نكون أغنياء ، ولا نتمنى أن نكون أفغانستان"* .

ونفس التحذير ، والتخوف من نشوب حرب أهلية نستشفه لدى عراقيين آخرين يجدون صعوبة في فهم السبب وراء وجود نقص في البنزين في بلد تعد المخزن الثاني بالنسبة للبترول على مستوى العالم . كذلك نحس هذا التخوف من أناس مصدومين بأسلوب المعاملة التي يلاقونها من القوات الأمريكية التي قتلت مدنيين في أثناء حملاتها وغاراتها ضد من يخالفهم . لقد وعدهم الأمريكان بالحرية والكرامة ، فما معنى هذا ؟

— *"اذهب إلى قياداتهم العليا أو إلى أي مركز من مراكز تواجد الأمريكان ، وستجدهم يهددونك بأسلحتهم . قل لهم إنك تكرههم كما تكره صدام ، وسترى ماذا سيفعلون"* (محمد صالح ، مقاول ، ٣٩ سنة)

— *"الاختلاف الوحيد هو أن صدام حسين يقتلك سرا وفي الخفاء ، بينما الأمريكان يقتلونك على الملأ وأمام الجميع"* .

— *"مازال يوجد بالعراق موالون للرئيس السابق ، وإرهابيون أجانب تسللوا للعراق ويمكنهم أن يصعدوا الأحداث"*. ففي اليوم التالي للإعلان عن أسر صدام ، انفجرت سيارتان مفخختان في مخفر للشرطة في العاصمة بغداد ، وذلك بعد سلسلة من أحداث مشابهة قام بها مجهولون . ولقد اعترف الرئيس الأمريكي نفسه أن أسر الرئيس العراقي السابق لن يضع حدا

للعنف الذي يراه بوش *"من أناس في الوطن العربي لا يقبلون التقدم ولا الحرية ، وهو ما ينتظره العراقيون بشدة"* .

ــ استراحة قصيرة ويوميات "دوبلير"

كثر الحديث عن استعانة صدام بعديد من الأشخاص الذين يقتربون منه في الشكل ، وذكرنا للقارىء أننا شاهدنا واحد من هؤلاء على شاشة التليفزيون الفرنسي بعد الاعتداء الغاشم من العراق على الكويت ، وكان شبيه صدام هذا متحدثًا رسميا للعراق يوضح وجهة نظر العراق من هذه الحرب.

وفي الأسواق الأوربية ، صدر مؤخرا كتاب لشبيه لعدي الابن الأكبر لصدام حسين . وقد نشرت وكالة الأنباء الفرنسية ما جاء منذ عشر سنوات في هذا الكتاب الذي نشر باللغة الألمانية في برلين عام ١٩٩٤م[1] ، وهو من إعداد الصحفي النمساوي "كارل ويندل" (Karl Wendl) ، ثم أعيد طبعه بعد أن أصبحت أنظار العالم متجهة لصدام ولأسرته .

الكتاب بعنوان **"كنت ابنا لصدام"** ، ويروي وقائعه لطيف يحيى ، والذي ينحدر من أسرة عريقة في بغداد ، وفيه يحكي كيف أجبر على القيام بدور "دوبلير" لعدي .

ومذكرات لطيف يحيى هذه تبدأ بالسنوات ١٩٨٠ــ ١٩٨٨م ، في أثناء الحرب العراقية الإيرانية وكان لطيف وقتها مجندا في الجيش العراقي . وكان قد لفت نظر عدي الشبه الكبير بين يحيى وبينه عندما كان زميلا له في الدراسة . وفي عام ١٩٨٧م ، سأل عدي من لطيف إذا كان يمكنه أن

---

[1] الناشر هو الألماني "Goldmann Verlag" ، ودار النشر "Groupe Bertelsmann" ، والمذكرات التي يحتويها هذا الكتاب لشبيه عدي تصور جانبا من حياة الرئيس السابق للعراق وحاشيته على أنهم عصابة من القتلة الدمويين الساديين ، وعلى رأسهم عدي الغي اغتصب ونهب ... بدون رحمة .

"يفديه" ، بمعنى ، أن يكون حارسا خاصا له ، "بودي جارد" ورفض لطيف هذا العرض ، إلا أنه اضطر لقبوله بعد أن وضعه عدي في السجن وهدده بالقتل هو وأخته وأيضا كلبه ...

ولكي يمكنه القيام بدور البديل ، كان لا بد من إجراء بعض العمليات الجراحية لكي تقترب جدا ملامح لطيف من ملامح عدي ، كما حدث بالنسبة لضابط المخابرات المصري (والذي قام بدوره الفنان محمود عبد العزيز في فيلم "إعدام ميت") لكي يتماثل في الشكل والجاسوس الإسرائيلي ، حتى ولو بقطع إصبع من قدمه وإجراء عملية للأنف . فقد أجريت للطيف مثلا عملية في الفك حتى تتشابه ابتسامته وابتسامة عدي التي كانوا يقولون عنها إنها كانت أشبه بابتسامة "شامبانزي" . وقد اكتشف لطيف أن عدي قد اختاره للقيام بدور البديل بدون الرجوع إلى أبيه صدام وأخذ رأيه . لكن عدي حدد له بعد ذلك موعدا للقاء الأب الرئيس الذي كان يستعين بأكثر من شبيه له هربا من محاولات القتل التي كان يتعرض لها .

وبعد غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠م ، تم تكليف يحيى بنهب الكويت ، حيث يقدر ما جلبه للعراق من أموال من الكويت بما لا يقل عن ١٢٥ مليون دولار . ومع الفوضى التي عمّت العراق في أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١م ، يذكر لطيف يحيى في مذكراته أنه استطاع الهرب إلى الغرب بمساعدة بعض جنود أمريكيين . وفي فيينا ، قابل لطيف الصحفي كارل ويندل ، وهنا بدأ التفكير في كتابة مذكراته التي نشرها الصحفي في الكتاب الذي ذكرناه .

ـــ عودة مرة أخرى لموضوع وسائل الإعلام وصدام في الأسر

ـــ إعلام أمريكي مضلل

انتظرت الولايات المتحدة وقتا طويلا ولم تجد من يرشدها إلى صدام أو من يؤكد موته . وإعلان موته سيجعل منه شهيدا . وشهادة صدام في سبيل وطنه شيء لا يستسيغه الغزاة . والحل هو إظهار صدام بصورة مذلة قبل أن يطووا صفحة حياته للأبد .

ويقال إنه في الفترة التي سبقت أسره ، كان صدام يتنقل على قدميه ، ونادرا ما كان يصطحب معه أكثر من اثنين أو ثلاثة من أتباعه ليتجنب لفت الانتباه ، كما كان يستخدم الطرق الخلفية . وكان أيضا يستعين بالزوارق الصغيرة في نهر دجله ، وبنوعيات مختلفة من السيارات ، وتشمل سيارات تاكسي وشاحنات نقل صغيرة . وكانت تحركاته غالبا في أثناء الليل ، ولقد وجدوا سيارة تاكسي وسيارة تويوتا "بك آب" قرب المزرعة التي قيل إنهم عثروا فيها على صدام داخل حفرة .

وفي شهر يونيو عام ٢٠٠٣م ، ذكرت جريدة بغداد أن الرئيس السابق شوهد في ضواحي بغداد وهو يقود تاكسي باجيرو قديم . وكانت لحيته طويلة ، ويضع نظارات ، ويرتدي جلبابا عربيا تقليديا يصل إلى الركبة .

وإذا دخلنا غرفة من غرف الدردشة على الإنترنت ، وإذا بحثنا في مجموعات الحوار في Google على سبيل المثال ، سنجد كثيرا من الناس يشككون في اعتقال صدام ، وبعضهم يبني رأيه على الأنف الكمثري ، وبعض آخر على نظرات الشخص الذي في الصورة ... ، فالجميع يتحدث عن صورة صدام التي ظهرت على شاشات التليفزيون ، ويريدون معرفة هوية صاحب هذه الصورة ، ومصير صدام ... ، وقد أجرى "لافوز دي أصلان" (La Voz de Aztlan) دراسة مستقلة على صور صدام وأشباهه[1] ، محللا أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينها ، وموضحا دور وسائل الإعلام في تزييف الحقائق ...

أما الجنود الذين تم إرسالهم إلى مواقع خاطئة ، بزعم أنها مشتبه بها بالدرجة الأولى لأن صدام يمكن أن يختبئ فيها، فقد عادوا خاليي اليدين والوفاض . وهنا أمر الكولونيل "جيمس هيكي" بمحاصرة المنطقة والبدء في البحث في مزرعة "قيس نامق" حيث قالوا إنهم رأوها مكانا مريبا (قال يعني!) . دخل الجنود المزرعة ، وبحثوا ولم يجدوا شيئا . وكانوا على وشك أن يخرجوا من المزرعة عندما رأى أحد الجنود سجادة بيضاء ملقية على الأرض بجانب شجرة بها زهور حمراء (هكذا قالوا ولا توجد أي إشارة للبلح الأصفر!) . بدت السجادة مميزة بين الأوساخ . أزاحوا السجادة جانبا . رفعوا غطاء الحفرة ووجدوا فيها رجلا ملتحيا يرفع يديه كما لو كان يريد الاستسلام ويقول باللغة الإنجليزية : ***أنا صدام حسين ، رئيس جمهورية العراق وأريد التفاوض*** ، تماما مثل ما يحدث في أفلام هوليوود ؛ فعندما

---

[1] http://www.aztlan.net/saddamcapturehoax.htm

تتعقد الأمور، وتتصاعد المشكلة ، يأتي البطل من مكان مجهول ويجد الحل ، والبطل في فيلم صدام هو ذلك الجندي الذي اكتشف ــ فجأة ! ــ السجادة البيضاء بعد أن فقد الجنود الأمل في إيجاد صدام وكانوا على وشك أن يرحلوا !

ولكن الرواية الروسية والمنشورة على شبكة الإنترنـــت بخصـــوص هذه الواقعة ، فإنها ترى أن كل ما يحدث ما هو إلا كذب وتضليل ؛ فالإعلام الأمريكي والقـــوات الأمريكية المتواجدة في العـــراق يـــزورون ويزيفـــون الحقائق ، سواء فيما يتعلق بشريط الفيديو ، أو الاختبار الطبي ، أو تقـــارير الاستجواب وما يسمى بالتصريحات الرسمية . ويقولون إن ***الذي بإمكانـــه أن يزور صورة وفيلما من السهل عليه أن يصدر تصريحات شـــفهية خاطئـــة وتقارير استجواب مزورة !*** ، اتهام صريح منهم للإعلام الأمريكـــي ودوره المشكوك في نزاهته بالنسبة لما يحدث في العراق ، حتى في صحة ما قـــالوه بأنهم قد قبضوا على صدام ؛ فقد نشرت إحدى الجرائد اليومية في روســـيا(1) تصريحا أدلى به "يوري فيدوتوف"(2) يتشكك فيه من حقيقة إلقاء القبض على صدام حسين ، وأنه من الصعب التعليق على مثل هذا الأمر . فقد سمعنا عن أشباه لصدام ، بل ورأيت بنفسي واحدا منهم على شاشة التليفزيون الفرنسي ، لذلك لا نعلم حتى الآن ما إذا كانت أمريكا قد أسرت صدام الحقيقي أم أنهـــا أسرت شبيها له . كذلك لا نعرف هل مات صدام أم أنه مـــازال علـــى قيـــد الحياة . أسيرا هو أم هاربا ... ، داخل العراق أم خارجهـــا ... ، والروايـــة التالية تزيد من درجة الشك في أنهم قد قبضوا على صدام حيا .

---

(1) The Russia

(2) نائب وزير الخارجية الروسي يفيد بأن وزارة الشئون الخارجية الروسية

فالسلطات الأمريكية لم تسمح لأفراد من عائلة صدام أو لمحامي صدام بزيارته . أليس صدام بحوزتهم ؟ إذا كان كذلك ، فعائلة صدام ومحاميه سيثبتون بما لا يدع مجالا للشك بأن المعتقل هو صدام حسين ، هذا إذا كان هناك معتقل أصلا . ألا يريدون أدلة قاطعة ؟ كل ما هو مطلوب فقط زيارة من عشر دقائق . ولكن رفضهم يؤكد على أنهم لم يتمكنوا من اعتقال صدام وأن ادعاءهم كاذب ، وهذا هو التفسير الوحيد لرفضهم للطلبات الكثيرة التي تقدم بها أفراد من عائلة صدام ومحاميه لزيارته في السجن . لذلك يقال إنهم لم يعتقلوه أبدا ، ولا حتى لثانية واحدة .

إلا أن الصور والأفلام من الصعب الوثوق بها واتخاذها مستندات رسمية في القضايا ، والدليل على ذلك عدم وجود قانون يقبل بالصور والأفلام كدليل ، وذلك لسهولة التلاعب بها وتزييفها خصوصا مع التطور التقني في هذا المجال ، وظهور أجهزة رقمية عالية الكفاءة . لذلك ، فإن أمريكا وحكومتها في العراق — إذا كانوا يريدون استعادة مصداقية وسائل إعلامهم واحترام العالم لسياستهم — عليهم تقديم أدلتهم الدامغة على اعتقال صدام مما يمكن قبولها وليس بعرض مجرد صور فقط . ولكننا نتصور أنه في حالة ما إذا كان لديهم أدلة أفضل تشهد وتؤكد على أن الأسير الذي لديهم — إذا كان هناك أصلا أسير — هو صدام بشحمه ولحمه لأظهروها ، والفرصة متاحة بأن يسمحوا لأفراد من أسرته بزيارته في سجنه ، وليس فقط لمندوبين من الصليب الأحمر ، خصوصا إذا كانت مثل هذه الزيارات شكلية وتدخل تحت اسم "المظهرية" .

ففي ٢١ فبراير عام ٢٠٠٤م ، سمحت الولايات المتحدة الأمريكية لموظفي الصليب الأحمر بزيارة من زعموا أنه صدام حسين . قنوات الدعاية الأمريكية مثل السي إن إن ، وشبكة فوكس نيوز التليفزيونية والمئات من القنوات الأخرى أظهروا هذه الزيارة كالحدث الرئيسي لليوم ووضعوه على قائمة الأخبار . أما عن غرض الزيارة بالكامل فإنه يمكن تلخيصه في التصريح التالي للصليب الأحمر والذي نشرته وكالة الأنباء الفرنسية : *أردنا أن نرى ما إذا كان صدام يحصل على الماء والطعام الكافيين وأيضا لفحص حالته الصحية ولإعطائه الفرصة لكتابة رسالة لعائلته"* ــ يا سلام ! ــ هكذا ، وبعد شهرين من المفاوضات الشاقة بين الصليب الأحمر والمسئولين الأمريكان ، يتحدد هدف الزيارة في التأكد فقط من أن صدام يحصل على الطعام والماء الكافيين !

وقد دعت السلطات الأمريكية وفدا يمثل أعضاء الحكومة العراقية لزيارة صدام في المكان "السرّي" الذي وضع فيه ، والذي من الممكن أن يتغير من وقت لآخر خصوصا لو كان هذا المعتقل داخل العراق . وقد أكد صدام في حديثه مع الوفد أنه كان *"قائدا حازما ولكنه كان عادلا"* .ممن يتشكل هذا الوفد ؟ وماذا دار في هذا اللقاء ؟ وأين ؟ لا ندري ، خصوصا وشبكة CNN تقول إن الأمريكيين لا بد وقد نقلوا صدام إلى إحدى قواعدهم العسكرية في قطر ، إلا أن أعضاء في مجلس الحكومة العراقية ممن زاروه يكذبون ذلك ، والبنتاجون لا ينطق . وكان صدام قد تم نقله بعد القبض عليه إلى قاعدة عسكرية في مطار بغداد ، وتم حبسه في زنزانة بمفرده[1] . وقد

---

[1] مجلة تايم (Time)

أشاع الأمريكيون أنهم يعاملونه معاملة إنسانية . وقد صدم "دونالد رامسفيلد" (Donald Rumsfeld) من استخدام صحفي من شبكة "CBS" لكلمة "تعذيب" . وقد جاء في "التايم" أن المسئول الأمريكي قد اعترف بأن الرئيس صدام لم يكن متعاونا ، وأنه في أول تحقيق معه قد نفى أن نظامه يمتلك أسلحة تدمير ، وأنه قال إنهم قد ادعوا ذلك لتبرير حربهم للعراق .

وفي أول مارس ٢٠٠٤م ، اتصلت قناة "العربية" برغد ابنة صدام حسين والمقيمة في الأردن وسألتها عما إذا كانت قد استلمت رسالة أبيها التي أرسلت لها مع مندوب الصليب الأحمر أم لا ؟ وأشارت رغد في ردها إلى أن الصليب الأحمر يتلاعب في مواعيده قائلة : "*كلما أتحدث معهم يقولون ستحصلين على الرسالة في خلال ٢٤ ساعة*" . وعندما سألها مذيع العربية في كم صفحة تقع هذه الرسالة المرسلة إليها من أبيها قالت: "***نصف صفحة***" ، ونحن نعيش في عصر الفاكس والإنترنت والتليفون المرئي ... ، ولكن ، ها قد مضى حوالي أسبوعين منذ أن تمت زيارة الصليب الأحمر المزعومة لمن ادعوا أنه صدام حسين، ولازالت ابنة صدام تنتظر وصول الخطاب المزيف. المهم هو أنه إذا كان بالفعل لدى الصليب الأحمر رسالة ، لأوصلها بسرعة البرق، وأفسح المجال للولايات المتحدة لتقوم ببعض الاستعراضات الدعائية ، وسترى جميع قنوات الإعلام تعرض محتوى الرسالة كخبر عاجل ، بالضبط كما فعلوا بالنسبة للزيارة الزائفة . لكن ، لا رسالة هناك و"لا يحزنون" . وسينتظر الصليب الأحمر بعض الوقت حتى تنسى الناس موضوع هذه الرسالة والزيارة ، ثم يختلقون خطابا زائفا ، وفي أغلب الظن سيكون

مطبوعا بطابعة إليكترونية إذا لم يجدوا من يستطيع تزوير خط صدام . وسيقولون لابنته إن أبوك كتب بعض العبارات غير المصرح بها وقامت السلطات الأمريكية بحذفها بعد إزالة العبارات غير المصرح بها ، وبدا الخطاب غير مرتب ، لذلك قمنا بطباعته حتى يظهر في شكل جيد(١) .

وكانت المخابرات الأمريكية "سي أي إيه"(CIA) تعتقد بموت صدام ، لكنهم لم يكونوا متأكدين من ذلك بنسبة ١٠٠% بـل بنسـبة ٩٩% . كـذلك جاءت نتائج تحليلات الحمض النووي مطابقة لنتيجة التحليل الخاص بصـدام بنسبة ٩٩% ، تاركين نسبة الواحد الباقي من المائة للضرورة . لذلك ينتهـي المحللون السياسيون بالقول بأن الحدث التاريخي بالقبض على صدام ما هـو إلا نصب تاريخي . ولكن هناك من يقول بأنه قد تم القـبض علـى صـدام حسين في شهر يونيو ٢٠٠٣م وكان في سيارته التاكسي الباجيرو القديمة .

وقد تساءل جيل مونييه (Gilles Munier)(٢) : هل صدام مازال علـى قيد الحياة أم أنه قتل عندما قصف الأمريكان مقر إقامته بقصد قتلـه ؟ وهـل لجأ إلى دولة أجنبية ؟ وإذا كان قد قتل ، فمن الـذي ظهـر علـى شاشـات التليفزيون بعد سقوط بغداد " ؟ والرسائل الصوتية التي أذيعت وسمعناه ، هل كانت بصوته ؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي ، فهل هي لمسئول عراقـي يعبـئ المجاهدين ؟ أم أنها للمخابرات الأمريكية لكي تبرر بهـا عمليـات العنـف والتوقيف ؟

---

(١) شبكة الإنترنت ، ٤ مارس ٢٠٠٤م .
(٢) رئيس جمعية الصداقة الفرنسية العراقية

بالضبط ، أسبوع واحد قبل عملية الأسر هذه ، وزير الدفاع "دونالد رمسفلد" أخبر "أوديرنو" أثناء زيارة لمقره في شمالي العراق أنه "مذهول جدا لأنه لم ير *ولا عراقي واحد لديه الرغبة في الحصول على الخمسة والعشرين مليون دولار المكافأة المعروضة لمن يقدم معلومات تؤدي إلى أسر صدام"* .

ولكن هناك من يستبعد أن تكون القوات الأمريكية قد أخطأت الهدف وألقت القبض على الرجل الخطأ . ويبدو أن وكالة المخابرات الأمريكية بالتعاون مع جنرالات الجيش الأمريكي قد زرعت هذا الرجل في حفرة تكريت حتى يأتي جنود الجيش الأمريكي للقبض عليه . وليجعلوا الفيلم أكثر إثارة ، وضعوا معه مبلغا من النقود داخل الحفرة بالإضافة إلى "باكو" شيكولاتة "مارس" (Mars) ، وأسلحة ، وملابس جديدة ، ثم أرسلوا له مجموعة كبيرة من الجنود لإلقاء القبض عليه ... إننا أمام سيناريو لفيلم من إخراج المخابرات الأمريكية ، إلا أنه ليس السيناريو الوحيد بهذا الخصوص، وإن تعددت زوايا الصورة من سيناريو إلى آخر ، روايات تروى عن الحفرة والمزرعة وصاحب المزرعة ، وأخرى تحكي ما كان يفعله صدام عندما كان مختفيا عن الأنظار ...

وفيما يلي بعض حكايات لما جرى في بلد الرشيد في القرن الواحد والعشرين

وصفت الحفرة التي قيل إن صدام كان يعيش فيها بأنها تحتوي على مطبخ قذر وغرفة نوم قذرة والملابس متناثرة في كل أنحاء الغرفة ، وغرفة النوم الملابس الجديدة مبعثرة فيها ، قمصان وجوارب ... ، بعضها مازال في الأغلفة . ووجود بعض الملابس جديدة وبعضها قديم شيء طبيعي . أما أن كل الملابس جديدة فهذا شيء غير طبيعي على الإطلاق في حالة ما إذا كان صدام موجودا في ذلك المكان طوال الوقت . لذلك يثار تساؤل حول السبب في أن صدام لم يغير ملابسه . هل كان راضيا بالجلباب الأسود ؟ ولماذا كل هذه الملابس الجديدة ؟

أما عن صاحب المزرعة ، فقد قال بعض العراقيين إنه قد تم القبض عليه في بداية الهجوم ، وهذا يعني أن هؤلاء العراقيين قد رأوا جنودا أمريكان يأخذون صاحب المزرعة من بيته ، وفي نفس الوقت أو بعده بقليل رأوا مجموعتين كبيرتين من الجنود يتجهون إلى المواقع المشتبه بها أساسا . لماذا قبضوا عليه بدلا من الانتظار والقبض عليه متلبسا بإخفاء صدام .فهل كان الأمريكان يعلمون مسبقا أن صدام سيكون في مزرعته ؟ أم أنها طريقة لمنعه من الذهاب إلى المزرعة وإفساد العرض بالكامل ؟ من المحتمل جدا أنه في هذا الوقت جاء الممثل الذي أدى دور صدام مع اثنين من رجال المخابرات على أنهم حراسه ، في ذلك التاكسي وأنواره مطفأة ليتجنبوا ملاحظة العراقيين في تلك القرية . أوقفوا التاكسي خارج المزرعة وتسللوا إلى داخلها . وضعوا الرجل الملتحي داخل الحفرة ، غطوا فتحة الحفرة ، ووضعوا سجادة بيضاء على غطاء الحفرة ، حتى يراها فيما بعد الجندي

الذي يعلم مسبقا عن ماذا يبحث . وهكذا ، يتضح أن الغرض من وضع السجادة البيضاء هو توفير علامة لمكان الحفرة ، فهي ليست غطاءا تمويهيا . فالغطاء التمويهي داخل مزرعة من المفروض أن يكون من الحشيش أو أي شيء مشابه أو متناغم مع اللون السائد في محيط الحفرة . أما وضع سجادة بيضاء فهو مجرد علامة بعد أن وضع الرجلان الشخص الملتحي داخل الحفرة ، ووضعوا هلى الحفرة سجادة بيضاء كعلامة للمكان ، ذهبا ليختبئا في مكان ما داخل المزرعة ينتظران الجنود ليقبضوا عليهما بعد أن يقبضوا على رئيسهم المزعوم .

وقيل أيضا إنه من المحتمل جدا أن يكون صاحب المزرعة التي تقع على ضفاف نهر دجلة قد حفر بنفسه تلك الحفرة ، ووضــع فيهــا مروحــة وزودها بمنفذ هوائي ، وهيأها لتكون مكانا للاختباء . كيف حصــل ذلــك ؟ المسألة بسيطة . السي أي إيه والمخابرات العسكرية يعرفون أن الناس فــي تلك القرية يؤيدون صدام حسين ومستعدون لتقديم الحمايــة لــه . الاحتمــال الوارد هو أنهم أرسلوا لصاحب المزرعة عميلا للسي أي إيــه مــن أصــل عراقي . وادّعى العميل أنه من إحدى جماعات المقاومة وأنه مرسل من قبل صدام حسين ، ويطلب من صاحب المزرعة أن يبني تلك الحفرة ، وفيما لــو جاء الرئيس إلى هذه المنطقة سيحتاجها للاختباء فيها . ومحتمل أيضــا أنــه أظهر رسالة من الرئيس لتوثيق كلامه ، وصدقه صاحب المزرعــة اوبــدأ يجهز الحفرة . وبما أنه كان يعمل حارسا لصدام حسين في أحد قصوره فــي بغداد ، لم يكن لديه خيار إلا أن يوافق .

هكذا تم إلقاء القبض على صاحب المزرعة والتي لم تكن مزرعته مشتبها بها على الإطلاق وقبل أن يجدوا المزعوم صدام في مزرعته . هل تم القبض على أصحاب المواقع المشتبه بها أساسا ؟ ليس هناك أخبار عن شيء مثل هذا . وبما أنه ليس هناك أخبار ، فليس هناك من حدث . لم يقبضوا عليهم ، لا قبل الاعتقال ولا أثناء المداهمة ولا بعد الاعتقال . فقط الرجل الذي مزرعته لم يكن مشتبه بها على الإطلاق تم اعتقاله ، وهو غير مذنب .

ـ تحليل لصورة إعلامية من إنتاج أمريكي

الصور التي عرضت وقيل إنها لصدام ليست إلا لشخص آخر ، هكذا يقال. فقد أرادت الإدارة الأمريكية تقديم صدام حسين الغنيمة كحدث تاريخي. ولكن ، بعد دراسة وتحليل الصور التي التقطت لهذه الغنيمة ، يوجد من يؤكد في روسيا أن الحدث التاريخي لم يكن إلا نصبا تاريخيا ، وأن كل الأدلة التي نراها إلى الآن عن عملية أسر صدام ، والتي ما هي إلا صور فقط [1] ، قد تكون لصدام حسين ، أو لممثل مغمور ، أو لشبيه لصدام ، وما أكثرهم ؛ فقد عرض الجيش الأمريكي صورا لصدام حسين ، صورا ثابتة وشريط فيديو ، حيث ظهر صدام في شريط فيديو ملتحيا ، وبعد حلق لحيتــه أظهــروه فــي صورة ثابتة .

ويقول هؤلاء المشككون في أن تكون هذه الصور لصدام حسين ، إن تحريف الصور الثابتة وتزويرها في هذه الأيام أصــبح ســهلا حتــى علــى المبتدئين . فالإضاءة المختلفة ، والزّوايا المختلفة ، والألوان المختلفة ، يمكن

---

(1) (١٢/١/٢٠٠٤م) ومنها صور على "الموقع" (site) schnittshow.com وأخرى على "رابط" link http://www.schnittshow.com/timages/photo/TSTS-IP_23122_8.jpg

أن تجعل أناسا مختلفين يبدون متشابهين ، وتجعل نفس الشخص يبدو مختلفـا من صورة إلى أخرى ، خصوصا وأن خلفية الصورة يمكن اللعـب فيهـا . ولكننا نعلم أيضا أنه من الممكن حدوث هذا "التزوير" بالنسبة للصـور غيـر الثابتة ، في الأفلام ، وإن كان هذا أكثر صـعوبة ، إلا أن تقنيـة الكـاميرا الرقمية تساعد كثيرا في إحداث تعديلات في الفيلم ، وكذلك بالنسبة للإخـراج والزوايا والإضاءة ...

وقد اعتمد من قاموا بتحليل صور صدام التي روجتها أمريكا علـى بعض جوانب من مكونات الصورة ومضاهاتها بمثيلاتها في صـور يعـرف الجميع أنها للرئيس صدام .

فبالنسبة لصورة للرئيس صدام والتي يظهر فيها وهـو يجلـس فـي غرفة مظلمة ، رأيناهم يتساءلون عما إذا كانت الكاميرا التي التقطـت هـذه الصورة بها إضاءة "فلاش" أم لا ؟ ولهذا دلالـة لـديهم ؛ فهـم يقولـون — ويجعلون القارئ يتحقق من ذلك بنفسه وعمليا — إنه في حالة ضبط إضـاءة الصورة ببرنامج كمبيوتر يمكننا الحصول على صورة مختلفة تماما . وهـذا يعني من وجهة نظرهم أن الظلام الذي يمكن مشاهدته في صورة من صـور صدام هو ظلام غير طبيعي ، وإلا لما أمكن تعديله ، بالـرغم مـن أننـا شخصيا ، نتحكم في درجة الإضاءة واللون ... للصورة التي تظهـر علـى شاشة الكمبيوتر في حالة الرغبة في تعديلها . أما عن الظلام الذي ظهر فـي إحدى الصور التي عرضت وقيل إنها للرئيس صدام ، فإنهم يقولون بأن هذا

الظلام قد تمت إضافته في مرحلة لاحقة عن طريق برنامج كمبيوتر ، وأنـــه بعد تعديل الإضاءة يمكن الحصول على صورة أخرى ...[1].

ومن الإضاءة ، انتقلوا إلى لون البشرة واللحية والشعر والعينين ....، بل وإلى حركة اليدين ووضعهما... ، إذ يقولون مثلا إن لون بشرة الشخص الذي في الصورة لا يساعده بتاتا على أن يكون صدام حسين ، ويمكن التأكد من ذلك بعد حلق اللحية أو إزالتها لمعرفة ما إذا كانت لحية زائفـــة وغيـــر طبيعية أم هي لحية طبيعية للشخص الذي في الصورة . ويستند أصحاب هذه النظرية إلى التقارير الأولى التي تحدثت عن أسْر صـــدام والتـــي قالـــت إن صدام تم القبض عليه وهو يلبس لحية صناعية ، ويقولون إن هـــذه كانـــت الرواية الرسمية في ذلك الوقت ، ولا يعلمون ما إذا كان قد تم تغييرها أم لا، ودليل هؤلاء على ذلك عدم تعرفهم على صدام وهو يرتـــدي هـــذه اللحيـــة الزائفة ، وأنه قد أجري له الفحص الطبي وهو بلحيتـــه الصـــناعية هـــذه . وجاءت نتيجة التحليل المعملي للحمض النووي) [2] بعـــد ســـبع ســـاعات ، ولحيته لازالت على وجهه . وقد تعرف عليه الشـــهود المزعومـــون وهـــو بلحيته . ومن المعروف أن أي شخص ممكن أن يرتدي لحية طويلـــة جـــدا كهذه ليخفي بها معالم وجهه الحقيقية ، ومع بعض المكياج السينمائي والخدع سيبدو في الملامح العامة مثل صدام حسين .

---

[1] ويسخر هؤلاء (الروس) ممن روجوا هذه الصور ، فيقولون : *"لقد قالوا إن صدام عندما خرج من الحفرة في تكريت قال للجنود الأمريكان باللغة الإنجليزية : "أنا صدام حسين ، رئيس جمهورية العراق ، وأريد التفاوض" . ولكن بعد رؤية هذه الصورة ، نعتقد أنه قال هذا الكلام باللهجة الأمريكية أيضا !"* .

[2] المعروف باسم "دي إن إيه" (DNA) والشهير باسم (AND) باللغة الفرنسية

صورة أخرى تم نسخها من موقع 'schnittshow.com' تشير إلى أن الرجل الملتحي ربما هو شخص أعسر كما وضح فـــي صـــورة الشـــخص الملتحي الذي يداعب لحيته ويتخللها بأصابع يده اليسرى . وبحثا عن دلاتـــل تشير إلى أن الصور التي خضعت للتحليل ليست لصدام ، فإن المحللين هنـــا يلفتون نظرنا إلى أنه بالرغم من أن يدي هذا الشخص الذي في إحدى الصور ليستا مقيدتين بطريقة لا يستطيع تحريكهـــا ، إلا أن صـــاحبهما ـــ وبشـــكل طبيعي ـــ يضع يده اليسرى على اليد اليمنى ، ويقولون إن هذه علامة أخرى من علامات الأشخاص الذين يستخدومون يدهم اليسرى !

ويؤكد أصحاب هذه النظرية على أن صدام أيمن ، فهو يستخدم يده اليمنى ، بينما الشخص الذي في الصورة أعسر ، وقد بنوا حكمهم هذا على أنه يداعب لحيته بيده اليسرى ، وعينه اليسرى أوسع حيث يغمض عينه اليمنى قليلا ؛ *فالشخص أعسر اليدين يكون أعسر العينين أيضا* ومعظم من يعتمدون على اليد اليسرى يعتمدون أيضا على أعينهم اليسرى ، وبالعكس ، فإن معظم من يعتمدون علي يدهم اليمنى يعتمدون أيضا على عينهم اليمنى . وعندما يركز من هو "أشول" على شيء ما ، فإنه يميل إلى أن يغلق العين اليمنى جزئيا . وفي الوضع الطبيعي لمن هو أيسر ، فإن العين اليمنى تبدو أضيق قليلا من العين اليسرى ، والعكس هو الصحيح لمن هو أيمن[1] . وينتهي أصحاب هذا التحليل بأن الشخص الذي ظهر في الصورة هو شخص آخر غير صدام ، والسبب الذي يستندون إليه هنا ، هو أن صدام لم يكن

---

[1] عندما قرأت عن استخدام العين اليمنى أكثر لمن هو أيمن واستخدام العين اليسرى أكثر لمن هو أيسر وأن هذا يمكن ميحظته من حجم كل من العينين ، كانت معلومة جديدة ، ثم شاهدت على الشاشة الصغيرة شخصية أعتز بها جدا . وفوجئت بحجم العين التي هي أوسع من العين الأخرى وكان ذلك لا يلفت انتباهي من قبل .

أشول ، أعسرا ، بل كان ممن يستخدمون يدهم اليمنى . كذلك اكتشف المحللون هنا أيضا اختلافا بالنسبة لخط شعر الرأس لصاحب الصورة والذي يختلف تماما عن خط شعر رأس صدام حسين ، كما رصدوا أيضا اختلافا بخصوص الشعر الزائد في أعلى الجبهة ، والحاجب ، كما أن شكل أنف صدام الحقيقي يختلف عن شكل أنف الممثل الذي التقطت له هذه الصور .

وقد أشارت كافة التقارير الأولى التي تحدثت عن أسر صدام إلى أنه قد تم القبض عليه وهو يلبس لحية زائفة . وفجأة قال المتحدث العسكري ريكاردو سانشيز في المؤتمر الصحفي الذي أعلنوا فيه اعتقال صدام إن *"اللحية كانت حقيقية وتمت حلاقتها"* ، وفي الصورة التي نرى فيها صدام ملقي على الأرض ، تبدو اللحية مرتبة وبصورة مختلفة بنسبة ١٠٠% .

وهنا يتساءلون : من يكون هذا الرجل ؟ ثم يحاولون التوضيح .

ـ أصوات متعددة ، وأسير واحد ![1]

ينتقد جيل مونييه الرئيس الأمريكي بوش ويشبه ما يقوم به في العراق بالخطأ الذي وقع فيه "غي موليه" (Guy Mollet) في أثناء حرب تحرير الجزائر عندما اعتقد أن القبض على بن بيلا يمكن أن يقضي على جبهة تحرير الجزائر فوضعه في السجن .وكان الأمريكيون يعتقدون أنهم سوف يستقبلون في العراق بالزهور ، ولم ينتبهوا لطبيعة الشعب العراقي ولم يعملوا حسابا للمقاومة الشعبية .

---

(١) اقتبسنا هذا العنوان من عنوان كتاب "أصوات متعددة وعالم واحد" وهو تقرير للجنة ماكبرايد .

وفي مقاله الافتتاحي (الأربعـــاء ، ٢٧ أغســطس ٢٠٠٣م) ، يقــول "فيليب دي سان روبير" (Philippe de Saint Robert) إن "القضـــاء علـــى نظام صدام في العراق لم يكن بسبب عدم احترام هذا النظام لحقوق الإنسان ، والتي لا يحترمها أيضا الأمريكيون ، ولكن لأنه كان يهدد مصـــالحهم فيمـــا يتعلق بالبترول والمصالح الاستراتيجية للإسرائيليين والذي سوف يتضح فـــي يوم ما .

وقد انقسم العالم بخصوص مصير صدام في معسكرين : أصوات متعددة مع محاكمة "الديكتاتور المهزوم" ، وآخرين يرغبون في أن تتم محاكمته عن طريق محكمة دولية . كذلك انقسمت الآراء حول إمكانية نجاته من عقوبة الموت أو إعدامه . وهنا ، يرى كثيرون أن على العراقيين أنفسهم اتخاذ القرار حول كيفية محاكمة صدام حسين ، فقد كانوا هم ضحايا جرائمه، وقد ارتكبت هذه الجرائم في العراق إبان هذا الحكم "الدكتاتوري" ، لذلك يفضل أن تكون محاكمته تحت مظلة الأمم المتحدة وأمام محكمة وقضاة عراقيين ، والتي لم يكن يعمل بها في العهد السابق ، ووفقا للقواعد الدولية المعمول بها . وهذه المحكمة سوف تكون قادرة على معرفة كل الجرائم التي يكون قد ارتكبها صدام حسين ضد مدنيين عراقيين بل وضد أهله .

وانتظارا لكي يتحقق هذا للشعب العراقي وللرأي العام ، فإنه من المعروف أن الأحكام التي سوف تصدر سوف لا تكون محل نقاش . ولن يكون هذا هو الوضع فيما يتعلق بمحكمة الجنايات العراقية التي شكلتها الحكومة المؤقتة ، إذ سوف تظل أحكامها موضع شك من الرأي العام العالمي حيث لن تكون إلا مجرد أداة للتعاون القضائي بين السلطات الأمريكية وهيئة الأمم المتحدة لديها القدرة على إيجاد مثل هذه المؤسسات

القضائية . والأمين العام كوفي أنان ذكر ذلك في تقريره الذي صدر في ٢٧ يوليه عام ٢٠٠٣م بخصوص العراق والذي جاء فيه أن *"العدالة في العراق لكي يكون لها مصداقيتها وشرعيتها لا يمكنها أن تتحقق إلا تحت أنظار الأمم المتحدة ، وليس بالسلطات العسكرية للاحتلال أو قضاة من التحالف"* .

وقد أبدت "هيلين كلارك" (Helen Clark) ، رئيسة وزراء نيوزيلندا ، رأيها صراحة في موضوع الحكم بإعدام الرئيس صدام حسين . وفي مؤتمر صحفي ، أعلن بوش أن قضية صدام حسين يجب أن تحكمها القواعد القانونية العالمية ، ولكن بدون أن يحدد أمام أي جهة يمكن محاكمة صدام . وتعمل الولايات المتحدة مع العراقيين لإيجاد وسيلة لمحاكمة صدام ، ويقال إن الأمر سوف يخضع لإشراف دولي . وقد رفض بوش الإجابة عن سؤال حول حكم الإعدام قائلا *"لدي آرائي الخاصة التي تتعلق بالكيفية التي يجب معاملة صدام حسين بها ، ولكنني لست مواطنا عراقيا . فالعراقيون هم الذين يجب أن يقرروا"* ، ومعروف عن بوش أنه من المؤيدين لحكم الإعدام .

أما روسيا ، فقد أعلنت أنها مع الرأي الذي يترك للشعب العراقي أن يقرر مصير صدام حسين : *"محاكمة النظام البائد ومحاكمة قياداته ، هو من الأمور الداخلية والتي ترجع لشعب العراق وحده"* ، وقد صدر تصريح من "يوريرفيديتوف" (Iouri Fedotov)[1] بأن *"الشعب العراقي وحده هو الذي يمكنه تقرير مصير حكامه السابقين"* . وفي هذا الاتجاه ، ينحو الرئيس البولندي "أليكسندر"[2] عند مطالبته بمحاكمة صدام في العراق .

---

(1) مسئول في وزارة الخارجية الروسية .

(2) Aleksander Kwasniewski .

ومن الأصوات الأخرى نصنف هنا واحدا من رجال الكنيسة الأنجيلية ، وأيضا "شيرين عبادي"الإيرانية[٣] . فقد صرحت شيرين في بباريس ما يؤكد على ضرورة محاكمة صدام أمام محكمة دولية . فإن صدّام من وجهة نظر المحامية الإيرانية "*حتى لو كان متهما بارتكاب جرائم ضد الإنسانية*" ، فإنه يجب أن يستفيد من محاكمة عادلة أمام محكمة دولية[١].

ويدون الفصل أيضا بين الرأيين ، طالبت إسبانيا على لسان وزيرة خارجيتها "أنا دي بالاثيو" (Ana de Palacio) بأن يحاكم صدام محاكمة عادلة وفقا لحقوق الإنسان ، وأن يتوافر له حق المثول أمام محكمة دولية ، أو حتى محكمة عراقية ، ولكنها ترفض أن تحاكمه الولايات المتحدة .

وكانت الحكومة الانتقالية في العراق قد صرحت في ١٠ ديسمبر عام ٢٠٠٣م بتشكيل محكمة للفصل في الجرائم التي ارتكبها نظام صدام ضد الإنسانية . وصرح أحد المسئولين في المجلس بأن "*هذه المحكمة سوف تبني أحكامها على أساس القانون العراقي ولكن أيضا وفقا القانون الدولي*" ، والقضاة سوف يكونون عراقيين ، ولكن يمكن للمحكمة استدعاء خبراء أجانب" . إلا أنه وعلى مستوى العالم ، هناك من يشكك في شرعية المحكمة العراقية وقدرتها على القيام بواجباتها في ظل المناخ العام الذي يسود العراق والذي يتسم بعدم الأمان ...

بعد حوالي ثلاثة أشهر من القبض عليه ، وافقت الحكومة الأمريكيــة على اعتبار صدام حسين أسير حرب . ووفقا لما قاله برلوسكوني وبريمــر ، سوف يحاكم صدام أمام محكمة عراقية ، إلا أن بــوش يعتقــد أن صـــدام يستحق الإعدام ، وكوفي أنان لا يتمنى الإعــدام لصـــدام ، وكاردينـــال لا

---

[٣] الحائزة على جائزة نوبل في السلام لعام ٢٠٠٣م إلى جانب جوائز أخرى منها أيضا جائزة للسلام .

يرضيه المعاملة السيئة للسجين ، و٦٠٠ محام أردني مستعدون للدفاع عن صدام ، وإيران بدأت تستعد للمطالبة بحقوقها وفي باريس ، يطالب "جيمس بيكر" بالعفو عن العراق ، بينما رئيسه في البيت الأبيض يريد رقبة صدام . فليسط الدين ،وليمت "الحيوان" !...

وكتب "روبير بادنتر" (Robert Badinter) في جريدة "لو موند" الفرنسية (Le Monde)(١) تحت عنوان : "فليحاكمه العراقيون ! فإن محكمة عراقية تحت مظلة الأمم المتحدة يمكنها التعرف على الجرائم التي ارتكبت في عهد صدام . ويستطرد فيقول : "إن صدام قد مارس على العراق دكتاتورية دامية" , حبس تعسفي وتعذيب وقتل ... ضد آلاف المعارضين للنظام البعثي . والشعب الكردي والشيعة عذبوا بالغاز والقنابل الكيماوية . جلاد الشعب العراقي ومجرم ضد الإنسانية ، هكذا سوف يتم تقديم صدام أمام العدالة" . ولكن ، من سيحاكم صدام ؟ الذي قبضت عليه القوات الأمريكية ؟ لقد فكرت السلطات الأمريكية في محاكمات "نورمبرج"(Nuremberg) ، والمحكمة التي تشكلت من ممثلين للقوى العظمى التي كانت تحاكم النازيين المجرمين بعد الحرب العالمية الثانية . ولكن هذا لا يتلاءم مع العراق ، لأن أكبر جريمة ارتكبتها للنازية أثناء الحرب ضد المدنيين في البلاد التي احتلها النازيون كانت ضد اليهود بوجه خاص ، وهذا لا ينطبق بالنسبة لصدام ومن تعاونوا معه .

فالجرائم التي سوف يحاكم من أجلها صدام والمتعاونين معه ، كانت جرائم ضد العراقيين أنفسهم ، المعارضين السياسيين أو مجرد متهمين بسطاء قتلتهم المخابرات ، المدنيين الأكراد أو الشيعة الذين عذبتهم القوات المسلحة وقتلتهم . محكمة خاصة مشكلة من قضاة أمريكيين لن تكون لها أية

شرعية لمعرفة الجرائم التي ارتكبت ضد العراقيين فـي عهـد الـدكتاتور . قوات الاحتلال العسكري ليس لديهم القدرة ليحكموا في جرائم ضـد الشـعب سبقت احتلالهم العراق . والمرجعية الأخرى هي محكمة عالمية ، ومحكمـة العدل الدولية ستكون أفضل مكان مثالي لمحاكمـة جـرائم ضـد الإنسـانية ارتكبها نظام صدام ضد الأكراد والشيعة في العراق . ولكن منـا لا يمكـن معرفة سوى وقائع ارتكبت بعد الأول من يوليه عام ٢٠٠٢م ، تـاريخ بـدء عملها . أما أن تخضع هذه الجرائم لمحكمة دولية ، خذ وهات ، شبيهة بمـا حدث في يوغسلافيا السابقة ، فإن هذا يتطلب قرارا من مجلس الأمن لتنفيذه. وهناك شك في أن الإدارة الأمريكية الحالية يمكن أن توافق لمثل هذا القرار.

أما بخصوص المليارا ت التي أخفاها صدام قبل الحرب ؟ ما الذي حصل لشبكته المالية ؟ نشرت "رويترز" (Reuters) تقريرا إخباريا بتاريخ ١٩ مارس ٢٠٠٤م مفاده أن تقدير الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة للأموال العراقية المفقودة ما بين عشرة مليارات إلى أربعين مليار دولار ، ويحاولون الآن تتبع هذه الأمـوال في دول عربية وأجنبية مثل سوريا ، والأردن ، وتركيا وغيرها ...

- لماذا كل وجع الرأس هذا ؟
- لماذا يعبرون الحدود إذا كان الرجل الذي أخفى الأموال موجودا بين أيديهم ؟
- صدام ، وتقولون إنه قد تـم اعتقالـه . إنـه فـي حـوزتكم الآن . استرجعوا الأموال منه . وإذا لم يتعاون ، اعطـوه حقنـة "الحقيقـة" لإجباره لكي يدلي بكل ما لديه !

- لماذا لا يفعلون ذلك ؟
- هل يراعون معاهدات جنيف ؟ أم أنهم لا يريدون أن يجرحوا مشاعر صدام ؟
- لماذا يضعونه في خانة أسرى الحرب ؟
- ألم يكن على القائمة السوداء التي وضعتها أمريكا قبل الاعتقال ؟
- هل المدرجين في القائمة السوداء يعدون أسرى حرب أم مجرمي حرب ؟
- ولكن هذه هي الطريقة السهلة للتهرب من الأسئلة الحرجة . بما أنه مدرجا على قائمة أسرى الحرب ، يستطيعون دائما أن يخبرونا بأنه *ليس لهم الحق في سؤاله إلا عن اسمه ورتبته العسكرية*" ، معاهدة جنيف بتقول كده .
- هل احترموا معاهدة جنيف عندما بثوا فيديو الفحص الطبي على الملأ في كل أنحاء العالم ؟
- هل استنكر أحد ذلك ؟
- هل قال أحد أي شيء عن الأطفال الذين تضعهم أمريكا في معسكرات الاعتقال في العراق ؟
- هل سيفتح أحد فمه إذا قامت أمريكا بتغيير حالة صدام من أسير حرب الى مجرم حرب ؟
- وهل سيفتح أحد فمه لو خرجت أمريكا من العراق واعتدت على أي قطر عربي آخر بأي حجة تختلقها ؟

ـ "الموبايل" ، وسيلة جديدة للاتصال في حرب العراق

حرب العراق ، طبعة خاصة SMS[1]

في حرب العراق ، الرسائل التليفونية لم تنقطع على أجهزة الهواتف المحمولة المصرية والمغربية ، من النكتة البسيطة إلى المطالبة بالتعبئة العامة . فقد نشرت جريدة "الإيكونوميست" (L'Economiste) ، أن الرسائل على الهاتف الجوال عن العراق قد غطت الهواتف في مصر بوجه خاص ، من النكتة الهايفة إلى الدعوة للتعبئة .

ـ "*هل سمعت آخر خبر عن صدام؟*"

ـ "لازم أبعث لك آخر نكتة عن بوش" .

وما أن يتقابل اثنان أو أكثر ، حتى يبدأ الحوار بينهم مع تبادل آخر الرسائل المتبادلة بينهم عن طريق الهاتف المحمول ، باللغة العربية ، أو باللغة الإنجليزية ..:

ـ *" بسرعة ، افتح قناة CNN ، صدام وافق وسيغادر العراق ... بشرط أن يقيم في البيت الأبيض"* . هذه النكتة سرت بين المصريين عن طريق رسائل الجوال قبل بداية الحرب . وفي نكتة أخرى وبالصورة أيضا خاطب شبيه لإيران أقاربه المصريين : "أرجوكم أن تبحثوا لي عن عمل في حالة ما إذا سقط صدام" . ومن رام الله إلى الضفة الغربية ، الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الذي يحاصره الإسرائيليون في مقر الرئاسةالذي تم تدمير أكثر من نصفه ، ينصح صدام حسين لاحتمال أسره :

"اسمع كلامي ، لا توافق إلا على غرفتين وحمام على الأقل"

---

[1] الجمعة ، ٢٨ مارس عام ٢٠٠٣م

هذا النوع من الرسائل كان يمرر على حائزي الموبايل من واحد لآخر في شكل عنقودي وذلك مع بداية المعارك ، وبدأت هذه الرسائل تحمل عنفا وتوجه السباب للسفير الأمريكي بالقاهرة ، دافيد ويلش"(David Welch) وكانت الرسائل تتضمن أيضا الدعوة لتنظيم مظاهرات والدعاء والصلاة من أجل الشعب العراقي ، وهزيمة الأمريكان والبريطانيين ، أو أن يرتدوا ملابس الحداد .

ـ "أنا لا أطلب منك لا الخبز ولا السلاح ،
ولكن أن تبكي بدموع ساخنة لأنني أحترق"

التوقيع :" بغداد "

كانت هذه إحدى الرسائل التي تناقلها المصريون على التليفون الجوال عندما بدأ القصف العنيف لبغداد وفي المغرب ، طالبت إحدى الرسائل المرسلة بالجوال بمقاطعة البضائع الأمريكية

ـ بعض مواقع ومصادر رجعنا إليها بخصوص موضوع وسائل الإعلام وصورة صدام حسين (بدون ترتيب محدد)

http://www.nouvelobs.com/articles/p2041/a228057.html
http://www.russievirtuelle.com/blagues/irak.htm
http://www.afrik.com/article5878.html
DERNIERE PHOTO:
http://www.iraqtual.com/opinion.htm
CARTES:
http://www.rfi.fr/actuchaude/special.asp?m1=1&m2=1&identifiant=20334&ID sRUB=71&id dos=0
ADN/SOSIE
http://www.lemonde.fr/web/article/0,1-0@2-3218,36-346759,0.html
http://fr.news.yahoo.com/031215/202/3jwkh.html
http://bravepatrie.com/article.php3?id article=160
Nouvel Observateur. semaine du jeudi 18 décembre 2003 - n°2041 - Dossier
http://fr.news.yahoo.com/030306/202/32xul.html
http://radiocanada.ca/nouvelles/special/nouvelles/saddam/saddam/index.shtml
national geographic.com
nationalgeographic`s mapMachine home page.
http://lcn.canoe.com/lcn/infos/lemonde/archives/2003/12/20031214-070247.html
http://fr.news.yahoo.com/031214/85/3jug5.html
http://www.zescoop.com/news.php?id=672
http://www.rtl.fr/rtlinfo/article.asp?dicid=163626
http://np.www.lci.fr/news/monde/0,,1519612-VU5WX01EIDUy,00.html
http://www.congopage.com/article.php3?id article=935
Sunday Express
http://www.lemonde.fr/web/dh/0,14-0@14-0@2-3208,39-22059555,0.html

Saddam Hussein: le Vatican pour un procès mais contre la peine de mort
CITE DU VATICAN (AP) - Saddam
BAGDAD (Reuters)
http://www.russievirtuelle.com/blagues/irak.htm
http://www.afrik.com/article5878.html
DERNIERE PHOTO:
http://www.aztlan.net/saddamcapturehoax.htm •
http://www.rfi.fr/actuchaude/special.asp?m1=1&m2=1&identifiant=20334&ID sRUB=71&id dos=0
ADN/SOSIE
http://www.iraqtual.com/opinion.htm
CARTES:
http://fr.news.yahoo.com/031215/202/3jwkh.html
http://bravepatrie.com/article.php3?id article=160
http://fr.news.yahoo.com/030306/202/32xul.html
http://radiocanada.ca/nouvelles/special/nouvelles/saddam/saddam/index.shtml
http://lcn.canoe.com/lcn/infos/lemonde/archives/2003/12/20031214-070247.html
http://fr.news.yahoo.com/031214/85/3jug5.html
http://www.zescoop.com/news.php?id=672
http://np.www.lci.fr/news/monde/0,,1519612VU5WX0lEIDUy,00.html
http://www.congopage.com/article.php3?id_article=935

من الأرشيف

تأثير التليفزيون على الطفل المصري إبان حرب الخليج[١]

خلفية

مع الأزمة التي شهدتها الدول العربية ، بل والعالم أجمـــع ، عنـــدما اجتاح الجيش العـــراقي الأراضي الكويتية في الثاني مـــن أغســـطس عـــام ١٩٩٠م ، وأمام أصداء هذه الأزمة وانعكاساتها علي كل من وسائل الإعـــلام في مصر والمناقشات اليومية داخل البيت المصري وفي المكاتب والمـــدارس والجامعات والمطاعم ، بل وفي وسائل المواصلات العامة ... ، أجرينا هـــذه الدراسة للبحث عن تلك الأزمة ، الغزو العراقي للكويت ، وتأثيرهـــا علـــي الطفل المصري [٢] ، حيث نبحث عنها هنا من خلال تحليل لرسوم الأطفـــال من منظور إعلامي[٣] .

وهذا البحث ناقشنا نتائجه في مؤتمر للجمعية الدولية لبحوث الاتصال (L'AIERI) عقد في الفترة من ١٦إلـــى٢١ أغســـطس عـــام ١٩٩٢م فـــي "غاروجا" (Guaruja) وهي مدينـــة ساحلية بالقرب من "ســـاو بـــاولو" فـــي البرازيل ، ثم نشرت نتائجه في أوراق المؤتمر التي نوقشت في الؤتمر باللغة

---

(١) اشترك في ترجمة البحث الطالبتان : نيفين أحمد حشمت جادو ، وولاء صابر عمر محمد رحيم بالسنة التمهيدية للماجستير ، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م

(٢) اشتركت معنا الزميلة ناريمان الرفاعي الأستاذ المساعد بكلية التربية في بنها في جمع رسوم الأطفال وجمع بيانات البحث الميداني الذي كانت استمارته تتكون من ٢٩ سؤالا ، وذلك من مدرستين في إحدى قرى محافظة قليوب ، وأيضا في كتابة بحث عن هذا الموضوع نشر باللغة العربية باسمي واسمها في المجلة العلمية التي تصدرها كلية التربية جامعة عين شمس ، وجمعنا نحن رسوم الأطفال في مدينة القاهرة وقمنا بتحليلها وكذلك بالنسبة لصياغة استمارة البحث الميداني وجمع بياناته ، كما اشتركنا في كتابة التقرير النهائي .

(٣) إلى جانب هذا البحث ، أجرينا ثلاثة بحوث أخرى عن رسوم الأطفال من وجهة نظر إعلامية وهي :

١- تأثير التليفزيون على مخيلة الطفل

٢- رسوم الأطفال من منظور إعلامي

٣ - رسوم الطفل بين المحلية والعالمية

ويكن للقارئ المهتم التعرف على بقية بياناتها من قائمة إنتاجنا العلمي في نهاية هذا الكتاب .

الفرنسية وذلك في عدد شهر مارس عام ١٩٩٣م للدورية العلمية (IEDES) التي تصدرها جامعة باريس ١ ، ثم نشرناه وباللغة الفرنسية ملحقا لكتاب لنا عن البث المباشر ، أي أن هذا البحث – فيما عدا بعض إضافات رأينا أهميتها – وقد مر عليه حتى الآن أكثر من عقد من الزمان ، إلا أن موضوعه مازلنا نعيشه ، وبكل قسوة ، فيما يحدث بالنسبة للشعبيين ، الفلسطيني والعراقي .

أولا – الدراسات السابقة(٣) والإطار الأمبيريقي للبحث

منذ أصبح التليفزيون ظاهرة عامة ، بدأ الباحثون الاهتمام بالجانب الاجتماعي له ، والذي يتعلق بوجه خاص بتأثيره علي الطفل ، مع عدم إغفال تأثير وسائل الإعلام الأخرى ، والمزج بين التأثيرين والجمع بينهما ، إلى جانب متغيرات أخري من الصعب إنكار تأثيرها ، متغيرات سياسية ، وأخرى ثقافية ، واجتماعية ، واقتصادية ... إلا أن دور التليفزيون في التكوين والتشكيل الثقافي والسياسي للفرد ، وكذلك علي سلوكه ، كان ومايزال موضوعا مهما تدور حوله عديد من الدراسات . وبقليل من المراقبة والمتابعة ، يصبح في الإمكان الكشف عن تأثير التليفزيون على الطفل ، مع الانتباه إلى أن تأثير الآباء ينخفض مع تقدم سن الطفل ، علي اعتبار أن الطفل يبدأ في الاتصال بكثير من الجماعات الاجتماعية والثقافية ، كذلك فإن مواقفه تبدأ في التبلور ، وفي تثبيت الدور المتزايد والمتنامي لجماعات

(٣) يمكن للقارئ المهتم بمعرفة هذه الدراسات الرجوع إلى النسخة المنشورة باللغة الفرنسية ، حيث وصل عدد هوامشه إلى ٤٥ هامشا منها عديد من المصادر والمراجع .

الأصدقاء ولوسائل الإعلام ، هذا إلى جانب مصـــادر أخــرى للمعلومــات ، أهمها في الوقت الحالي الشبكة العنكبوتية للإنترنت .

وفي هذا البحث ، نتفق مع من يقولون بأنه لا يجب التقليل من شـــأن تأثير وسائل الإعلام ، وخاصة التليفزيون ؛ فالتليفزيون يعلــم الطفــل منــذ الصغر ، ومن خلال الشاشة الصغيرة كوسيط ، يــتعلم الطفــل مــن خــلال مشاهدته للتليفزيون أن العنف "ممتع" ويصلح للتسلية ولشغل أوقات الفــراغ ، وذلك عندما يتابع عديدا من مشاهد العنف والصراع بين قوى الخير والشر ، والتي قد ينتصر فيها هذا الأخير ؛ بل وحتى عندما ينتصــر الخيــر ، فــإن الدرس المستفاد من العمل ــ والذي يكون في الغالب في نهاية العمل الفنــي ــ يقدم على عجالة بعد كل الغرس الذي يحتويه العمل الفني والذي يســتمر طوال العرض ، إلا بالنسبة لهذه اللحظات الخاطفة ، والتي قد تقدم بأســلوب لا ينفر المشاهد من الجريمة ، ولعل النهاية التي وضعت لفيلم العار تفسر ما نريد قوله .

وهنا ، يجب الانتباه إلى أن كل البرامج التليفزيونية التــي يشــاهدها الطفل قد يكون لها تأثيرها علي شخصيته ، حتى لو كان استقبال هذه البرامج يتم في جماعة كما في مصر وفي كثير من البلاد الناميــة الأخــرى ، مــع ارتفاع نسبة الأمية بين الآباء مما لا يسمح للطفل بالاستفسار عما يشاهده من مواد لا تفسر دوافع مشاهد العنف التي يؤديها بعض أفراد في العمل الفنــي ، والذين يمثلون لديه قدوة ويتمنى الاقتداء بهم !

وفيما يخص العلاقة بين التليفزيون والطفل ، أشــارت عديــد مــن الدراسات إلي أن الطفل يشاهد برامج التليفزيون المختلفة ، حتى تلك التي لا

تستهدفه (أفلام ، وإعلانات ، ومسلسلات ...) ، وبصفة خاصـــة ، فالطفـــل يسعده مشاهدة البرامج ذات المضمون الخيالي والخاص بالتسلية .

ففي احدي الدراسات ، توصل باحثون إلى أن الأطفال الأكثر ذكـــاء في الفئة السنية ١٣ و ١٤ سنة يشاهدون برامج التليفزيون التي تحتوي علـــي عناصر خيالية ، والمسلية ، والتي تثير الضحك ، وتزود الفرد بمعلومـــات ، في حين أن الأطفال الأقل ذكاء يبحثون أكثـــر عـــن المـــواد ذات الجوانـــب الإنسانية . كما لاحظت الدراسة نفسها وجود اخـــتلاف بـــين أذواق الـــذكور والإناث خلال المراحل العمرية المختلفة ، فالأطفال الكبار، في الفئة الســـنية ١٣ و١٤ سنة ، كانت الإناث فيها تفضل المسلسلات , والروايـــات الأجنبيـــة (الأمريكية) والألغاز . وبالنسبة للنوع أيضا ، خرج البحـــث بـــأن الـــذكور يهتمون أكثر بالمواد التسجيلية الوثائقية وبشكل خـــاص "حـــرب الطـــائرات" والتي تدور حول المعارك التي خاضتها الطائرات خلال الحـــرب العالميـــة الثانية . وبالنسبة للذكور في الفئة السنية ١٣ و١٤ سنة ، أشار الباحثون إلـــي أن هؤلاء يهتمون أكثر بما حدث خلال الحرب ، كمـــا جـــاءت الإشـــارة أن الذكور يحبون التشبه بالطيارين لشجاعتهم ومهاراتهم .

وفي المقابل ، أشارت إحدى الدراسات إلي أن الطفل الـــذي يشـــاهد برامج تحتوي علي مشاهد عنف يصبح أكثر صلابة عندما يقابل عنفا حقيقيـــا خلال مشاجراته مع الأطفال من حوله . وقد لوحظ من دراسة أخرى أجريت علي أطفال من ذوي العشر سنوات أن تشجيع دوافع العنـــف لـــدي الطفـــل وإيقاظها في هذا العمر المبكر ، قد يساهم في تكوين شخصـــية الطفـــل فـــي مراهقته ، لأن المعرفة التي تقدمها وسائل الإعلام تعتبر عنصرا يساهم فـــي

تبني موقف وفي تكوين رأي ، كما يؤدي ذلك لاتخاذ قرارات تجاه أشـــخاص ومواقف يتضح فيها اختيار السلوك في موقف معين .

كذلك أفصحت إحدي الدراسات أيضا عـــن أن وســـائل الإعـــلام ، وبخاصة التليفزيون ، لديها القـــدرة علي تـــدريب وتكييـــف الطفـــل علـــي المستوي السياسي ، لأنها ــ وغالبا بشكل غير مباشر ــ تقدم للطفل معـــايير وقيما ، الأمر الذي يوضح أن بناء القيم وتشكيل السلوك لا يخص الجماعات الصغيرة التي يعتمد عليها الطفل ؛ فوسائل الإعلام , بكل مـــا تقدمـــه مـــن معلومات ، لها تأثيرها القوي علي قيم الطـــفل وعلي سلوكه ؛ فالتليفزيون يسمح للطفل الصغير بالدخول في عالم الكبار ، ويعد التليفزيون واحدا مـــن أكثر وسائل الإعلام قوة في إحداث تأثيرات عاطفية مثل الحزن .

وقد لوحظ من خلال دراسات سابقة وجود تـــأثير للتليفزيـــون علـــي مفردات الطفل ، بل وتأثير لا يمكن إغفاله علي خياله . وتـــأثير التليفزيـــون أكثر حدة ووضوحا لدي الطفل الصغير ، ويصبح هذا لتـــأثير أكثـــر أهميـــة عندما يتعلق الأمر بموضوعات يجهلها المشاهد ــ وخصوصا مـــن صـــغار السن ــ بسبب محدودية معارفه ، وكذلك عندما يوجد تناغم بـــين المحتـــوي الذي تنشره وسائل الإعلام وتشيعه وبين الآراء والقيم الشخصية التي يـــؤمن بها الفرد .

وإذا كانت الدراسات السابقة لاحظت وأشارت إلي أن الطفل يستطيع أن يكتسب سلوكيات ايجابية من التليفزيون (مساعدة الآخـــرين ، والتضـــامن مثلا...) ، إلا أن الوجه الآخر للعملة موجود أيضا ، حيث يستطيع التليفزيون أن يعلم الطفل عادات سيئة ، لأنه يتأثر بالنماذج المقدمة علي الشاشـــة فـــي

شكل قوالب جاهزة للتسويق ونماذج جاهزة لتقليدها ، وهـذا يمكـن أيضـا تسجيله بالنسبة للبالغ .

ويستطيع التليفزيون أن يخلق لدي الطفل ما يطلق عليه اسم (الجنون الوهمي والخيالي والتصوري) ، وذلك عندما يعاني الفرد من صـراع بـين نظامين للقيم : نظام قيمي خاص بالأسرة من ناحية ، ومن ناحيـة أخـرى ، نظام قيمي آخر خاص بأبطال الأفلام الخيالية بالمعني الواسع لهذا المفهوم .

وقد أشارت بعض دراسات من تلك التي اهتمت بالجانب الاجتمـاعي للتليفزيون إلي أن استقبال برامج هذه الوسيلة في إطار أسري يثير مناقشـات حول المضمون المقدم بين الآباء والأطفال ، وأن مناقشة البرامج التليفزيونية يتم أثناء عملية الاستقبال الجماعي أو بعدها ، مع إمكانية تفجر حوار وإبداء الرأي حول المضمون الذي تروجه الوسيلة الإعلامية ، كما الحـوار الـذي يدور حول المضمون الذي يقدمه التليفزيون من شأنه مساعدة الطفـل علـي إتقان اللغة وعلي تبنيه لرأي معين ، مما قد يكون له تأثيره علي سلوك الطفل في المستقبل ـ كما سبق وذكرنا ـ وهو الأمر الذي يفسر ما أشار إليه شرام بأن السلوك والتصرفات والمواقف الشخصية للآباء تجاه الأحداث لها تأثيرها علي مواقف الطفل ، وخاصة عندما تتناغم تلك المواقف مع ما تقدمه وسائل الإعلام ، وبخاصة التليفزيون ، حـول موضوع كان الطفل يجهل عنه مـن قبل .

ودعونا نذكر هنا مثالا شخصيا ـ غير مذكور في النسخة الفرنسـية لهذا البحث ـ وهو يتعلق باسم ابنتي آية (والتي كانت معي هـي وشـقيقتها أميمة عندما كنت أعد الرسالة التي حصلت بها على دكتوراه الدولـة) . فقـد جاءتني آية من المدرسة ونحن في فرنسا ، وكانت في السادسة من عمرها ،

باكية وغاضبة ، تطلب تغيير اسمها ! وبالمناقشة ، عرفت أن زملاءها وزميلاتها الفرنسيين ينادونها باسم "آية الله" وما أجمله من اسم بالنسبة لنا ، إلا أنه يحزنها ، فهم يلحقون به اسم "الخميني" . وكان الزعيم الروحي آية الله الخميني موضع نقد من كافة وسائل الإعلام الفرنسية ، وخصوصا التليفزيون ، كما كان أيضا محورا للحديث في الأسر الفرنسية ، وغير مقبول على المستوى الإنساني في فرنسا ، لا هو ، ولا مدرسته الإسلامية (التي ننتمي إليها ويفصح عن ذلك اسم آية) . والحل مع آية ، استشفه القارئ طبعا . فقد طلبت منها الانتظار حتى العودة إلى مصر ، ساعتها يمكن تغيير اسمها أو عدم تغيره . وبعد العودة إلى الوطن ، اقتنعت باسمها جدا ، بل هو بالنسبة لها ولزميلاتها من أجمل الأسماء[1] .

أما عن تحليل رسوم الأطفال ، فنحن نعتقد ، وبلا غرور ، أننا أول من نبه إلى تأثير التليفزيون على مخيلة الطفل والذي يعبر عمل يجول بخاطره بالرسم ، ونبهنا أيضا إلى أن الرسم يعد لغة يمكن الاعتماد عليها لفهم ما يدور في عقل الطفل ووجدانه ... ، ونشرنا أكثر من دراسة في هذا

---

[1] هذا الموضوع الخاص بحق الطفل في اختيار اسم جميل له ، كان محور حديث منذ أيام مع طلبة الدبلوم في الكلية ، وقالت لي إحدى الدارسات ـ وهي معدة برامج في الإذاعة ـ إن ابنتها فاطمة كانت في مدرسة أجنبية في مصر ، وإن زملاء وزميلات لها ، بل وإحدى المدرسات أيضا ، يستغربون اختيار هذا الاسم لها ، خصوصا واسم الأم "هالة" والأب "ياسر" ، معلقين على ذلك بما دار من حوار في مسرحية ريا وسكينة بين سكينة وعبد العال الذي يقول إن اسم أمه رشا وأن أباه اسمه هاني ، إلى أن تم تحويل فاطمة إلى مدرسة إسلامية ، وبقية الحكاية معروفة للقارئ ، فقد اعتزت باسمها جدا . وأذكر في ذلك أيضا ، بداية الستينيات ، عندما تزوجت زميلة لي من صحفي بجريدة الأهرام ، الأستاذ أحمد عادل ـ رحمه الله ـ وكان ذلك في بداية الستينيات ، واختارا اسم خديجة لأول طفلة لهما ، وربما كان هذا تاريخ تحول للبحث عن هوية للطفل المصري عند اختيار اسم له ، بعد أن سادت لفترة الأسماء التركية وأسماء الأسرة المالكة ... ، وسبق وأجرينا دراستين عن أسماء الأطفال ، دراسة منهما عن أسماء الأطفال في مصر ، **رسوم الأطفال من منظور إعلامي** ، والأخرى عن أسماء الأطفال في المملكة العربية السعودية ، **رسوم الطفل بين المحلية والعالمية** .

الموضوع ، وناقشنا بعض نتائجها في مؤتمرات عالمية ومحلية ، وبعض هذه المؤتمرات يخص وسائل الإعلام ، وبعضها الآخر يخص الطفل [٢] .

وإلى جانب أسئلة أخرى ، نطرح لهذا البحث عددا محدودا من الأسئلة محاولين الإجابة عنها وهي :

- هل يقوم التليفزيون ، في عصر الأقمار الصناعية ، وخصوصا شبكة "السي إن إن" (CNN) [٢] ، بترويج العنف والحرب الحقيقية التي تدور رحاها ، وبكل ما ينجم عن المعارك من قتل وإصابات وتشريد ودمار ... ، على أن ذلك مجرد لعبة ؟ وبهدف التسلية ؟
- وما المتغيرات التي يمكن أن يكون لها دور في هذا الخصوص ؟
- هل البيئة ؟ أم جنس الطفل ؟
- وأي الجنسين أكثر تأثرا بهذه الحرب ؟
- وهل يمكن الكشف عن علاقة بين الحرب و بين تكوين صورة قومية بوسائل الإعلام ؟
- وهل توجد علاقة بين السياسة التي تفرضها الدولة تجاه الحرب وبين محتوي وسائل الإعلام ؟
- وكيف يرى الطفل المصري هذه الحرب ورموزها وما وجهة نظره التي يطرحها للخروج من هذه الكارثة ؟

---

[٢] نحيل القارئ المهتم بهذا الموضوع إلى قائمة إنتاجنا العلمي ، والتي أشرنا في بعضها إلى مراجع في الفن وفي رسوم الطفل ...

[٢] كانت السي إن إن الشبكة الوحيدة التي سمح لها المسئولون في العراق نقل وقائع هذه الحرب الغبية .

ثانيا– نتائج البحث

أشارت الدراسات فى مصر إلى أن معظم الأطفال المصريين تقريبا يشاهدون التليفزيون كل الأيام بنسبة ٩٥% ، وبنسبة ٩٨% فى أيام الإجازات[1] ، مما شجعنا على القول بأن التليفزيون أصبح ظاهرة اجتماعية فى حياة أطفال المصريين ، وبذلك يكون له تأثيره على الظاهرات الاجتماعية الأخرى ، مثل اللغة ، والعادات ، والتقاليد ...

والمشكلة المعروضة هنا تقوم على فرضية مفادها أن المعلومات المعروضة فى التليفزيون ، والتي تتعلق بأزمة الخليج ، كان لها تأثيرها على الأطفال المصريين ، وهى تلعب بذلك دورا فى تكوين صورة عن العراق ورموزه ، وعن الكويت ورموزه .

أ ـ خصائص العينة المدروسة

لدراسة الفرضية السابقة ، طرحنا سؤالا بسيطا علي عينة من الأطفال من سن ١١ إلى ١٤ سنة ، ويمثلون الجنسين ، فىالمدينة والقرية . وقد سحبت الحالات التى تمثل المدينة فى هذه العينة من مدرستين من حي متوسط ، منيل الروضة ، وتلك التي تمثل القرية والتي اختيرت من بين أبناء قرية تابعة لمحافظة القليوبية ، وتبعد عن القاهرة بحوالي ٦٠ كيلو مترا . وبناء على ذلك ، وخصوصا أن المدارس الأربعة هنا هي مدارس حكومية ، فإن العينة المدروسة تمثل الطبقات الاجتماعية الاقتصادية المتوسطة .

وقد اعتمدنا في هذا البحث على أن نطلب من الأطفال أن يرسموا أى

[1] نحيل القارئ المهتم هنا إلى النسخة الفرنسية للبحث لمعرفة المراجع التي استندنا إليها ..

موضوع يدور فى أذهانهم ، بدون إعطـائهم أي توجيهـات أو تفسـيرات أو توضيحات ، وهو أسلوب اتبعناه بنجاح في بحوث أخرى[1] .

وقد أجريت الدراسة فى المدارس الأربع في أثناء الحصص الأولـى من اليوم الدراسي من ١٠ إلى ٢٠ مارس ١٩٩١م ، وأعطينا للأطفال عشـر دقائق ليعبروا عن أحاسيسهم بدون أى تدخل من جانبنا ، لا في نوع القلـم ، ولا في الموضوع الذي يختاره الطفل لرسـمه ... ، أي بـدون أى إغـراء خارجي مباشر ، سواء من المعلمـين أو مـن أى درس سـابق (خصوصـا حصص الرسم) أو من الباحث الميداني . باختصار ، الرسوم التي تم جمعهـا للتحليل في هذا البحث ، هي ترجمة لما كان الأطفال يشعرون به ، وما كانوا يفكرون فيه ، أو ما كانوا يشعرون بأنهم سوف ينجحون فى نقله بالقلم علـى الورق . والجدول التالي يبين بعض خصائص للعينـة المدروسـة ، النـوع والبيئة .

(جدول رقم ١)

توزيع العينة بحسب النوع والبيئة

البيئـة	النـوع				الإجمـالي	
	ذكـور		إنـاث			
	ك	%	ك	%	ك	%
مدينـة	١٧٤	٥٣,٥	١٢٨	٤٦	٣٠٢	٥٠,١ %
قريـة	١٥١	٤٦,٥	١٥٠	٥٤	٣٠١	٤٩,٩ %
المجموع	٣٢٥	٥٣,٩ %	٢٧٨	٤٦,١ %	٦٠٣	١٠٠ %

[2] منها مثلا السؤال : "ماذا تعرف عن القمر الصناعي؟ "، والذي نشرت نتائجه في إحدى الدوريات العلمية بمصر .

ب ــ صورة بانورامية لرسوم الأطفال

قبل عرض نتائج التحليل للعينة التي خضعت للدراسة ، فيما يلي صورة بانورامية في خطوط عريضة للرسوم التي تم جمعها ، ٦٠٣ صور.

ــ كان موضوع هذا البحث مكملا لاستمارة بحث من ٢٩ سؤالا في ورقتين وعرضت نتائجها في مجلة كلية التربية بجامعة عين شمس .

ــ ربما ماذكر عاليه بأن الرسم كان مكملا لاستمارة بحث ، كان السبب الرئيسي في أن كل الأطفال في العينة المدروسة قد استجابوا على السؤال الخاص بالرسم ، حيث رفض أطفال في بحوث سابقة لنا ذلك ، وبعضهم بدأ يرسم ثم شطب ما رسمه ورفض الاستمرار في الرسم[1] .

ــ غالبية رسوم الأطفال في هذه العينة بدون برواز يحدها .

ــ الرسوم التي استخدمت فيها أدوات هندسية مثل المسطرة نادرة جدا .

ــ استخدم الطفل أحيانا صفحة كاملة ليرسم فيها كلها أو حتى في جزء منها ، حيث رسم طفل ــ على سبيل المثال ــ في طرف قاع هذه الصفحة من على اليمين صورة لفتى ، وبعض الأطفال في العينة نفسها استخدموا صفحة من صفحتي الأسئلة للرسم في أسفلها أو حتى في هامشها .

ــ من الملاحظات الجديرة بالانتباه إليها أن معظم هذه الرسوم زاوج فيها الطفل بين اللغة المكتوبة باستخدام العربية فقط واللغة الإيقونية لرسم إنسان أو زهرة أو سلاح ... ، وهو موضوع أخضعناه للدراسة في كتابنا رسوم الطفل بين المحلية والعالمية عند تحليل عينة من رسوم الأطفال في المملكة العربية السعودية ، وفي كتاب سابق بعنوان رسوم الأطفال

(١) انظر دراساتنا السابقة في تحليل رسوم الطفل .

من منظور إعلامي وهو عن تحليل رسوم الأطفال في مصر ، والذي ضم صورة لوحة رسمها الفنان العالمي ليونار دي دافنشي زاوج فيها بين الرسم والكتابة ، وكنا قد شاهدناها منذ سنوات في مجموعة ملكة إنجلترا بالمتحف البريطاني بلندن ، وجاءتنا صورة من هذا الرسم ــ بعد دفع الرسوم المطلوبة مقابل ذلك ــ عندما أرسلنا في طلبها .

ــ بعض الرسوم سجل فيها الطفل لقطة واحدة ، وبعضها الآخر كان الرسم لأكثر من لقطة ولكنها كلها في إطار موضوع واحد .

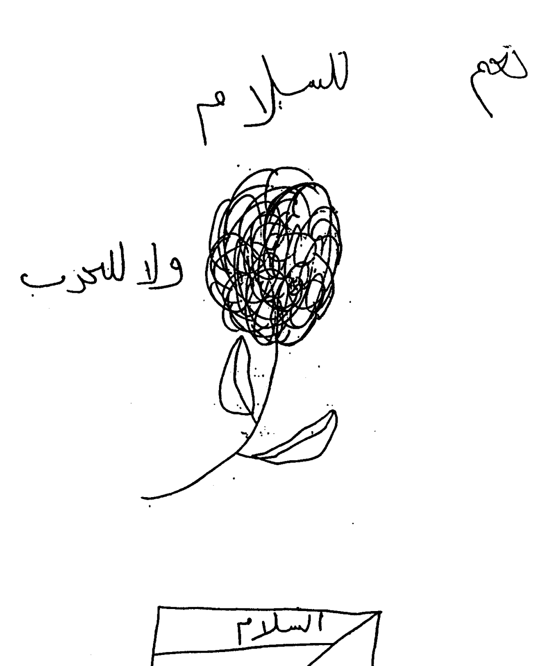


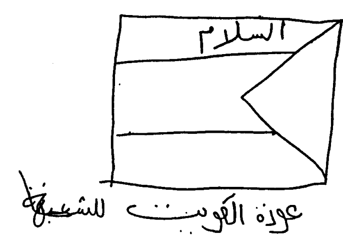
رسم رقم ١

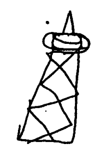
ــ لم يستخدم الطفل الألوان في هذه الرسوم التي خضعت للتحليل ، إلا لتلوين الجزء الخاص بها في فستان ترتديه فتاة والذي فى شكل علم ، ولكن أبدا لم لم يستخدم الأحمر لتلوين الدماء التى سالت فى رسوم كثيرة ، سواء بالنسبة للقتلى أو الجرحى ؛ هل هذا كراهية من الطفل ورفض لكل هذا الدم الذي شاع في رسوم بعض منهم ؟

ــ يستعين الطفل في رسم لوحاته بالقلم الرصاص أحيانا ، وفي أحيان أخرى يستعين بالقلم الجاف ، والأزرق غالبا ، أو النوعين معا في بعض الرسوم .

ولما كنا لا نبحث هنا عن جوانب فنية للرسوم التي قمنا بتحليلها ، وتأثير بعض المتغيرات الديموغرافية مثل النوع والبيئة على الجوانب التي ذكرناها عاليه ، فقد ركزنا هنا على البحث عن الإجابة على فرضية محددة هي"تأثير التليفزيون على الطفل المصري إبان حرب الخليج" .







مصر الأم



(رسم رقم ٢)

جـ ـ نتائج تحليل الرسوم

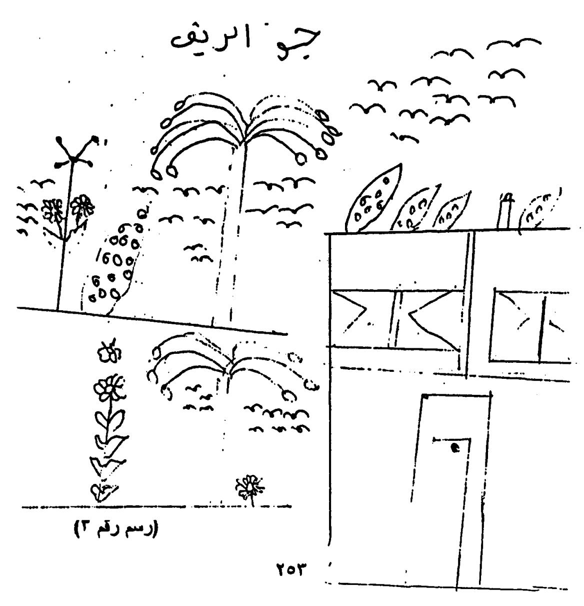
(جدول رقم ٢) توزيع رسوم الأطفال حسب الموضوع

الموضــوع	البيئـــة				المجمــوع	
	مدينة (حضر)		قرية (ريف)			
	ك	%	ك	%	ك	%
البيئة	١٠٠	٣٣,١	١٣٠	٤٣,٢	٢٣٠	٣٨
الوطن	٧٤	٢٤,٥	٦	٢	٨٠	٢٤,٥
الأسرة	٣٦	١٢	٣٨	١٢,٦	٧٤	١٢,٣
حرب الخليج	٢١	٧	٤٥	١٥	٦٦	١١
السلام	٢٢	٧,٣	١٦	٥,٣	٣٨	٦,٥
الأمة العربية	١	٠,٣	١٥	٥	١٦	٢,٦
التضامن	٤	١,٣	٩	٣	١٣	٢
مصر : الحضارة والمستقبل	١	٠,٣	٥	١,٦٥	٦	١
وضع مصر	١	٠,٣	٥	١,٦٥	٦	١
موضوعات أخرى	٤٢	١٣,٩	٣٢	١٠,٦	٧٤	١٢,٣
المجموع	٣٠٢	٥٠,١ %	٣٠١	٤٩,٩ %	٦٠٣	١٠٠ %

الرسوم التي تم جمعها من الأطفال للتحليل في هذا البحث تترجم وتعبر عما كان يفكر فيه الأطفال فى اللحظة التي طلبنا منهم رسم ما يريدون ، والتي يعرضها الجدول رقم ٢ الذي فيه تجميع لنتائج التحليل حسب فئة الموضوع . وبقراءة الأرقام الموضحة في الجدول ، يلاحظ أن رسوم الأطفال في العينة المدروسة (والتي ضمنا هذا البحث ٢٣ رسما منها بنسبة ٣,٨% من مجموع الرسوم) ، تناولت رسوم الأطفال في العينة المدروسة (٦٠٣ رسوم) تسعة موضوعات رئيسية : البيئة ، والوطن ، والأسرة ، وحرب الخليج ، والسلام ، والأمة العربية ، والتضامن ، ومصر الحضارة والمستقبل ، ووضع مصر في الوقت الحالي ، هذا إلى جانب موضوعات أخرى أقل أهمية من حيث عدد مرات تكرارها ، والتي ضمتها فئة "موضوعات أخرى" ، والتي نخضعها هي أيضا للتحليل بعد الحديث عن الموضوعات التسع الأكثر أهمية من حيث عدد مرات ذكرها .

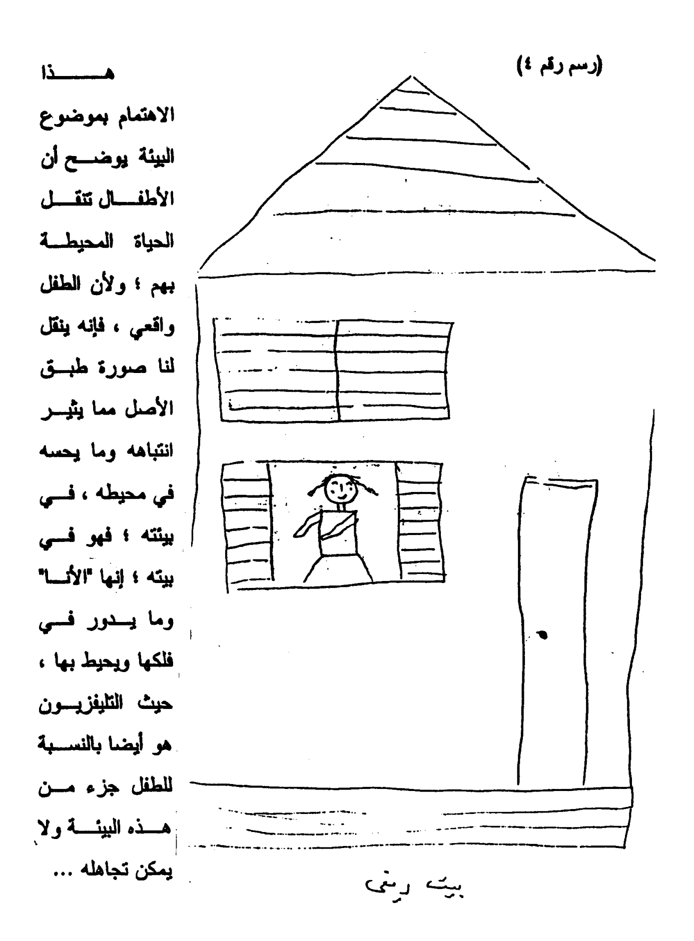
١ ــ البيئة

من حيث عدد مرات تكرارها ، جاءت الرسوم التي تصور البيئة فى مقدمة إجمالي الموضوعات المرسومة وبنسبة ٣٨% ، أي أكثر من ثلث عدد اللوحات المدروسة ؛ فالكل لا يعنيهم بطبيعة الحال الموضوعات بدرجة سواء ؛ والدليل على ذلك ، أن هذه الفئة من الرسوم والخاصة بموضوع البيئة ، أفصح البحث عن أنها أكثر أهمية لدى طفل القرية (٤٣,٤%) عنها لدى طفل المدينة (٣٣,١%) ، إلا أن موضوع هذه الفئة يأتي على رأس الموضوعات التي اهتم كل فريق منهما برسمها ، وهي الرسوم التي عبر فيها الطفل عن الحقول ، والحدائق ، والدواجن ...



(رسم رقم ٣)

(رسم رقم ٤)



هــــذا الاهتمام بموضوع البيئة يوضــح أن الأطفـــال تنقـــل الحياة المحيطـــة بهم ؛ ولأن الطفل واقعي ، فإنه ينقل لنا صورة طبـــق الأصل مما يثيـــر انتباهه وما يحسه في محيطه ، فـــي بيئته ؛ فهو فـــي بيته ؛ إنها "الأنـــا" وما يـــدور فـــي فلكها ويحيط بها ، حيث التليفزيـــون هو أيضا بالنســـبة للطفل جزء مـــن هـــذه البيئـــة ولا يمكن تجاهله ...

ومشاهد الطبيعة في الريف ثرية ، وهذا يجعلها تستحق الاهتمام بهـا والتعبير عنها ، فهي إذن جديرة بأن ترسم أكثر من رسم منظـر للمدينـة ، حيث الحوائط الأسمنتية والخرسانة المسلحة تعترض بصر الرائي بـل وقـد تصدمه ، هذا دون تجاهل القول بأن الطفل الحضرى يهتم هو أيضـا بهـذا المنظر الريفى للقرية ، والذى صوّره واحد منهم وكأنه بيـت مـن البيـوت الأوربية ذات السقف هرمى الشكل ، جمالون ، (رسم رقم ٤) ، وهـو طـراز معماري يرتبط ببعض البيئات ولا نراه فى مصر إلا على الشاشة الصغيرة ، أو فى قاعات السينما ، باستثنـاء عدد من "الفيلات" فـي بعـض المـدن الكبيرة . ومن الجدير بالذكر هنا ، أن هذا الطراز المعماري للبيت قد ظهـر في دراسة على عينة من رسوم الأطفال في المنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية ونشرنا عنها في نتائجها في كتاب لنا بعنوان : **رسوم الطفـل بـين المحلية والعالمية** .

تأثير للتليفزيون ؟ ربما ، خصوصا بالنسبة للطفل السعودي الـذي لا تدخل السينما في ثقافته .

٢ ـــ الوطن

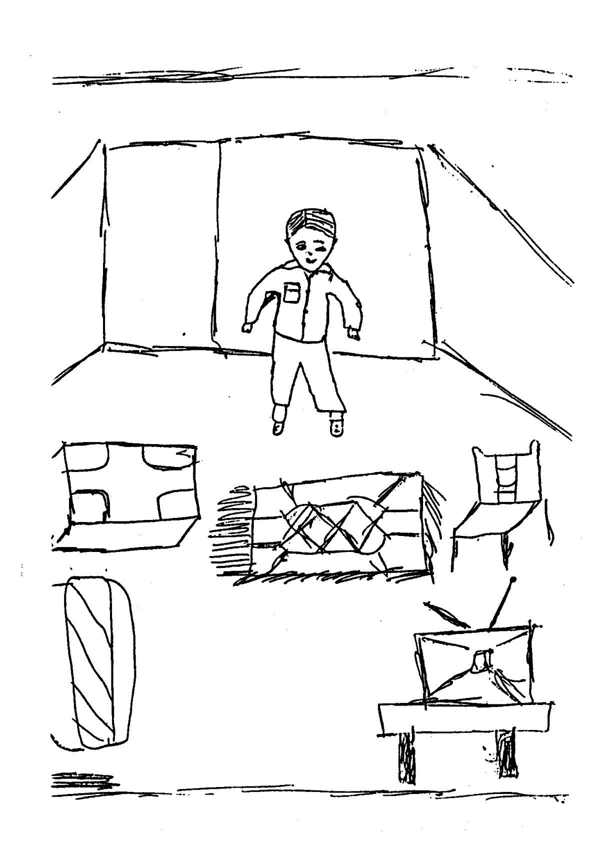
الأطفال في العينة المدروسة تعيش رغم أنفها أوقاتا صعبة ، أزمـة يمر بها "الوطن" ، الوطن الأكبر ، المنطقة العربية والإسلامية ، ويتكلم فيهـا كل العالم عن حرب منتظرة ومعروفة عواقبها لدى الجميع .

وبحثا عن الأمان والانتماء ، احتل موضوع الوطن المرتبـة الثانيـة بين موضوعات رسوم الأطفال في العينة المدروسـة ، حيـث حـاز هـذا الموضوع على اهتمام من قبل حوالي ربع العينـة المدروسـة (٢٤,٥%) ،

وجاء بذلك في المرتبة الثانية بالنسبة لبقية الموضوعات وبعد البيئة مباشرة ، وكأني بالأطفال هنا يصرخون "بلد ي ي ي ي ي" ...

المهم أنه في هذه الفئة ، رمز الطفل للوطن بالعلم ... ، ومع" ترديد النشيد الوطني وتحية العلم" ، وجدنا الطفل في هذه العينة يعبر عما يتمناه ، وهو بأن نتجمع تحت هذا اللواء ونحتمي به ضد خطر يهددنا بل ويلاحق الجميع ، فهو ليس بعيدا عنا . والإحساس بهذا الخطر ظهر واضحا وبنسبة فارقة في رسوم الأطفال الذين ينتمون إلى المدينة (بنسبة ٢٤,٥%) بينما نسبة هذا الموضوع الذي يتعلق بالوطن في رسوم أقرانهم ممن هم في القرية احتل المرتبة السابعة (بنسبة ٢%) . فهل لنا من تفسير ؟

- هل لسبب ما لا يشعر أبناء الريف بأهمية ما ندعيه عن الوطن ؟
- هل الأغاني الوطنية بعيدة عن أحاسيسهم ؟ ألا يرفرف علم مصر فوق المدرسة بالقرية ؟
- ألا يُرفع علم مصر كل صباح ويشترك الجميع لتحيته في فناء المدرسة ؟ هل طابور الصباح و"تحيا جمهورية مصر العربية" أشياء لا تحدث إلا في مدارس المدينة وتختفي من المدارس في القرية ؟ هل هذا حقيقي لانعدام الرقابة ؟ وهل ... وهل ... وهل وهل ... ؟؟
- أم أن هذا يفسر بأن طفل المدينة ـــ أكثر من طفل القرية ـــ يحتك بوسائل أخرى عديدة تساعد في تشكيل فكره وتبلور وجدانه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، تساهم هذه الوسائل في توجيه الطفل لاتخاذ قرار إزاء الأحداث وموقف مما يحدث ، في حين طفل القرية واقعي أكثر منه ، ولا يهمه سوى ما يحيط به شخصيا وما يمسه بصفة خاصة ، ويهدد بيئته ؟



(رسم رقم ٥)

البحث عن الأمان والحاجة إليه ، والذي يأتي في المرتبة الثانية من الحاجات الإنسانية الأساسية وفقا لما جاء في "سلم ماسلو" ، وذلك بعد الحاجات البيولوجية التي تحفظ النوع والحياة[1] ، والتي هي بالترتيب نفسه الذي جاء في سورة قريش (آية : ٤) . هذه الحاجة إلى الأمان ، والتي ترتبط بها الحاجة إلى الانتماء ، نجدها أيضا في رسوم الأطفال عندما يصورون الأسرة والتي جاءت والتي جاءت في المرتبة الثالثة ولكن بنسبة ١٢,٣% .

ففي الحالات التي خضعت للدراسة هنا ، ظهرت بعض رسوم تمثل دفء العائلة والأسرة والبيت ، حيث تساوت النسبة تقريبا بين أطفال الحضر وأطفال الريف ، ١٢% و ١٢,١% على التوالي . وفي هذه الفئة نشاهد لوحة وفيها أب وابنه واليد باليد ؛ إنه السند ، والسلام ، والملجأ ...، إنه تواصل الأجيال ، والاستمرارية ، والحاجة إلى بقاء النوع ، وهي من أول الحاجات البيولوجية للإنسان، والتي ينبغي إشباعها قبل بقية الحاجات الإنسانية الأخرى

ونرى الحاجة إلى الأمان في رسم طفل لغرفة في البيت وتحميه جدران هذه الغرفة من أي اعتداء خارجي على خصوصياته . ومن أكثر من ٣٠٠٠ رسم قمنا بتحليلها في بحوث متعددة ، نعترف هنا أنها المرة الأولى التي نرى "طفلا يصور نفسه محاطا بثلاثة حوائط لغرفته" ، لقد أسقط الطفل الحائط الرابع ونشاركه أحاسيسه في الحاجة إلى الأمان . وبعيدا عن الكتاب المدرسي ، اهتم الطفل هنا بتسجيل متابعته لما يبث على شاشة التليفزيون ، فهو في مواجهته ، وعنصر أساسي مع عناصر أخرى في الغرفة ، بينما لا يوجد أي أثر لكتاب واحد في غرفة هذا الفتى الذي هو في سن المدرسة .

---

[1] انظر كتابنا : الدش والإنترنت في إطار علم الاجتماع الإعلامي .

٤ ــ حرب الخليج

لم يكن غريبا بالنسبة لنا أن يحتل موضوع حرب الخليج المرتبة الرابعة ، بل هو في المرتبة الثالثة إذا نظرنا إلى فئة الوطن وفئة الأسرة على أنهما فئة واحدة تتحدث عن الحاجة إلى الأمان . بل إن حرب الخليج هي الوجه الآخر للحاجة للأمان ، حيث تهدد الحرب هذه الحاجة . وهذه الفئة تأتي في المرتبة الثانية إذا نظرنا إلى أن الرسوم التي تتحدث عن البيئة تعبر أيضا عن الانتماء ، فالأطفال في هذه الفئة تتجاهل الحرب وتهرب منها بالارتماء في أحضان الطبيعة وقد قيل : "وبضدها تتمايز الأشياء" . وقد ظهرت حرب الخليج بشكل مباشر ، وبشكل غير مباشر ، فى الرسوم التي خضعت للتحليل ؛ فإلى جانب الرسوم التي صوّر فيها الطفل هذه الحرب ، نرى أيضا حرب الخليج في فئات صنفناها تحت مسميات أخرى مثل "السلام، والأسرة ، والوطن ، والأمة العربية ، والتضامن ، ووضع مصر ...) .

لكن حرب الخليج هذه ، ظهرت صراحة وبنسبة ١١% في الرسوم التي خضعت للتحليل ، مما سمح لها أن تحتل المركز الرابع فى الجدول السابق . إلا أن هذه الفئة التي تضم رسوم الحرب قد جاءت بنسبة ١٥% وفى المرتبة الثانية عند أطفال القرية ، بينما هي بنسبة ٧% فقط وفى المرتبة الخامسة عند أطفال المدينة .

ــ فهل المدرسة في المدينة ، وخصوصا حصص اللغة العربية والدين والرسم ، بل والإذاعة المدرسية أيضا في طابور الصباح ، وصحيفة الحائط ... ، هل هذه الوسائط المدرسية يمكن أن يكون لها دور في ظهور هذا الاهتمام بموضوع الحرب لدى أطفال المدينة أكثر من اهتمام مدرسة القرية بهذه الوسائط مما يجعل دور المدرسة بها محدودا؟ ربما .

ـ هل المستوى الاجتماعي للأسرة في المدينة ، وأهم ما في ذلـك ثقافـة الأبوين ، حيث المحادثات والحوارات التى تدور بين أفراد الأسرة ، هـل من شأن مثل هذا المستوى زيادة درجة القلق الذى تحركه هذه الحرب أو امتصاصه ؟ وهل كل هذه أمور غير مفهومـة بالنسـبة للبسـطاء مـن القرويين في الريف ، والذين ينقصهم كثير من المعلومات ؟ وهـل فـتح حوار عن الحرب مع الأبناء يترتب عليه تكوين رأي محدد إزاء الأحداث واتخاذ هؤلاء الأطفال موقف إزاء هذه الحرب ؟ ... ربما .

ـ هل هذه النتيجة لأن طفل المدينة في بداية التسعينيات كان أكثر تعرضا للتليفزيون عن طفل القرية ؟ ... ربما .

ـ وربما أيضا ، ومقارنة بطفل القرية ، أن طفل المدينة يتعرض لبعض وسائل أخرى تعمق وتفسر الأمور مثل الصحـافة المطبوعة، والتليفزيون، والفيديو ، والسينما ، وخصوصا الأتاري الذي لم يكن قد دخل القرية بعد (والبحث طبق في بداية التسعينيات) ، وربما لم يدخل القرية حتى الآن ، بينما دخل الأتاري المدينة منذ فترة طويلة نسبيا ، وهذا من شأنه أن جعل طفل المدينة يتلقى صور الحرب التي تبث على الشاشة الصغيرة وكأنها لعبة ـ ربما . أو على الأقل ، الحرب بالنسبة لطفل المدينة هي مجرد تمثيلية يصور فيها ممثلون مشاهد قتل وإراقة ما يشبه دماء و ... ، ثم يخرج الجميع "صاغ سليم" بلا خسائر . بل ، وكما يحتفلون عند بداية العمل الفني أحيانا ، يحتفلون بالانتهاء من التصوير ، وبنجاح من قاموا بالتمثيل لإجادتهم لعب الأدوار التي أدوها .

ـ هل الحرب الحقيقية بالنسبة لطفل المدينة مجرد فيلم من الخيال العلمي يعيد الطفل تصوير لقطاته على الورق !! ربما .

ـــ هل وسائل الإعلام ، وبخاصة التليفزيون هنا ، روجت ثقافة الحرب لـــدى الأطفال وأمدتهم بمفردات إيقونية عن الحرب انتشرت في رسومهم؟ ربما.

انتبهوا أيها السادة .

نحن نشترك في جريمة لا يدرك بعضنا مـــدى خطورتهـــا ، عنـــدما نغرس في أطفالنا مفردات الحرب التي يتقبلونها بسعة صدر ، مشتركة فـــي تكوينهم الثقافي ، خصوصا عند الاستعـــانة بـــالتليفزيون لترويجهـــا ، وهـــو الوسيلة التي تستخدم بوجه خاص للتسلية ...

لذلك نرى أنه من الضروري القيام بدراسات ، ودراسات ، للتحقـــق من مدى صحة ما نقول ، لاستشراف مســـتقبلنا عنـــدما تصـــبح مقاديرنـــا ومقدراتنا في أيدي مهووسين من أبناء العنف والحرب والتليفزيون .

احذروا من هذا اليوم .

٥ ـــ السلام

الحرب تدور رحاها بين إخواننا في العراق وإخوان لنا ولهـــم فـــي الكويت ، شارك الأطفال في العينة المدروسة في مصر فـــي رفـــض هـــذه الحرب والمطالبة بالسلام قائلين "نعم للســـلام ، لا للحرب" ، وقد ســـبق لنـــا الإشارة إلى ذلك (رسم رقم ٢) . ففي صفحة كاملة ، وفي الجزء العلوي منهـــا رسم الطفل صورة وردة يتفاعل بها رمزا للسلام . وفي هذه اللوحة ، نـــرى علم دولة الكويت وعليه كلمة *"السلام"* ، وتحت هذا العلم كتب الطفـــل أمنيـــة عزيزة لديه ، فهو يحلم برجوع *أرض الكويت لشعبها"* . وفى مقدمة اللوحـــة رفع الطفل شعار "مصر الأم" ، وذلك بكتابة هذه الجملة بين رسم على اليمين لبرج القاهرة ، والذي هو بالأسمنت المسلح بكل الدلالة التـــي تحملهـــا هـــذه الكلمات ، وفى اليســـار كرر الطفل رسم البرج وبالأخص الأجزاء العلويـــة

التي منها المطعم الدوار الذي يكشف عن أجمل منظر للقاهرة . ويمكن قراءة مفردات هذه الصورة ، بأن "*مصر الأم*" في هذا الرسم تحتضن برج القاهرة وتحتويه ، فهو في القلب وفي العين حيث رسم الطفل البرج الواحد مرتين (وليس لهذا أي علاقة لا من قريب ولا من بعيد بأحداث الحادى عشر من سبتمبر والاعتداء على البرجين في نيويورك !!) . وفي رمزية برجها ، مصر الصامدة ، يراها الطفل هنا أما للعرب ، من الممكن أن تحتويهم وتشد من أزرهم في أوقات الأزمات ، وقد حدث ، لا أعاد الله مثل هذه الأوقات العصيبة على شعب الكويت .

وقد ظهر الإحساس بالخطر المتوقع من هذه الحرب فى رسوم أخرى عبّر فيها الأطفال بوضوح عن "*السلام*" بنسبة ٦,٥% ، وتأتي هذه النسبة في العينة كلها في المرتبة الخامسة ، ولكن بنسبة أكبر قليلا لدى طفل المدينة (٧,٣%) عنها لدى طفل القرية (٥,٣%) .

وفي نتائج هذه الجزئية من البحث ، نرى هنا أن التطلع للسلام ، والذي هو بنسبة ٦,٥% ، بينه وبين التعبير عن الحرب (والذي جاء بنسبة ١١% في رسوم الأطفال في العينة المدروسة) توجد ثمة علاقة ، حيث الاهتمام بالحرب بالنسبة لأطفال القرية كانت نسبته ١٥% وفي المرتبة الثانية بعد البيئة مباشرة مقابل ٥,٣% فيما يخص التعبير عن السلام ، بينما فئة السلام في رسوم أطفال القرية في المرتبة الرابعة وتكاد تتساوى لديهم في النسبة وفئة الرسوم التي صورت الحرب (٧,٣% مقابل ٧% على التوالي) .

تقودنا هذه النتيجة إلى القول بأن الأطفال في المدينة ، استطاعوا ــ تقريبا ــ تكوين رأى عن الحرب ، ربما بسبب المحادثات العائلية بين الآباء والأبناء ، وبعد ذلك بين الأصدقاء ، وترويج وسائل الإعلام المختلفة لهذه

الحرب ، سواء الوسائل المطبوعة ، وخصوصا الإليكترونية ، والتي يتعرض لها طفل المدينة أكثر من التعرض لها من قبل شقيقه طفل القرية .

٦ ـ الأمة العربية

جاء هذا الموضوع في المرتبة السادسة ، من ١٦ مفـردة وبنسـبة ٢,٦% من إجمالي حجم العينة ، حيث لاذ هؤلاء بالأمة العربية يحتمون بهـا من هذه الأزمة ، وخصوصا في العينة التي سحبت من القرية حيث النسـبة ٥% ، بينما هي في المرتبة السابعة وبنسبة ٠,٣% فقط فـي العينـة التـي سحبت من المدينة .

٧ ـ التضامن

بالنسبة للتضامن ، وهذه الفئة تشير بدرجة ما إلى الأمة العربية ، فقد جاءت نسبتها في المرتبة السابعة بنسـبة ٢% فـي العينـة كلهـا ، إلا أن التضامن ظهر في رسوم أطفال المدينة والقرية في نفس الترتيب السـادس ، ولكنه بنسبة ١,٣% في رسوم أطفـال المدينة ، و٣% فـي رسـوم أطفـال القرية . فهل يرجع اهتمام طفل القرية بالتضامن أكثر من طفل المدينة إلـى أن طفل القرية يعيش في الغالب في أسرة ممتدة يتضامن جميع أفرادها ، بـل بل وكل أفراد القرية ، في عمليات الحصاد وما شابهها ؟ ربما .

٨ ـ مصر : الحضارة والمستقبل

من الموضوعات التي اهتم ستة من الأطفال بتسجيلها في رسومهم ، رصدنا موضوعا يرتبط بمصر وحضارتها (أربـع حـالات) بـل وإيمـانهم

بمستقبلها أيضا (حالتان) ؛ خمسة من هؤلاء من أطفال القرية ، وواحد فقط من سكان المدينة .

٩ ــ الوضع الراهن في مصر

كما هي النسبة فيما يتعلق بالفئة السابقة للرسوم التي تتناول فيها الأطفال ماضي مصر ومستقبلها ، ذكر ستة من الأطفال مصر الحديثة بكل ما فيها من مقومات في الآونة الحالية ، خمسة منهم من أطفال الريف وواحد فقط من سكان المدينة .

وبهذا نرى أن الحديث عن مصر ، الماضي والحاضر والمستقبل ، والتي ضمتها فئتان ، لم تظهر في الموضوعات التي رسمها الأطفال في العينة المدروسة إلا في ١٢ رسما من الرسوم التي خضعت للتحليل ، بينما الحديث عن الأمة العربية كان في ١٦ رسما ، أي بنسبة ٣ : ٤ ، لصالح موضوع الأمة العربية !!

١٠ ــ موضوعات أخرى فى رسوم الأطفال

في الفئة المفتوحة لنتائج التحليل والتي باسم "موضوعات أخرى" ، وإلى جانب ما سبق ذكره من موضوعات ، أدخلنا الطفلُ بيته من الداخل كما رأينا (رسم رقم ٥) ، لكنه رسم أيضا المدرسة ، والمسجد ، والكنيسة ، والمصنع ، والسيارة ، والمراكب ذات الشراع ، والمزلقان ، والأرجوحة ، والبالونات ، والرحلات ، والصياد ، وإكليل من الزهور ، وعروسة المولد

النبوي[1] (رسم رقم ٦) ... كذلك عبّر الطفل أيضا في رسـومه ، وبالتسـاوي من ناحية التكرار ، عن النياشين ، وعن أعياد الميلاد ، وعن عيد الطفولة ، وعن عيد الأم ...



(رسم رقم ٦)

١١ ـــ قليل من الحب ؟ جائز ! خصوصا مع أمل في غد مشرق

إلى جانب ما سبق ذكره من موضوعات ، عـرف أطفـال العينـة المدروسـة التعبير في رسومهم عن أحاسيس ومشاعر أخـرى وخصوصـا الحب . وبالرغم من أن مفهوم الحب قد يتسع بالنسبة لبعض الأفراد فيشـمل فئات سبق ذكرها ، حب الله ورسوله ، وحب الوطن ، وحب البيت ، وحـب المكان ، وحب الزمان ، وحب العمل ، وحب الطبيعة ... ، إلا أننا هنا نقصد بالحب المفهوم الذي يعني العلاقة العاطفية التي تربط بين فتى وفتـاة ، بكـل

---

(1) الدكتور عبد الغني الشال والذي كان عميدا لكلية التربية الفنية والحاصل على جائزة الدولة التقديرية قدم دراسة متعمقة ومستفيضة تناول فيها موضوع عروسة المولد في كتاب نشرته له هيئة الكتاب بهذا الاسم .

درجات هذه العاطفة ، بداية من الإعجاب ، والحب الأفلاطوني ... إلى الرغبة في ممارسة الحب مع الطرف الآخر .

وعندما نقرأ رسوم الأطفال في هذه العينة — إذ إن للصورة والرسم مفردات وأجرومية يجب فك شفرتها لفهم مضمونها[1] — فإن قراءة الرسوم التي خضعت للتحليل توحي للقارئ بوجود وقت أيضا للحب ، وهذا جائز ومقبول ، حتى وإن كنا في وقت الحرب ، إذ يجب أن نتذكر جيدا أن ما نقوم بدراسته هنا ، هو مضمون ، هو رسالة ، يريد الطفل أن تصلنا ، وقد رأينا أطفالا تحزن بشدة عندما يُسألون عما يرسمون في اللوحة . والعينة التي نقوم بتحليل رسومها هنا لأطفال تتراوح أعمارهم ما بين ١١ و١٤ سنة . لهذا شعرنا مثلا عند تحليل الرسوم التي خضعت للدراسة بأنه يوجد أمل لدى العينة في مستقبل مستقر يشع بهجة ، وأن هذا ليس بعيد المنال . وقد عبر الأطفال عن ذلك في صورة وردة تحمل كل معاني التفاؤل والأمل ، بل والحب أيضا . ليه لأ ؟ والورود الجميلة كثيرة في رسوم الأطفال التي خضعت للتحليل في هذا البحث .

وفي معظم الرسوم التي قرأنا فيها ما يشير إلى الحب لدى الطفل ، كانت توجد في الغالب وردة مع الشخص أو الأشخاص المرسومة ، سواء كان الشخص المرسوم بنتا أو ولدا ، أو حتى الاكتفاء برسم وردة ؛ فالوردة هي رمز الحب ، رسول الغرام ، وأحيانا يكتفي الطفل برسم وردة واحدة ، وفي أحيان أخرى يرسم باقة كاملة من الزهور .

وفي إحدى اللوحات (رسم رقم ٧) ، و"بخباثة" شديدة ، وللتمويه حتى لا يفضح مشاعره ويفصح عن أحاسيسه ، يدعي طفل أن ما رسمه ما هو إلا

---

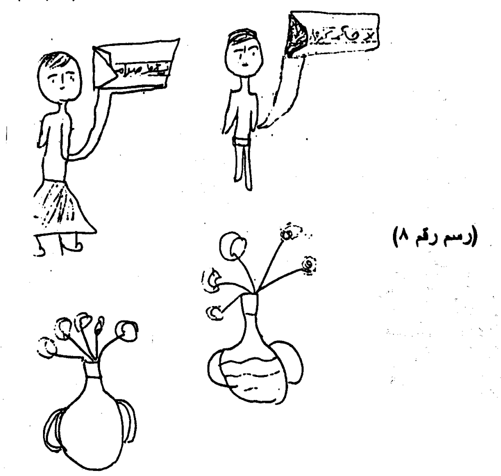
[1] نحيل القارئ هنا إلى كتابنا : رسوم الأطفال من منظور إعلامي للاستزادة .

مجرد "بطاقة بريدية" (عبر عنها في كلمة واحدة وهي "كارت") ، وقد جمـــع في هذا الكارت بين ولد وبنت وفي يد كل منهما وردة ، وبين الإثنين "فـــازة" مليئة بالزهور .



(رسم رقم ٧)

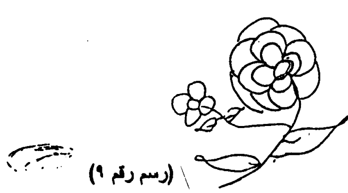
حتى عندما يرى "الفنان" في رسمه هنا ، علم الكويت في يد طفلـــة ، وقد كتب على هذا العلم *"يسقط صدام"* ، ومرسوم في الصورة نفســها طفــل آخر يرفع علم الكويت أيضا مكتوبا عليه *"لا حاكم غير جابر"* ، فقد رسم مــع الطفلين والعلمين إناءين للزهور وبكل منهما خمس وردات! (رسم رقم ٨) .



(رسم رقم ٨)

وفي رسم آخر (رسم رقم ٩) ، صور الطفل ولدا وبنتا مع وردة نبتــت من ساق وردة أكبر ، وقد أعطى الطفل عنوانا لهذا الرسم يعبر مــن خلالــه عن الحب ، إلا أنه حاول إخفاء هذا الإحساس بسرعة بإخفاء ما كتبه ؛ هــل لأن الحب من المحاذير والمصمتات ، "تابو" ؟ ربما . أم هل تــذكر الطفــل فجأة أنه عند الحرب ، لا وقت للحب" ؟ ربما أيضا ... ، ولن نصادر هنا أو نحجر على فكر القارئ عندما يفهم ــ كما يــرى ــ هــذا المنحــى للطفــل بالتفكير في الحب والتعبير عنه ثم فجأة ، يرفضه في اللحظة نفسها .

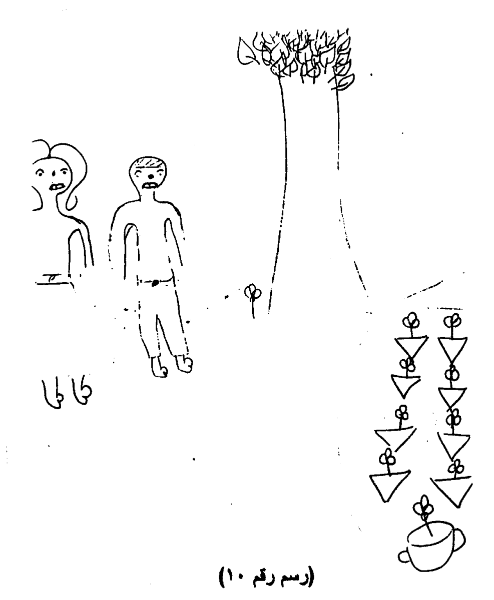




(رسم رقم ٩)

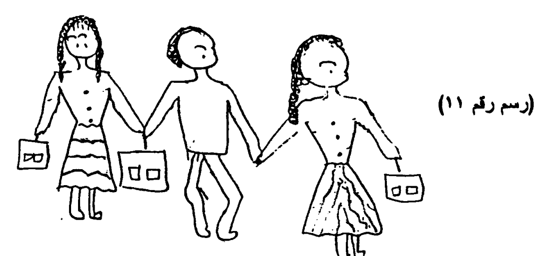
وينتزه اثنان آخران وحدهما فى حديقة ، إلا أننا نلمح خطوطا غير واضحة لشخص ثالث أمامهما (لم تظهر عند تصوير الرسم) ، هل تم مسحه من اللوحة وبقيت آثاره ؟ هل أصبح هذا الشخص الثالث وكأن لا وجود له ؟

وفي هذه الحديقة توجد أيضا شجرة سامقة تعلوها في رأسها أوراق نبتت مباشرة من جذع الشجرة حيث لا يوجد للشجرة أفرع ، وبالقرب من الشجرة نبتت زهرة واحدة ، والولد والبنت يتقدمان نحونا في مقدمة الصورة ويقتربان من حوض للزهور ، حيث نرى كل زهرة وقد زرعت وحدها في قصيص خاص بها. فهل يريد الفتى هنا أن يقول لنا إنه الوحيد الذي فاز بهذه الفتاة دون غيره ولن ترى أحدا سواه ؟ ربما . فالأنا منتشرة في هذا الرسم .



(رسم رقم ١٠)

والتطلع إلى مدرسة مختلطة ، وبحثا عن الجنس الآخر ، من الموضوعات الأخرى التي عبر عنها الطفل في العينة المدروسة . فبالرغم من أن جميع الأطفال في عينة هذا البحث من مدارس حكومية لا يطبق فيها الاختلاط ، إلا أننا نرى في لوحة من اللوحات المرسومة طفلا يمسك يد طفلة بيده اليمنى ، وأخرى على يساره وهو يمسك أيضا بيدها ، ثلاثة أطفال في الصورة وفي يد كل منهم حقيبة مدرسية ؛ فهل يبحث الطفل هنا عن النوع الآخر ويحلم به ولو في مدرسة مختلطة ؟ ربما . أم أنه في هذه اللوحة يصور واقعا يعيشه بالفعل باصطحاب شقيقتيه إلى المدرسة؟ جائز .



(رسم رقم ١١)

وفي رسم سابق ذكره (رسم رقم ١) ، شاهدنا فتى مقـداما وشـجاعا ، وهو يحمل حقيبة مدرسية في يد ، وفي اليد الأخرى يمسـك وردة ، ونـراه وهو يسرع في خطاه الثابتة ، ربما لكي يلحق بفتاته ، والتي لا نراها داخـل الكادر ، لكي يقدم لها الوردة التي تسبق خطاه ، فإن فتاته في مخيلته أمامـه ويجب أن يلحق بها والمهم أن تصلها الوردة ، والصب هنا تفضحه خطواته .



(رسم رقم ١٢)

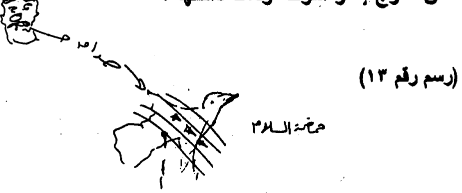
ــ وقد رأينا زهرتين تحملهما ســاقان مورقتــان وامتــزج الساقان معا وتداخلا ، أو هي ساق واحـدة ، وقـد نبتـت الزهرتان في تربـة واحـدة ومكان واحد ، بـل ونـرى أيضا يدين حانيتين ــ بـدون أن يظهر أي جزء آخر مــن جسم صاحبهما ــ وقد زرعا هــذا الحــب ، وهمــا الآن يحيطان بالزهرتين في عطف وحنان .

رابعا ـ حرب الخليج من وجهة نظر الأطفال المصريين

فيما يلي نتعرف على وجهات نظر الأطفال بخصوص حرب العراق الكويت من خلال تحليل رسوم العينة المدروسة ، حيث نجيب هنا على السؤال : كيف رأى الأطفال المصريون حرب الخليج ؟

١ ـ صدام يقتل السلام

في الرسوم التي قمنا بتحليلها هنا توجد لوحة تصور "صدام حسين" وهو يصوب علي "حمامة السلام" ، ونشاهد دما يتساقط منها ، ولكن نحن هنا شهود عيان نعيش هذا الاغتيال للبراءة والسلام ، لكننا شهود سلبيون حيث انفرد صدام وسلاحه بهذه الحمامة ، أما نحن ، فليس لنا وجود ، نحن خارج إطار اللوحة ولسنا داخلها .

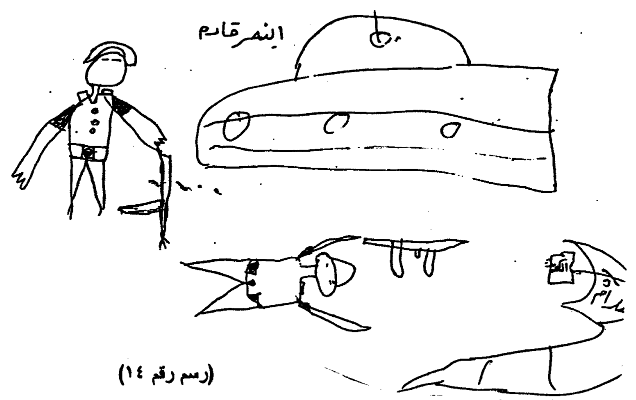


(رسم رقم ١٣)

٢ ـ العراق يهم بالتهام الكويت (رسم رقم ١٤)

امتلأت لوحة رسمها طفل بعديد من العناصر التي تتناول تلك الحرب وتوضح الموقف وذلك في ثلاث لقطات :

اللقطة الأولى ، وهي في أعلى الصورة ، لدبابة عليها علم يحمل باللغة العربية شهادة "لا اله إلا الله" . ونحن هنا نشعر بالمرارة التي يحسها الطفل ، كما شعرنا بالأسف ، ليس لأن الطفل مستاء مما يحدث ، ولكن لأنه رسم شعارا يترجم أمنيته وهو "النصر قادم" ونحن نعجز عن تحقيقه له .

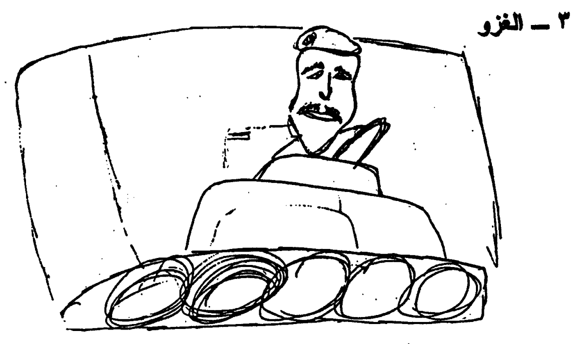


(رسم رقم ١٤)

اللقطة الثانية وهي على يمين قارئ الصورة ، رمـــز الطفـــل فيهـــا للعراق على أنها سمكة كبيرة (ربما يعني بها سمكة قرش) ، والفـــم مفتـــوح ومستعد لابتلاع الكويت لقمة سائغة يراها جاهزة لكي يلتهمهـــا "ســـندوتش" ، (Fast Food) ، إذا استخدمنا لغة العصر للأطفال والشباب .

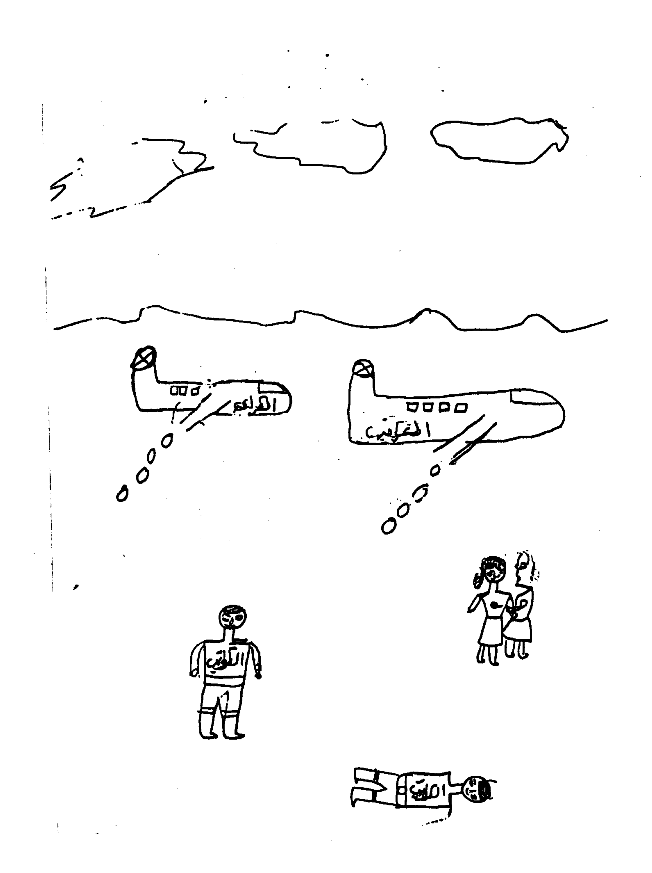
اللقطة الثالثة ، هي في يسار الصفحة وفي مقدمتها ، وهـــي لرســـم مُركب من جزئين : على اليسار رسم الطفل جنديا وفي يـــده ســـلاح آلـــي ، رشاش أو بندقية ، وبالقرب منه وفي مقدمة الصـــورة ، نرى جنـــديا ملقـــى على الأرض ، مع توضيح الطفل للاختلاف بين الجنديين مـــن حيـــث نـــوع التسليح وحجمه والهندام والجزء الأعلى من الزي العسكري ، فنحن نري في ذلك نوعا من ترجمة لموقف المعسكرين المشاركين في الحـــرب ، أحـــدهما منهزم وسلاحه بعيدا عن متناول يده ، والجندي الآخر مستعد إذا لزم الأمـــر للتعامل معه ، مرة أخرى ، بالسلاح الذي يحمله في يده إذا لزم الأمر .

٣ ـ الغزو



(رسم رقم ١٥)

تم إطلاق هـذا العنـوان علـي لوحـة جـذبت انتباهنـا ، وفيهـا نجد الطفل وقد رسم جنديا يقود دبابة مع رسم خطوط تدل علي طريق مرت به هذه الدبابة ، وذلك مع إحاطة الرسم بإطار نلمح فيه بصمات للتليفزيـون في شكل إطار الصورة المستطيل مع استدارة خفيفة ، بل هو فعلا التليفزيون والذي تكتمل صورته في هذا الرسم بدوائر أسفل الدبابة ، إنها مفاتيح تشغيل التليفزيون وإغلاقه ... ويطل علينا من هذه الشاشة الصغيرة شخص . هـل هو مذيع ؟ لا بل قائد دبابة ويتقدم بها تجاهنا . ولكن ، إذا نظرنا جيـدا إلـي وجه قائد الدبابة الموجود في هذه اللوحة التي رسمها الطفل ، سـنجد هنـاك شبها قويا بينه وبين وجه الرئيس صدام حسين . فهل هـذا يعنـي أن وجـه صدام يعد مصدر إلهام للطفل غرسته فيه وسائل الإعلام وخاصة التليفزيون؟ هل سوّق التليفزيون صورة صدام وباعها لنا ؟ أم هو مجرد نتيجـة لتـراكم المعلومات المقدمة ، خاصة أن صدام ظل لفترة طويلة المحـور الأساسـي الذي تدور حوله كافة الموضوعات في كل وسائل الإعلام وفي المناقشات في البيت والمدرسة والنادي والشارع بالنسبة للطفل المصري ؟ هـذا بالإضـافة الي خيبة الأمل التي سببها لنا جميعا بغزوه دولة الكويت الشقيقة ؟؟



(رسم رقم ١٦)

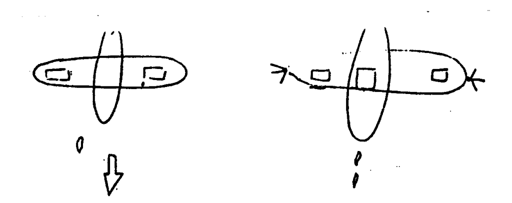
٤ ـ غارات جوية على الكويت

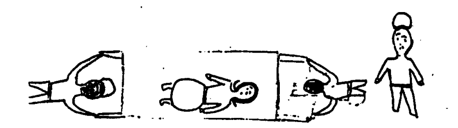
في لوحة أحد الأطفال ، وفي سماء تنتشـــر فيهـــا الغيـــوم ، نشـــاهد طائرتين في طلعة جوية يقصفان بالقنابل مـــدنيين عـــزّل مـــن أي أســـلحة . أصابت قذيفة من طائرة أحد المدنيين . ونلاحظ هنـــا أنـــه بـــالرغم مـــن أن الطائرتين من الطائرات العسكرية وذلك من خلال شكلهما ومعرفـــة المهمـــة التي تؤديها كل منهما ، إلا أنهما من طرازين مختلفين ، حيث عـــدد النوافـــذ يختلف بينهما . وقد حاول الطفل تحديد وتعريف هوية الطائرتين ولكن ذلـــك كان صعبا عليه ، لذلك كتب كلمة "العراق" علي كل واحدة من الطـــائرتين ، وكتب كلمة "الكويت" علي ملابس الرجلين ، إلا أن ذلك لم يمنعنا من ملاحظة أن الطفل كان قد كتب أولا كلمة الكويت علي الطائرتين ، كما كتـــب كلمـــة "العراق" علي ملابس كل من الرجلين قبل أن يمسح كل هذا و يبدل المواقع . فهل هذا يوضح أن غزو العراق للكويت قد أثر في هذا الطفل ؟ أم أن الطفل لا يفهم ما حـــدث ولا يعرف بالضبط من يضـــرب من ؟ من القاتـــل ومـــن المقتول ؟ أليس كل منهما في النار كما يخبرنا بذلك سيدنا وحبيبنـــا ورســـولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ؟ فلم التساؤل هنا ؟

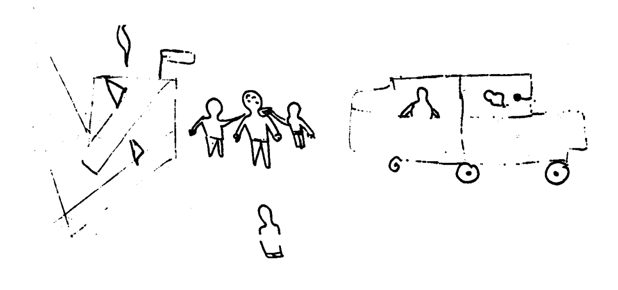
الحقيقة هي أن التفسيرين محتملان ، ولكن التفسير الثاني بالنسبة لنـــا هو الأصح ، ويؤيد ذلك وجود فتاتين صغيرتين في الرسم نفسه وكأنهما فـــي حوار ، إذ يبدو أنهما لا يفهمان ما يحدث حولهما ، مجـــرد لعبـــة ، ربمـــا . والطفل هنا لم يوضح هوية أي من الفتاتين .

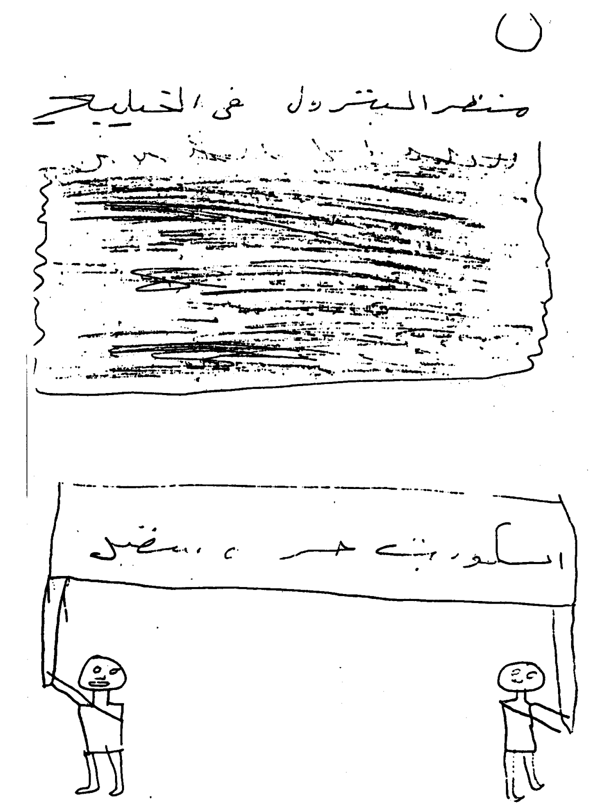
واستطاع الطفل في هذا الرسم نقل تصوره لأثر هذه الغارات ، وقد عبر عن هذا بالشخص الذي يرقد على الأرض وقد فقد ذراعا ، أما الأخرى فهي مصابة ، إذ إنه رسمها في شكل خط ، بينما رسم الذراع الأخرى

بصورة أوضح وكذلك عندما رسم الذراعين بالنسبة للأشخاص الثلاثة الأخرى التي في الصورة .   (رسم رقم ١٧)









(رسم رقم ١٨)

٥ ــ أسلحة متعددة ومتنوعة

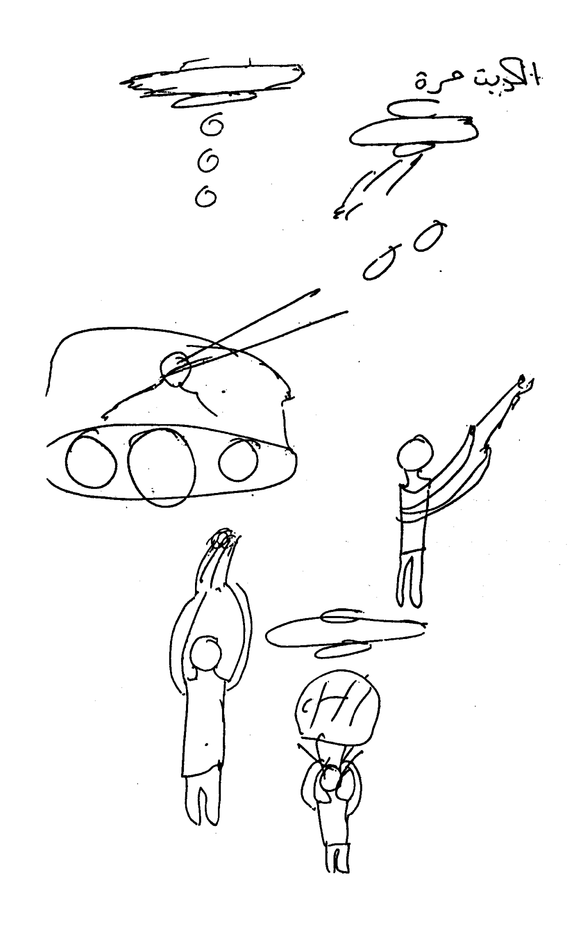
في عديد من الرسوم ، شاهدنا أسلحة مختلفة الأنواع ، وهي مفردات للحرب تعرّف عليها الطفل من وسائل الإعلام وبخاصة التليفزيون . وفي أحد رسوم هذه الفئة ، ميّز الطفل بين الطائرة المروحية قاذفة القنابل والطائرة التي تطلق صواريخ وتخلو من هذه التقنية الممثلة في المروحة .

وفي اللوحة نفسها ، يشير الطفل إلي أنه بالرغم من هذه الغارة الجوية ، وأثناء القصف المكثف للقنابل والذي تسبب في هدم بنايات قد تكون مستشفي أو مدرسة وحيث العلم موجود كرمز للمقاومة (على يسار من يقرأ الصورة) ، رغم كل هذا القصف العنيف ، إلا أن الحياة مستمرة من خلال وجود سيارة مستعدة لنقل أحد المصابين .

واللوحة نفسها ، تشير بوضوح إلي أن هذه الحرب لها آثار سيئة ، ليس على البنية الأساسية فقط ، وأن هدمها يتسبب في تشريد المواطنين ، إلا أنها أيضا حرب عمياء وغبية تستهدف أيضا الأطفال ، ولا تنجو الإناث من ويلاتها ، فالحرب تتأثر بها الفتيات هنا بشكل أكبر مما يتأثر بها الرجال .

٦ ــ آثار اقتصادية واجتماعية لهذه الحرب (رسم رقم ١٨)

في إحدى اللوحات ، نجد الطفل يرشدنا ويقودنا مباشرة إلي الآثار الاقتصادية والاجتماعية لهذه الحرب وخاصة بالنسبة للبترول ، حيث نجد منظرا لفقدان البترول وتلوث البيئة تحت عنوان "منظر البترول في الخليج" ، مع وجود شخصين في الصورة نفسها وهما تحت بقعة الزيت ، فالزيت ثروتهما التي تحميهما كما لو كانت سحابة صيف تحميهما من لهيب الشمس في أشهر الصيف ، والطفلان يحملان لافتة عليها شعار "الكويت حر مستقل".



(رسم رقم ١٩)

٧ ــ شعارات

رأينا في اللوحة السابقة وفي لوحات أخرى وجود شعار مع الرسم . ويجب الاعتراف هنا بأن الشعارات ، وعلم دولة الكويت بوجه خاص والــذي يوجد بكثرة فى رسوم الأطفال المدروسة ، يعد ترجمــة حقيقيــة لأحاســيس الطفل المصري تجاه تلك الحرب وهذا الاعتداء الغاشم .

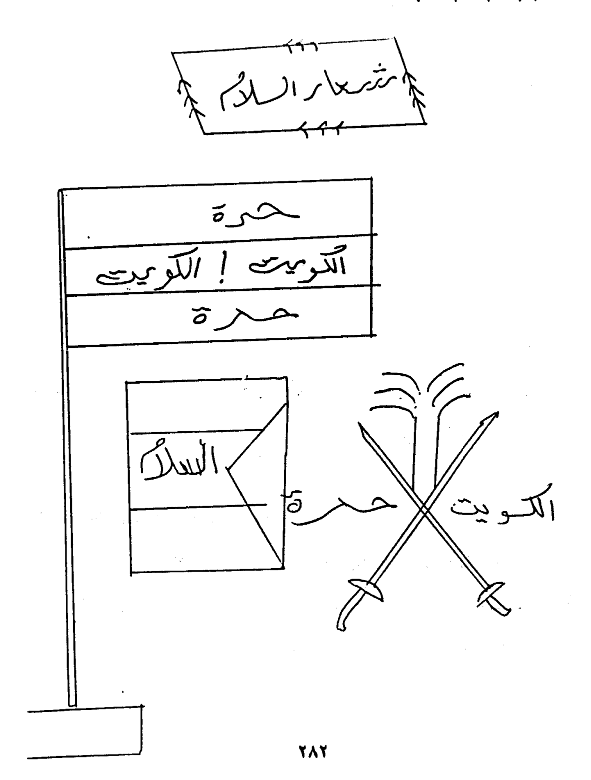
فقد لاحظنا في هذا البحث أن الطفل رسم لوحات جمــع فيهــا بــين الصورة والكلمات ، وأحيانا يكتفي بكتابة شعار يترجم أحاسيسه . ففي واحــد من الرسوم ، عبر الطفل عن وجهة نظره برسم فتاة تمسك بعلم فــي يــدها ، وهو علم الكويت ، مكتوب عليه "يسقط صدام" وشعار مكمل "لا حــاكم غيــر جابر" مكتوبا على علم آخر ، وللكويت أيضا ، يحمله فتى (رسم رقم ٨) .

والطفل المصري المدروس هنا شارك في الحرب أيضا ؛ فقد كان لديــه كلمة يقولها ، واختار معسكره وموقفه ، واحتفظ بأفكــاره داخــل رســمه . صحيح أن الطفل في العينة المدروسة لم يحمل مسدســا مرخصــا أو غيــر مرخص ، لكنه شارك في الحرب بالشجب والتنديد والانضمام إلــى معســكر الكويت ضد العراق وضد صدام . ولم لا ؟ ألسنا في حالة حرب ؟

٨ ــ الكويت حرة (رسم رقم ١٩)

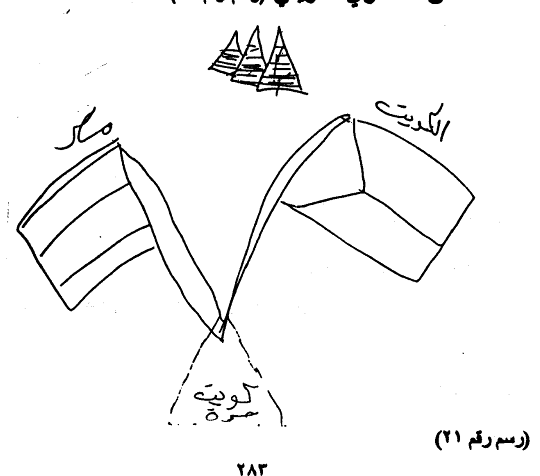
في إحدي الرسوم ، نرى صرخة لطفل ، وفي أعلي الصورة نــرى طائرات تلقي قنابلها حيث تحاول دبابة الرد عليها بتصويب مــدفعها ، أرض جو ، تجاهها ، بل ونشاهد في الرسم جنديا يصوب "مسدسه" تجاه الســماء ، ونرى آخر وكأنه يهبط ب"الباراشوت" ، وآخر كأنه يلهو ويده ما يشبه طــائرة ورقية . وفي رسم آخر استخدمت المسطرة بكثرة في تنفيذه ، وتحت عنــوان

"شعار السلام" المكتوب داخل مستطيل تم تجميله ، وفي الرسم يوجد علم بــه ثلاثة مستطيلات بالعرض (يشبه العلم المصري) مرفوع على صاري عــالي جدا ومثبت علي قاعدة صلبة مصمتة (من الأسمنت أو من المعــدن ربمــا) . وقد كتب الطفل ثلاث رسائل كل واحدة منها على شريحة من الشرائح الثلاث لهذا العلم (رسم رقم ٢٠) .



وفي الشريحة الوسطى من هذا العلم (رسم رقم ٢٠) ، كرر الطفل كتابة اسم "الكويت مرتين ، وبينهما وضع علامة تعجب . وفي الشريحة العليا كتب كلمة "حرة" ، وكررها في الشريحة الثالثة . ونرى في الصورة علما آخر ، وهو هنا علم الكويت ولكنه بدون حامل ومكتوب عليه كلمة "السلام". وفي اليمين يوجد سيفان متقاطعان (رمزا للقوة والشهامة) وبين نصليهما توجد نخلة (رمزا للحياة في الصحراء) مع شعار "الكويت حرة" . وهكذا ، نرى الطفل المصري هنا يتبنى موقف شقيقه الكويتي ، ويذكر السلام مرة واحدة ، ومرة أخرى في الشعار الذي يأخذ مكان عنوان للرسم ، ويذكر كلمة الكويت ثلاث مرات وكذلك كلمة حرة فإنها تكررت ثلاث مرات في هذا الرسم !!

٩- التضامن المصري الكويتي (رسم رقم ٢١)



(رسم رقم ٢١)

ظهرت في رسوم الأطفال المصريين وجهة النظر المصرية الرسمية والشعبية المساندة للكويت ضد الغزو العراقي دون أن نرى عكس ذلك أبدا. ففي إحدي اللوحات ، رسم أحد الأطفال العلم المصري والكويتي معا مشكلان حرف"V"، علامة النصر، وذلك في منتصف كومة رمل، تبة، علـى هيئـة هرم (من الأسمنت) يحمل شعار " كويت حرة" ، وتظهر في الخلفية في أعلى الصورة أهرامات الجيزة الثلاثة متناغمة مع هذا الهرم الجديد ، هـرم رابـع في الصورة يرمز للكويت اكتشفه الطفل ، ونعتقد أن هذا الهرم الرابـع لـه دلالة لدى هذا الطفل الذي قد يكون ممن عاشوا في الكويت فترة ...

١٠ ـ تأثير التليفزيون

ذكرنا فيما سبق كيف تأثرت مخيلة الطفل بما يشاهده علـى شاشـة التليفزيون بالنسبة للفن المعماري ، وذلك عندما يرسم الطفـل المنـزل ولـه سقف هرمي "جمالوني" لا يوجد شبيهه بكثرة في مصر (رسم رقم ٤) . وكيف أن الطفل لا ينسى جهاز التليفزيون عندما يرسم غرفته (رسم رقـم ٥) ، بـل ورأيناه في رسم منها يركز فقط على جهاز التليفزيون ويعـرض لنـا دبابـة قائدها يشبه الرئيس صدام ظهرت على هذه الشاشة (رسم رقم ١٥) .

وفى إحدى اللوحـات ، وبـدون تجاهـل دور الوسـائل الأخـرى وخصوصا الملصقات وغيرها من الوسائل المطبوعـة والإليكترونيـة التـي شاركت في حملة تنظيم الأسرة ، نرى أيضا تأثيرا للتليفزيون (رسم رقـم ٢٢) تحت عنوان "أسرة صغيرة أفضل" .

وفي هذا الرسم ، يرفع الطفل شعار الحملة "أسرة صغيرة أفضل من أسرة كبيرة" . والأسرة الصغيرة من وجهة نظر الطفل صاحب هذه اللوحـة

تتكون من الأب والأم وبنت واحدة وولد واحد . أما الأسرة الكبيرة ، فقد عبر عنها الطفل نفسه بأنه إلى جانب الأب والأم ، فإن لهذه الأسرة ولدان وبنتان "يفرقون بين الأب والأم" ، والأم هنا أكثر بعدا عن أبنائها من الأب ، وحيث الولدان إلى جوار الأم والبنتان بجوار الأب ! ولم يكتف صاحب هذا الرسم بهذا ، بل رسم طفلا خامسا صغيرا تحمله الأم على كتفها ، وكأن الطفل صاحب هذا الرسم يريد أن يقول لنا إن هذه الأم مثقلة بأعباء هذه الأسرة الكبيرة لدرجة أن ما تحمله من "أعباء" على عاتقها يبعدها عن أفراد أسرتها، مقارنة بوضع المرأة في الأسرة الصغيرة ، والتي يتداخل ما ترتديه من ملابس مع ما ترتديه ابنتها التي يختفي جزء من ردائها خلف أمها ، بينما الإبن لا يظهر ملتصقا بالأب ، بل هو بعيد عنه ، فهو أكثر استقلالية عن البنت في هذه الصورة كما في الحياة بالنسبة للأسرة المصرية ...

(رسم رقم ٢٢)



وفي لوحة أخرى يراها القارئ على الغلاف الأخير لهذا الكتاب بالحجم نفسه الذي رسمها به الطفل وحدها على صفحة لورقة "فولسكاب" ، نرى فتاة ترتدي رداء مصمم من ثلاث شرائح طولية ، شريحة منها باللون الأحمر وأخرى في الوسط باللون الأبيض وثالثة باللون الأسود ، وكأنه علم مصر . بل حتى الساقين ، فقد لون الطفل ساقا منهما باللون الأحمر أسفل الشريحة التي باللون الأحمر للرداء ، والساق الأخرى التي تحت الشريحة السوداء لوّنها الطفل باللون الأسود ؛ فهل المقصود بذلك جوربا ترتديه الفتاة؟ ربما ، وربما أيضا نحن أمام حذاء من النوع الذي يصل حتى تحت الركبة ، "بوت"، أو أن الطفل يريد أن يقول لنا إن "الدم أصبح للركب" كما يقال في الأمثال . أما بالنسبة للكمين فقد تم تلوينهما معا باللون الأسود .

إلا أن علم جمهورية مصر العربية ، كما نعرف ، والذي هو فعلا من ثلاث شرائح بالألوان الثلاثة المذكورة هنا ، لا توجد في وسط الجزء الأبيض منه نجوم ، بل يوجد طائر هو حاليا نسر صلاح الدين[1] ويتجه وجهه إلى اليمين . ولكن هذا الرداء الذي "في شكل علم" به ثلاثة أزرار ، قد تكون ثلاثة نجوم . فهل يقصد الطفل بهذا الرداء العلم العراقي ولم ينتبه إلى الكلمتين الموجودتين بين النجوم الثلاثة "الله أكبر" فيكتبهما ؟ أليس هذا دلالة على تقدير خاص من الطفل بهذه الدولة الشقيقة التي قيل إنها "تسترنا" ؟ ألا يدخل هذا أيضا تحت بند "الغرس الثقافي" لوسائل الإعلام التي روجت أن العراق هو البوابة الشرقية للدول العربية وأمدتها بالسلاح في حربها ضد إيران ؟ أليس هو السلاح الذي استخده ضد الكويت ؟

---

[1] كان في بداية الأمر نسر صلاح الدين (جناحاه مضمومان) وذلك في عهد الرئيس جمال عبد الناصر ، ثم تغير إلى صقر قريش (جناحاه منتشران) في عهد الرئيس السادات ، ثم عودة إلى نسر صلاح الدين بجناحيه المضمومين حاليا وبعد سنتين تقريبا من بداية حكم الرئيس مبارك .

خاتمة

موضوع تأثير التليفزيون علي الأطفال ، كان محورا للبحث من قبل عديد من الباحثين العرب والأجانب ، ومن تخصصات مختلفة ، علماء نفس واجتماع وتربية وإعلام ...

وإبان حرب الخليج ، أجرينا بحثنا هذا علي ٦٠٣ أطفال ، ذكور وإناث ، من سن ١١ إلي ١٤ عاما ، يمثلون أطفال المدينة وأطفال القرية ، وذلك بهدف الكشف عن مدي ظهور هذه الحرب أو غيابها في رسوم الأطفال العفوية والتلقائية .

ومن خلال تحليل رسوم الأطفال ، ظهر في هذا البحث تأثير لوسائل الإعلام ، وبخاصة التليفزيون ، على الطفل . وتأكدنا في هذا البحث من وجود فرق واضح بين أطفال المدينة ، والذين هم على علاقة منذ فترة طويلة بالتليفزيون وكذلك بالنسبة لأفلام السينما ، والذين ينظرون إلى المعارك الحربية وكأنها لعبة "أتاري" ، وبين أطفال القرى الذين هم أكثر انزعاجا وغضبا من أشقائهم في المدن ، بخصوص ما يرونه على شاشة التليفزيون من معارك ، ويأخذون الصراع بجدية ، بل ويربطونه بالقومية العربية وبالهوية المصرية ...

بإيجاز شديد نستطيع القول بأن نتائج هذه الدراسة أكدت الفرضية بأن المعلومات التي قدمها التليفزيون والمتعلقة بأزمة الخليج [1] ، كان لها تأثيرها علي الطفل المصري ، كما أنها لعبت دورا في التشكيل السياسي للطفل ، وذلك بالنسبة لصورة العراق ورموزه والكويت أيضا .

---

[1] والذي أصبح متاحا للعالم كله ، فقد أصبح التليفزيون في المدينة والقرية علي السواء ، إلا من دولة واحدة على حد علمنا ، جزر القمر . فقد أصبح التليفزيون في المدينة والقرية علي السواء

فطفل القرية ، والذي عاش طويلا في منأى عن الصراع الخارجي ، يتعرض الآن لمضمون وسائل الإعلام الإليكترونية وخاصة التليفزيون ، و"ع الهوا" مباشرة عبر الأقمار الصناعية.

وقد شغلت تلك الحرب التليفزيونية تفكير الطفل الريفي عن طفل المدينة ، علي اعتبار أن هذا الأخير قد اتخذ قراره مع أسرته أو مع مدرسته؛ فطفل المدينة يري أنه يجب أن يهتم ببلده أكثر (٢٤,٥% مقابل ٢% فقط لطفل الريف) لكنه ينشد السلام (٧,٣ مقابل ٥,٣% لطفل القرية) ، فهو يبحث عن السلام الداخلي لديه في بيته وداخل أسرته ، وهذا يشير بدرجة ما إلى أن طفل المدينة يشعر أنه مهدد وقد فقد الأمان . أما طفل القرية فهو يبحث عن المأوي ، يصرخ وينادي بالوحدة العربية (٥% مقابل ٠,٣% من جانب طفل المدينة) ، ويطالب بالتضامن (٣% مقابل ١,٣% لطفل المدينة) .

ولكن إذا كان طفل المدينة في عينتنا قد شعر جيدا بالحرب (٧%) ، إلا انه يؤمن أيضا بالسلام (٧,٣%) ، بينما بالنسبة لطفل القرية نار الحرب (١٥%) أكثر وضوحا بالنسبة له عن أحاسيس السلام لديه (٥,٣%) .

ولا يجب علينا هنا إنكار أن المستوي الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لطفل القرية متوسط ، بل ومنخفض ، مقارنة بطفل المدينة ، وذلك يؤيد جيدا النتائج التي خرجت بها الدراسة السابقة والتي تشير إلي أن " أطفال الوسط الاجتماعي الاقتصادي المنخفض يؤمنون بما يشاهدون علي التليفزيون ويعتبرونه الواقع . فالطفل – كما الإنسان البالغ – لديه ثقة فيما يقدمه التليفزيون مما يؤكد مصداقية هذه الوسيلة لدى الطفل . هذه النتيجة تحتم على المسئولين عن هذا الجهاز الانتباه لكل ما يقدم على شاشة التليفزيون حتى لا يفقد مصداقيته لدى جمهور عريض من الأطفال ، ومعظمه يعتمد

على التليفزيون للحصول على مفرداته بالنسبة لمجالات متعددة ، ويعتمـــدون عليه ، وعليه وحده ، بالنسبة لكثير من الأطفال ، في تكوين اتجاهات تشـــكل وجدانهم .

مناقشة

شجعنا نقل حرب الخليج دقيقة بدقيقة بالأقمار الصناعية مـــن خـــلال مصدر واحد وهو CNN ، أن نطرح فرضا مفاده أن نتائج هـــذه الدراســـة ، والتي تتعلق برؤية الأطفال لهذه الحرب وتأثرهم بما يقدمه التليفزيـــون مـــن وجهة نظر محددة تجاه هذه الحرب تتواءم ووجهة نظر الدولة وتتفق معها، أنه يمكن الحصول على نتائج مشابهة في حالة تطبيق هذا البحـــث فـــي دول أخرى ، وخصوصا لو اشتركت هذه الدولة أو تلك معنا في مقومـــات ثقافيـــة متقاربة ، بل وحتى المقومات الجغرافية التي تتعلق بالقرب أو البعد من بؤرة الأحداث يمكن أن تكون من العوامل التي يراعى الأخذ بها فـــي الحســـبان . فالصور النمطية التى جمعناها هنا عن الكويت ، وعن العراق ورموزه ، لـــم يكن لها إلا مصدر واحد ، وجهة نظر واحدة ، لكل المعلومات المتعلقة بتلـــك الحرب .

وتأثير هذا المضمون الإليكتروني علـــى مخيلـــة الطفـــل ، وعلـــى أحاسيسه ، وبالتالي على آراء هذا الطفل واتجاهاته ، والتي يمكن أن يكـــون لها تأثيرها في اتخاذ موقف محدد من الأحداث ، يتسبب في رد فعـــل نعتبـــر أنه غير مرغوب فيه ، وخصوصا عندما يترجم الأطفال هذه الحـــرب وهـــم يلعبون ؛ فبدلا من أن يلعب الأطفال "عسكر وحرامية" رأينا أطفـــالا يلعبـــون "صدام والكويت"، وسمعناهم يتكلمون عن البنادق ، والدبابات ، والمعارك ...

مستخدمين فى أثناء لعبهم قاموسا ومفردات من تلك التي تستخدم في الحروب ، وهو تأثير ينسب بوجه خاص للتليفزيون .

هذه الحرب التليفزيونية التي خلطت الحقيقة بالخيال ، كانت أهم ما صوّره خيال ١١% فقط من العينة محل الدراسة ، ونعني بذلك الانفعالات المباشرة التي لها علاقة بالحرب ، مع استبعاد الحالات التي صنفت في هذا البحث في فئة "الوطن" وهي بنسبة ٢٤,٥% ، وتلك التي اهتمت بالسلام وهي بنسبة ٦,٥% .

وقد جعلتنا هذه النتائج نفكر فيما أسف له "أبراهام مولز" بأن الحرب التي يكتوي بها الآخرون ليست بالنسبة لنا سوى مجرد نوع من أنواع التسلية "فرجة" ؟ ولكننا نسأل مولز : حتى لو كان هذا الآخر ، هو الشقيق يا مولز؟

دعونا أولا نحكي ما دار بيني وبين ابنتي ، ونشرناه في جريدة الحقيقة في عددها الصادر يوم ١١ فبراير عام ١٩٩١م بعنوان "يوميات الحرب والمعركة" ، والذي ما زلنا نبحث له عن تفسير حتى الآن .

فقد سألتنا ابنتنا التى تبلغ من العمر ١٥ عاما فى اليوم التالى لبداية المعارك لتحرير الكويت ، وفور عودتي من القرية ، بعد أن سمعنا بخبر اندلاعها (حيث جاءني من يقول بأن صدام قد قتل ! أمنية تصورها رجل يعيش في قرية مصرية وأحس أن صدام يهدد المنطقة ، وأنه قد آن الأوان لوضع حد لكل ما يحدث بأن يُقتل صدام ، ولو في الخيال ، لكي نشعر بالأمان) .

ـ *أمي هل شاهدت الحرب ؟*

(نعم ، إنها الحرب بشحمها ولحمها ودمائها)

الإجابة كانت : لا

– إنها مثل الألعاب الإليكترونية ، إنها "أتاري"

يا إلهي ! هل تأثير التليفزيون وصل إلى أن أصبحت الحقيقة خيالا ؟

وهل هذا بالنسبة لكل الوسائل الإليكترونية ؟

هل هذه الوسائل في إمكانها التأثير فعلا في جعل الحقيقة خيالا ؟

وهل في إمكانها جعل الخيال حقيقة ؟

ونحيل القارئ هنا إلى ما ذكرناه في كتابنا الذي بعنوان الدش والإنترنت في إطار علم الاجتماع الإعلامي بالنسبة لبعض برامج قدم فيها خيال علمي ، وتصور بعض المشاهدين لها في فرنسا أنها حقيقة ، بالرغم من التنويه والتنبيه المستمر في أثناء تقديم البرنامج بأنها مجرد خيال !! ، وكذلك تأثير غير مرغوب فيه لفيلم اليوم التالي عند عرضه في أمريكا ...

وبعيدا عن الآثار السياسية بسبب الضجة الإعلامية التي سبقت عرض فيلم "آلام المسيح" الذي بدأ عرضه في صالات السينما في أمريكا في الخامس والعشرين من فبراير عام ٢٠٠٤م ، واتهم مخرج هذا الفيلم والمشارك في إنتاجه "ميل جيبسون" (Mel GIBSON) بالعداء للسامية ...

ونتساءل هنا ، ألم تكن تلك الضجة الإعلامية واتهام جيبسون بالعداء للسامية نوعا من أنواع الدعاية لكي يسمح بعرض هذا الفيلم في مصر ، بلد الأزهر ، خصوصا وفي الفيلم تجسيد لشخص السيد المسيح وأمه السيدة مارية عليهما أزكى السلام ، السيدة الوحيدة التي ذكر اسمها في القرآن الكريم ، ورسول كريم هو كلمة الله سبحانه وتعالى ؟ ألم يكن الاتهام الذي قالوا إنه وجه لجيبسون نوعا من الدعاية ؟؟

"ما علينا" ، نتكلم أحسن عن تأثير وسائل الإعلام .

ونشير إلى تأثير نسب لهذا الفيلم ، فيلم آلام المسيح ...

ولمعرفة التأثير الذي يمكن أن ينسب لوسائل الإعلام نحيل القــارئ هنا إلى ما يقال بالنسبة لحالات الأزمات القلبية التي سجلتها المستشفيات فــي الولايات المتحدة عندما عرض هذا الفيلم ، والتي نسبوها لمشاهدته ...

والأمثلة عديدة ...

والتليفزيون والذي هو وسيلة للترفيه بالدرجة الأولى ؛ فهل يؤثر نقله للمعارك على تصور أن ما يقدمه يدخل تحت مفهــوم الترفيــه ؟ خصوصــا والحروب تدار حاليا إليكترونيا ، من خــلال لمســة إصــبع علــى زرار ، وأصبحنا نسمع مفردات جديدة ــ فيما يتداول حاليــا بالنســبة للاعتــداءات الأمريكية على العراق الشقيق ــ ولم نكن نسمع عنها من قبل مثل "المــوت بنيران أو أسلحة صديقة" ، بدلا من الحرب وجها لوجه ، جنــدي يحــارب عدوا شاخصا أمامه مستخدما لذلك سيفا أو حتى بندقية . حقيقي كنــا نســمع عن أن "من الحب ما قتل" ، و"الدبة قتلت صاحبها" ، لكننا هنا أمام قتل مــن نوع آخر ، القتل عن بعد ، القتل الهامس ، القتل بنعومة ، القتل القتل القتــل ... ، كلمة دخلت قاموس الأطفال والكبار ولن تمحــى مــن الــذاكرة ... ، والبركة في وسائل الإعلام ، في التليفزيون ...

وفي أثناء حرب تحرير الكويت عرف الطفــل أســماء الصــواريخ وأسماء لصواريخ أخرى مضادة له . فقد رأى الطفل على الشاشة الصــغيرة وهو فى غرفة نومه ، ربمــا ، صــواريخ "بــاتريوت" (Patriot) تعتــرض صواريخ "سكود" (Scud) وهي فى السماء في شكل نقط إلكترونية . وســمع الطفل لأول مرة كلاما عن حرب بيولوجية وأخرى كيمائيــة ، ورأى علــى الشاشة الصغيرة الكمامات الواقية (ماسكات) من استنشاق غازات سامة وتم توزيعها على الإسرائيليين لاحتمال نشوب حرب ضدهم تستخدم فيها الغازات

ولم يسمع بوجود كمامات ستوزع علينا في مصر فقد يصلنا غبار الحرب الكيماوية . كذلك رأى الطفل قوات التحالف التي تشكلت من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا ودول أخرى ــ ومنها بلده مصر ــ وهي تحارب دولة عربية غزت أراضي دولة شقيقة ...

أين فرانكشتاين من كل هذا ؟

بل بعد إلقاء القبض على صدام ، أنتجت مصانع أمريكية دمية لها لحية تشبه الرئيس صدام ، ويمكن أن يحملها الطفل إلى غرفة نومه فتشاركه فراشه ، و"يقبض" عليها بين ذراعيه !! هل هذا حبا في عيون صدام ولحيته أم كراهية له ؟ لماذا تبيع لنا الدعاية الأمريكية صدام ؟!

هكذا يعيش الطفل أفكارا وإيديولوجيات متضاربة ومتضادة ، تحت تأثير التعرض لقيم وسلوكيات متباينة .

كما أن الطفل هنا عاصر التناقضات والمواقف المختلفة لدى من هم أكبر منه ، وهم الذين يمثلون له القدوة وقادة الراى ، وفى فترة زمنية قصيرة جدا ، تغيرت اتجاهاتهم فجأة ١٨٠ درجة بخصوص صدام ، وبقيت كل هذه الأحداث طويلا الموضوع الرئيسي للحوار بين الأصدقاء ، في الشارع وفي العمل وفى البيت ...

والتليفزيون ، دون إنكار دور وسائل الإعلام الأخرى ، لعب دورا مهما فى مصر خلال حرب الخليج ، خصوصا فيما يتعلق بالتنشئة السياسية للطفل ؛ فقد ساعده وهو طفل على معرفة المعسكر الذي ينتمي إليه بلده ، وعلى تكوين شخصيته الوطنية . ألم نسمع عن طفلة في المرحلة الإعدادية تخرج من بيتها ومعها كل ما كان في حصالتها المتواضعة ، وتستقل القطار لتذهب إلى فلسطين لكي تشارك مع أشقائها هناك في تحرير الوطن السليب؟

ولكن يجب الاعتراف هنا بأن الأسرة والمدرسة إلى جانب وسائل الإعلام ، تساعد أيضا في تشكيل وتحديد هوية الطفل ، ومدى انتمائه لسلطة بلده ، مما يوفر مناخا سياسيا مستقرا .

وإذا كنا نؤكد أن تطور الطفل يتطلب الاهتمام بثلاثة جوانب : الجانب البيولوجي ، والجانب النفسي ، والجانب الاجتماعي ، يمكننا هنا القول بأن التليفزيون دفع بالطفل وأدخله ، بل إنه حشره حشرا وزج به ، في عالم الكبار الملوث والمليء بالعنف في شتى أشكاله ، عنف لفظي وعنف بدني ، كذب وسرقة واغتصاب وخيانة ... ؛ فقد سمعنا طفلة لا يزيد عمرها عن ست سنوات تقول لوالديها بعد مشاهدة حلقة من مسلسل عربي على شاشة التليفزيون : "لا أريد أن أتزوج عندما أكبر حتى لا يخونني زوجي". فما بالنا والتليفزيون يعرض مشاهد الحرب على الطفل "ليل نهار" ، في كل نشراته وبرامجه الإخبارية وفي بعض برامج أخرى مما قد يكون له تأثيره على الطفل . هذا الطفل الذى ينفر من رؤية دماء حيوان أو طائر مما أحل الله لنا ذبحه لطعامنا ، والذى يبكى عندما يرى من يتعامل بقسوة مع قطة أو مع "حمار" . هذا الطفل رقيق الإحساس والممتلئ بالمشاعر السامية ، عندما يشعر أنه مهدد من قبل "قوى شريرة" ، لا يسعه عندئذ إلا أن ينغمس فى هذه الحرب دون تردد .

ومن غرائب ما سمعناه بخصوص هذا "الهوس" من الكبار بالاندفاع إلى حروب ، لأسباب ملفقة ــ كما "عشنا وشفنا" في"مسلسل" الاعتداء العراقي على الكويت ــ أن شبكة CNN استطلعت رأي الأمريكان فيما إذا كانوا يرغبون في مشاهدة حرب الخليج "ع الهوا" مباشرة !

وقد حدث .

ونتساءل هنا إذا كانت هذه الشبكة التليفزيونية قد وجهت السؤال نفسه للأطفال ، وماذا كانت النتيجة ؟

ونتوقع أن الإجابة هي نعم .

والدليل على تشوق الأطفال لمشاهدة الحرب على شاشة التليفزيون ، و"ع الهوا" ، سؤال سمعناه من طفلة مسلمة عمرها سبع سنوات بعد مشاهدة نشرة أخبار نقلت للجميع — بما فيهم الأطفال — نقلت لهم مشاهد من المجازر في البوسنة والهيرسك ، فسألت :

— ولكن ، أين الأطفال القتلى والجرحى في كل ما يحدث ؟

بل ويمكن "تسلية" هذه الطفلة حاليا ، بأن تشاهد جريحا بل وقتيلا ، قتيلا واحدا أو أكثر وعشرات على شاشة التليفزيون ، مسألة عادة ...

لم يعد الطفل يخاف أو يخشى كلمة "حرب" .

الحرب يعيشها الطفل .

ويعيش هذه الحرب على شاشة التليفزيون في غرفته .

الطفل يمارس الحرب ويدخل في معارك مشاركا فيها ، و"البركة" في الألعاب الإليكترونية ، ومسدسات ورشاشات ... لعب ، نهديها للطفل بمناسبة وغير مناسبة .

فالأسلحة في متناول يده ، منتشرة في كل ركن من غرفته في صورة هذه اللعب ، على مخدة السرير بجوار رأسه ملامسة لخده ، وعلى المكتب ، بل وعلى كتابه وبين صفحاته ، وفي دولاب ملابسه ...

تجارة رابحة لمنتج لا يقل خطورة عن تجارة الأسلحة الحقيقية .

آباء وأمهات يشترون هذه النماذج المقلدة للأسلحة ويقدمونها للطفل بسعادة دون أن ينتبهوا لخطورة ما يفعلون .

ألا يذكرنا هذا بجريمة الزمالك التي روّعتنا عندما استخدم رجل عدة أسلحة لقتل زوجته وصديق له وزوجته وقد جاء بهم قدرهم إلى منزله لكـي يقتلوا ثم أنهى هذا الرجل حياته بيده بسلاح من تلك التي اسـتخدمها لقتـل الثلاثة الذين كانوا معه ؟

إنها ضغطة على الزناد وينتهي كل شيء .

وكنا نتصور أن ظهور شبكات أخرى متخصصة في مجال الأخبـار غير CNN يمكنها أن تضع حدا للتركيز على نقل صور الحرب على شاشـة التليفزيون ، ولكن يبدو أننا كنا نحلم !

كل هذه القنوات ، سواء القنوات العربية منهـا أو الأجنبيـة ، تبـث المعارك الحقيقية "ع الهوا" مباشرة . إنه "رييل تليفزيون" (Reel Television) شعاره "بحق وحقيقي" ... ، الحب "بحق وحقيقي" ، والحـرب أيضـا "بحـق وحقيقي" ، بل وأكثر من الحب الذي قد يكون مزيفا !!

لقد أصبح بث المعارك واقعا ومن المسلم تقديمها على كافة شاشـات التليفزيون في دول العالم .

ألا يجعلنا هذا نقول "يا بخت أهل جزر القمر" !؟ والتي لـم يـدخلها التليفزيون حتى هذه اللحظة . ربما بعض أبناء جزر القمر يستقبلون بـرامج تبث من دول ، بل ومن قارات أخرى ، وتصلهم عبر الأقمار الصناعية . أي أن جزر القمر من بين دول قليلة دخلت مباشرة عصر الأقمار الصناعية دون المرور بالتطور الطبيعي لهذه التقنية الحديثة نسـبيا ، التليفزيـون الأبـيض والأسود أولا ، فالتليفزيون الملون . هذه الدولة الأفريقية ، التي يقـال عنهـا إنها جنة الله في الأرض ، تفكر جديا في الآونة الحالية في ألا "تتخلف" عـن بقية الركب وأن تلحق بدول العالم التي دخلها التليفزيون ، في الوقـت الـذي

بعض علماء في دول متقدمة كانوا ينادون بأن يوقف التليفزيون إرساله ولو ليوم واحد كل أسبوع ، وذلك قبل أن يصبح الإرسال التليفزيوني على مدار الساعة ، ٢٤ ساعة متصلة في اليوم بالنسبة لعديد من تليفزيونات العالم . وحتى ، في حالة رغبة بعض الدول في الحد من عدد ساعات البث التليفزيوني فإن الإرسال التليفزيوني لدولة حدودية متاخمة لها حتى لو كانت عدوة ، أو لدولة تستعين بالأقمار الصناعية ولو كانت بعيدة عنها جغرافيا أو ثقافيا أو سياسيا ... ، كل هذا يمكن أن يصل دون تحكم إلى مواطني الدول التي يهمها الجوانب التنظيمية للبث التليفزيون ، وتسن قوانين ، وكلها "حبر على ورق" . فالأعراف الدولية انتهكت . واغتصبت الحقوق . لقد تباكت أمريكا ساخطة على عرض قناة الجزيرة لبعض الأسرى الأمريكان وهم معززين مكرمين يحتسون الشاي ، ويقولون إن هذا يعد خرقا لبنود معاهدة جنيف بخصوص معاملة الأسرى . ثم ... نرى أمريكا تعرض صورا يقولون إنها لصدام الذي تم القبض عليه وهو في أسوأ حالة يمكن تخيلها لإنسان وقع في الأسر ، صوروه كما الذبيحة ملقى على الأرض ووجهه في التراب . ثم ، يدعي هؤلاء أنهم يحترمون حقوق الإنسان ، عن أي حقوق للإنسان يتحدثون ؟

ونتساءل هنا ، هل موضوع بث مشاهد الحرب والقتلى والجرحى على الشاشة الصغيرة مجرد موضة ؟ هوجة ؟

يعني ، "م الآخر كده" ، هل يمكن أن تختفي ؟

ممكن جدا . ولكن بعد أن نعيش كارثة ، أي والله ، كارثة توقظنا من غفلتنا وتهزنا بعنف كما الزلزال . نجاح أمريكا في الاعتداء على العراق والعالم يتفرج وهو شبه منوم لا يدرك عواقب ذلك يقودنا إلى هذه الكارثة .

إنها الأسلحة التي هي كما اللعبة في أيدي مهووسين . أشعلوا الحــرب ولــم تنطفئ بعد في بقاع كثيرة لا ناقة لأهلها ولا جمل في الأسباب المفتعلة لهــذه الحروب .

الحرب النووية لا تتطلب سوى ضغطة إصبع من مجنون ، وما أكثر المجانين في هذا العالم ...

تبلدت مشاعرنا بسبب مشاهدة الحروب على شاشة التليفزيــون دون أن نصرخ أو نغلق الأجهزة ، بل وندقق لمعرفة أدق التفاصيل .

نتابع مشاهد التعذيب دون أن تطرف لنا عين .

ولكن هذه النوعية من البرامج التي تعرض الحرب ، تخضع عمليــة مشاهدة الأطفال لها لعوامل كثيرة ، خصوصا إذا تــذكرنا أن مشــاهدة هــذه البرامج تحدث غالبا فى مناخ جماعي والطفل مع ذويه ، أو مــع آخــرين ، وينبغي عدم إغفال مضمون البرامج التي يمكن أن تفجر موضوعات للحــوار تصبح محورا المناقشات بين أفراد الأسرة .

كذلك لايمكن إغفال تناغم هذا المضمون أو حياديته بالنسبة للقيم التى اكتسبها الطفل قبل ذلك من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعيــة المختلفــة ، ومنها وســائل الإعلام الأخرى ، بشرط عــدم التقليــل مــن أهميــة دور التليفزيون : الوسيلة السحرية بكل جدارة وبلا منازع ، على الأقــل ، حتــى الآن ، وإلى أن يظهر جديد ...

أوز ميدوم

(نقلاعن ورقة بردي لفنان مصري)



من الجداريات لدى المصري القديم

ملاحق

- وثائق ومستندات
- خرائط
- صـور
- أحداث صنعت التاريخ : مقتطفات من الصحف
- الإنتاج العلمي للمؤلفة

بسم الله الرحمن الرحيم



الجمهورية العراقية

وزارة الاوقاف
والشؤون الدينية



٤١٦٢٢١٢ - ٤١٦٦٢٢٣

منهاج اعمال المؤتمر العام الثاني
للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية

المدة ٣ - ٧ جمادي الاخرة ١٤٠٩هـ

١٠ - ١٤ كانون الثاني ١٩٨٩م

الثلاثاء ١٩٨٩/١/١٠

الساعة ٩/٠٠ صباحاً - الحضور الى قاعة قصر المؤتمرات

الساعة ١٠/٠٠ صباحاً - جلسة الافتتاح

الساعة ١١/٠٠ صباحاً - قراءة جدول الاعمال ونظام الجلسات

الساعة ٣/٠٠ عصراً - الجلسة الاولى في فندق ميليا - منصور

الساعة ٥/٠٠ عصراً - استراحة

الساعة ٥/٣٠ عصراً - الجلسة الثانية في فندق ميليا - منصور

الاربعاء ١٩٨٩/١/١١

الساعة ٩/٣٠ صباحاً - الجلسة الثالثة في فندق ميليا - منصور

الساعة ١٠/٣٠ صباحاً - استراحة

الساعة ١٠/٤٥ صباحاً - الجلسة الرابعة في فندق ميليا - منصور

الساعة ٣/٠٠ عصراً - الجلسة الخامسة في فندق ميليا - منصور

الساعة ٥/٠٠ عصراً - استراحة

الساعة ٥/٣٠ عصراً - الجلسة السادسة في فندق ميليا - منصور

الخميس ١٩٨٩/١/١٢

الساعة ٩/٠٠ صباحاً - المغادرة لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف او الى سامراء (حسب الاختيار) والعودة الى بغداد مساء

الجمعة ١٩٨٩/١/١٣

الساعة ١٠/٠٠ صباحاً - جلسة الاختتام في فندق ميليا - منصور وقراءة القرارات والبيان الختامي

الساعة ١٢/٠٠ ظهراً - صلاة الجمعة في جامع الشهداء (ام الطبول)

الساعة ٤/٠٠ عصراً - جولة حرة في مدينة بغداد

السبت ١٩٨٩/١/١٤

الساعة ٩/٠٠ صباحاً - المغادرة الى مدينة الفاو البصرة الصامدة ثم زيارة مدينة الفاو المحررة

الساعة ١/٠٠ ظهراً - (الغداء)

الساعة ٢/٣٠ ظهراً - جولة حرة في مدينة البصرة

الساعة ٤/٠٠ عصراً - العودة الى بغداد

برنامج المؤتمر الثاني للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية



INTERNATIONAL COMMITTEE OF THE RED CROSS

Information Department
19, avenue de la Paix · CH-1202 GENEVA
Phone 34 60 01 · Telex 22 269 · Telefax (022) 34 82 80

PRESS RELEASE

Press release No 1600
24 January 1989

PRISONERS OF WAR REPATRIATED FROM IRAQ TO IRAN

Geneva (ICRC) - Two hundred and fifty-five Iranian prisoners of war were handed over by the authorities of the Republic of Iraq to delegates of the International Committee of the Red Cross (ICRC) in Baghdad on 23 and 24 January 1989 for repatriation to Iran.

The prisoners, all wounded, sick or elderly, left Baghdad for Tehran in two groups on board an aircraft chartered by the ICRC. They were accompanied by a doctor, two nurses and an ICRC delegate. The first group, repatriated on 23 January, comprised 131 prisoners, the second, on 24 January, 124. On their arrival the ICRC, acting as a neutral intermediary, handed them over to the authorities of the Islamic Republic of Iran.

ICRC delegates and doctors had visited the prisoners individually and without witnesses before their repatriation.

The operation was the result of a unilateral decision by the Iraqi government to release these prisoners; this decision was taken outside the framework of the November 1988 agreement on the release of wounded and sick prisoners of war.

The ICRC intends to pursue its efforts to bring about the repatriation at the earliest possible date of all prisoners of war interned in Iran and Iraq.

.++++

The International Committee of the Red Cross (ICRC), together with the League of Red Cross and Red Crescent Societies and the recognized National Red Cross and Red Crescent Societies, is one of the three components of the International Red Cross and Red Crescent Movement. An independent humanitarian institution, the ICRC is the founding body of the Red Cross. As a neutral intermediary in case of armed conflicts or disturbances, it endeavours on its own initiative or on the basis of the Geneva Conventions to protect and assist the victims of international and civil wars and of internal troubles and tensions, thereby contributing to peace in the world.



INTERNATIONAL COMMITTEE OF THE RED CROSS

COMMUNICATION DEPARTMENT
19, avenue de la Paix · CH-1202 GENEVA
Phone 34 60 01 · Telex 22 269 · Telefax (022) 34 82 80

C3d)5

PRESS RELEASE

Press release No 1602
23 February 1989

PRISONERS OF WAR REPATRIATED FORM IRAN TO IRAQ

Geneva (ICRC) - Two hundred and thirty-three Iraqi prisoners of war were handed over by the authorities of the Islamic Republic of Iran to delegates of the International Committee of the Red Cross (ICRC) in Tehran on 21, 22 and 23 February 1989 for repatriation to Iraq.

The prisoners, all wounded, sick or elderly, left Tehran for Baghdad in three groups on board an aircraft chartered by the ICRC. They were accompanied by a doctor, two nurses and two ICRC delegates. The plane made three flights, carrying 80, 75 and 78 prisoners respectively. The ICRC, acting as a neutral intermediary, handed them over to the authorities of the Republic of Iraq.

The operation was the result of a unilateral decision by the Iranian government to release 260 prisoners of war, outside the framework of the November 1988 agreement on the release of wounded and sick prisoners of war. Twenty-seven of these prisoners refused to be repatriated and remained in Iran.

Six months after the cease-fire between Iraq and Iran came into effect, the ICRC is doing its utmost to bring about the repatriation of all prisoners of war at the earliest possible date.

++++

The International Committee of the Red Cross (ICRC), together with the League of Red Cross and Red Crescent Societies and the recognized National Red Cross and Red Crescent Societies, is one of the three components of the International Red Cross and Red Crescent Movement. An independent humanitarian institution, the ICRC is the founding body of the Red Cross. As a neutral intermediary in case of armed conflicts or disturbances, it endeavours on its own initiative or on the basis of the Geneva Conventions to protect and assist the victims of international and civil wars and of internal troubles and tensions, thereby contributing to peace in the world.



INTERNATIONAL COMMITTEE OF THE RED CROSS

Information Department
19, avenue de la Paix · CH-1202 GENE /A
Phone 34 60 01 · T· ·ex 22 269 · Telefax (022) 34 82 80

PRESS RELEASE

C3d5

Press release No 1604
10 April 1989

PRISONERS OF WAR REPATRIATED FROM IRAN TO IRAQ

Geneva (ICRC) - Sixty-six Iraqi prisoners of war were handed over by the authorities of the Islamic Republic of Iran to delegates of the International Committee of the Red Cross (ICRC) in Tehran on Monday, 10 April 1989, for repatriation to Iraq.

The prisoners of war, all wounded, sick or elderly, left Tehran for Baghdad on board an aircraft chartered by the ICRC. They were accompanied by a doctor, two nurses and an ICRC delegate. The ICRC, acting as a neutral intermediary, handed them over to the authorities of the Republic of Iraq.

This repatriation took place in accordance with a unilateral decision by the Iranian government to release 70 prisoners of war. Four of these prisoners refused to be repatriated and remained in Iran.

++++

The International Committee of the Red Cross (ICRC), together with the League of Red Cross and Red Crescent Societies and the recognized National Red Cross and Red Crescent Societies, is one of the three components of the International Red Cross and Red Crescent Movement.
An independent humanitarian institution, the ICRC is the founding body of the Red Cross. As a neutral intermediary in case of armed conflicts or disturbances, it endeavours on its own initiative or on the basis of the Geneva Conventions to protect and assist the victims of international and civil wars and of internal troubles and tensions, thereby contributing to peace in the world.

1989

25.FEB.90

23-24 janvier, 255 PG Iraniens (malades, âgés), rapatriés vers Téhéran

3 février, 233 PG Irakiens (malades, âgés) rapatriés vers Baghdad

1 avril 66 PG Irakiens (malades, âgés) rapatriés vers Baghdad

1 mai 49 PG Irakiens rapatriés à Baghdad

22 août 6 PG Somaliens rapatriés de Téhéran à Mogadishu

1990

janvier 50 PG Irakiens (blessés malades) rapatriés à Baghdad

7 janvier 20 PG Iraniens rapatriés à Téhéran



سفارة الهند

رعاية مصالح العراق
القاهرة

العدد / /
التاريخ ١٦/١٢/١٩٩٢

الاستاذة الدكتورة انشراح الشال

تحيــــة اخويــــة ،

طالعنا خطابكم المفتوح الى الرئيس صدام حسين والذى خطه قلم اخت كريمة نجلّ فيها اخلاصها للعروبة والاسلام .

لعل المبادرة التي تذكرونها في خطابكم بالافراج عن عدد من الاسرى الايرانيين مسار لعدد اعضاء المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الذى عقد في بغداد ، بناء على مناشدتكم دليل قوى اخر من ضمن ادلة وشواهد عديدة على تسامح العراق وتعبيره عن حســن النية في كل مناسبة دون التقيد بالاجراءات اللازمة في مثل هذه الحالات مما يعكس الروح الحقة للاسلام .. ولكن حسن النية هذه لم تقابل مع الاسف بمثلها .

الم يكن من الاجدى والاولى – يااختنا في الاسلام – مناشدة ايران الافراج عما يزيد على ٢٠٫٠٠٠ الف اسير عراقي مسجل (من ابناء الاسلام ايضا) طال غيابهم عن ذويهم لاكثر من عشر سنوات كبر خلالها اطفالهم وترملت زوجاتهم وهم احياء ونضبت الدموع في عيون امهاتهم ؟

ولكن ربما تكون قلة الاحاطة بهذا الموضوع الانساني الفاجع هو الذى وجه المناشدة لغير وجهتها الحقيقية ومن اجل ذلك اسمحوا لي ان اعرض عليكم الاتي من الحقائق :

على اثر توقف الحرب بين العراق وايران اولى العراق اهمية كبيرة لقضية الاسرى ولكن ايران رفضت اطلاق سراح جميع الاسرى العراقيين خلافا لاحكام المادة (١١٨) من اتفاقية جنيف بل اصرت على اطلاق عدد محدود من الاسرى والمرضى والجرحى .

في ١٩٩٠ وفي ضوء مبادرة العراق السلمية قام العراق من جانبه باطلاق سراح جميع الاسرى الايرانيين واعادتهم الى ايران ولم يبق في العراق سوى البعض الذين ابلغوا اللجنة الدولية للصليب الاحمر برفضهم العودة الى بلادهم . واعتبرت ايران ان مبادرة العراق باطلاق سراح جميع الاسرى الايرانيين عمل من جانب واحد واصرت

١ ش عبد المنعم رياض - المهندسين ٦١٨٨ ٧



على ان يتم التبادل على اساس (اسير واحد مقابل اسير) رغم عدم منطقية هدا التصرف اذ ان عدد الاسرى العراقيين الموجودين في ايران يفوق بكثير عدد الاسرى الايرانيين في العراق الذين اطلق سراحهم فعلا ٠ ونتيجة لهدا التصرف بقي اكثر من ٢٠٫٠٠٠ عشرين الف اسير عراقي من المسجلين لـــدى الصليب الاحمر في ايران يضاف اليهم عدد يقارب هذا الرقم من غير المسجلين ومنهم عدد كبير من العسكريين الذين اجبروا (بعد احداث الغدر الذى اعقب حرب الخليج) على الدخول الى ايران وقامت ايران باحتجازهم رغم انهم ليسوا اسرى حرب لان وقف اطلاق النار بين البلدين كان ساري المفعول ٠

في ٢٢/ ١١/ ١٩٩١ اطلقت ايران من بين كل هذه الالاف سراح (٤٢١) اسيرا عراقيا واعلنت ان هؤلاء الاسرى هم اخر من يرغب في العودة الى العراق واعقب ذلك ان اوقف الجانب الايراني جميع انشطة اللجنة الدولية للصليب الاحمر في ايران حيث غادرت البعثة طهران بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٩٢ وقد اصدرت اللجنة الدولية بيانا بهذا الموضوع اشارت فيه الى علمها بوجود اكثر من ٢٠٫٠٠٠ عشرين الف اسير عراقي مسجل لديها **واكثر منهم بعدة الالاف مازالوا فـي ايران وغير مسجلين ٠**

في ١٦/ ٤/ ٩٢ عقدت اللجنة الدولية للصليب الاحمر اجتماع اللجنة المشتركة في جنيف والذى اتفقت بموجبه ايران على استئناف عمليات اعادة الاسرى العراقيين في الموعد المقرر وهو ١/ ٥/ ٩٢ ولكنها عادت فأبلغت الصليب الاحمر بتأجيل هذه العملية ولم يحدد موعد اخر لاستئنافها ٠

هذه هي الحقائق ان رغبتم في معرفتها ٠ ويبقى لديَّ - سيدتي - عتاب اخير :

منذ ثلاث سنوات عجاف والغرب الظالم (يعاونه العرب وبلاد الاسلام) يفرض على شعب العراق حصارا قاسيا لم يحدث مثله في تاريخ البشرية حيث يمنع الدواء والغذاء وكل ضروريات الحياة الكريمة ٠٠ حصارا مات بسببه حتى الان اكثر من ربع مليون طفل عراقي ٠٠ كل ذلك باسم الشرعية الدولية ٠

سفارة الهند

رعاية مصالح العراق
القاهرة



العدد / /
التاريخ / / ١٩٩

- ٣ -

فهلا ناشدتم حكام العرب والمسلمين بخطابات مفتوحة مماثلة لسؤالهم عما اذا كان في شريعة الاسلام ان يبيت المسلم متخما قرير العين بعد ان يسد على جاره المسلم جميع المنافذ فلا تدخل اليه لقمة زاد او نقطة دواء او حتى نسمة هواء ؟

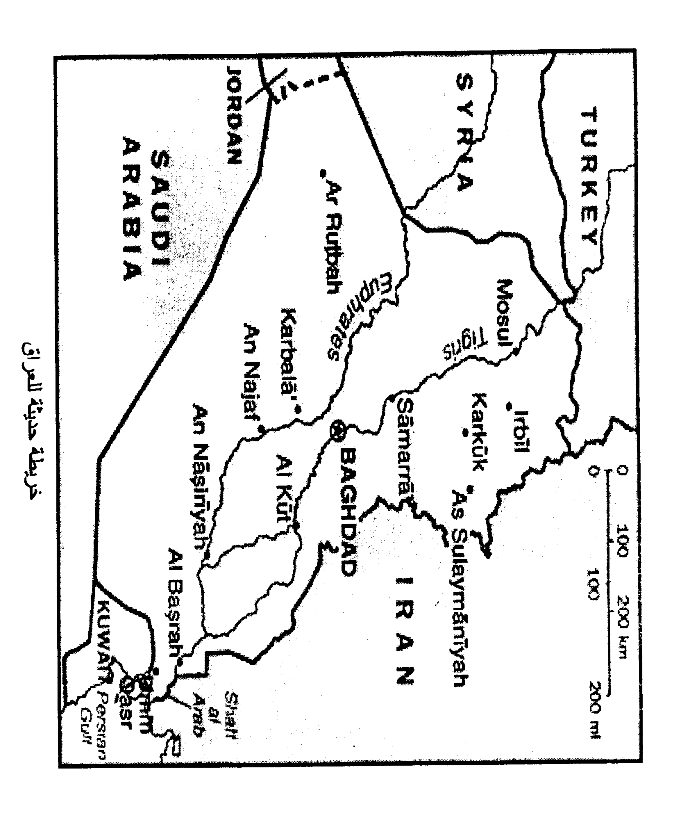
واخيرا تقبلوا تحياتي وتقديري .

١٠/٢٥

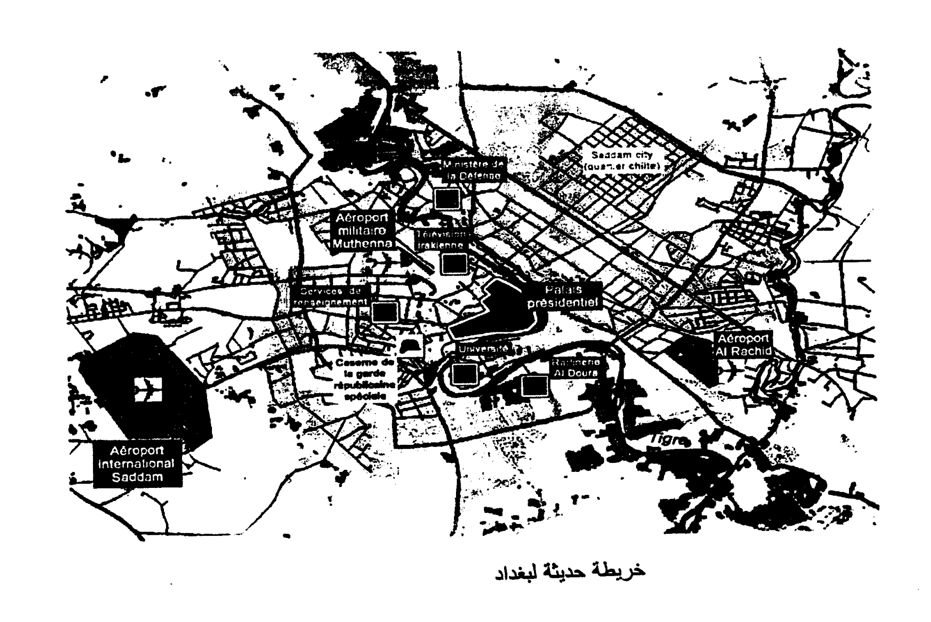
مسؤول رعاية مصالح العراق
قيس محمود موسى

---

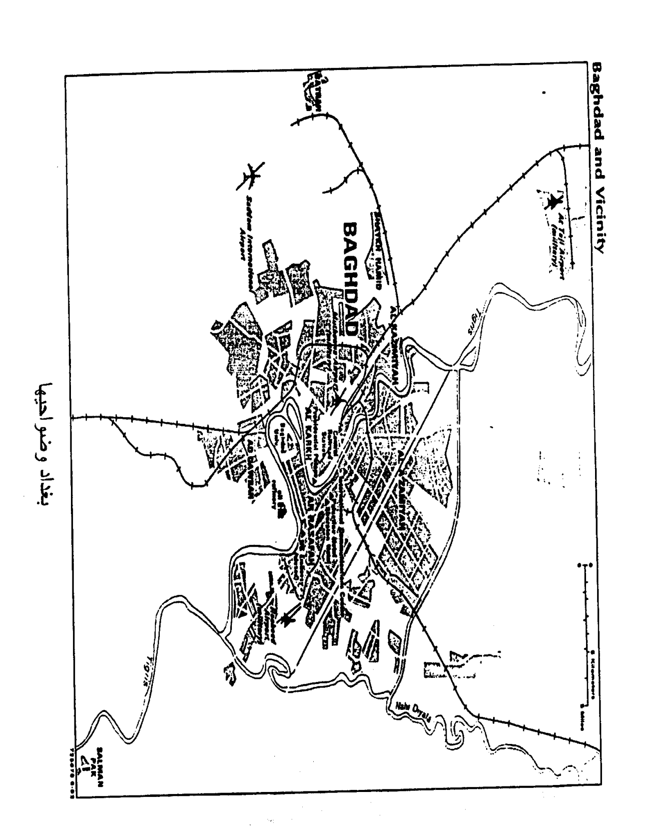
١ ش عبد المنعم رياض - المهندسين : ٧٠٦١٨٨



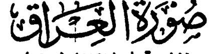
خريطة حديثة للعراق



خريطة حديثة لبغداد



بغداد وضواحيها

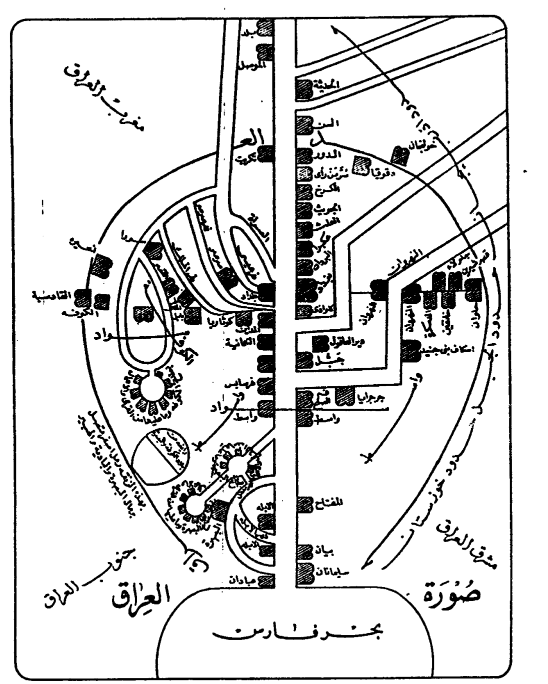


لابن حوقل (٣٦٧هـ)-(٩٧٧م)

«مقتطفات من كتابه (المسالك والممالك)»

«..... وأما حد العراق فإنه في الطول من حد تكريت الى عبادان وعبادان مدينة على بحر فارس، وعرضه من القادسية على الكوفة وبغداد الى حلوان، وعرضه بنواحي واسط من سواد واسط الى قرب الطيب، وبنواحي البصرة من البصرة الى حدود جُبّى، والذي يطيف بحدوده من تكريت فيما يلي المشرق حتى يجوز بحدود مهروره وشهرزور ثم يمرّ على حدود حلوان وحدود السيروان والصيمرة وحدود الطيب والسوس حتى ينتهي الى حدود جُبّى ثم الى البحر فيكون في هذا الحد من تكريت الى البحر تقويس، ويرجع على حد المغرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائحها الى واسط ثم على سواد الكوفة وبطائحها الى الكوفة ثم على ظهر الفرات الى الانبار ثم من الانبار الى حد تكريت بين الدجلة والفرات وفي هذا الحد من البحر على الانبار الى تكريت تقويس ايضاً، وهذا المحيط بحدود العراق .....»

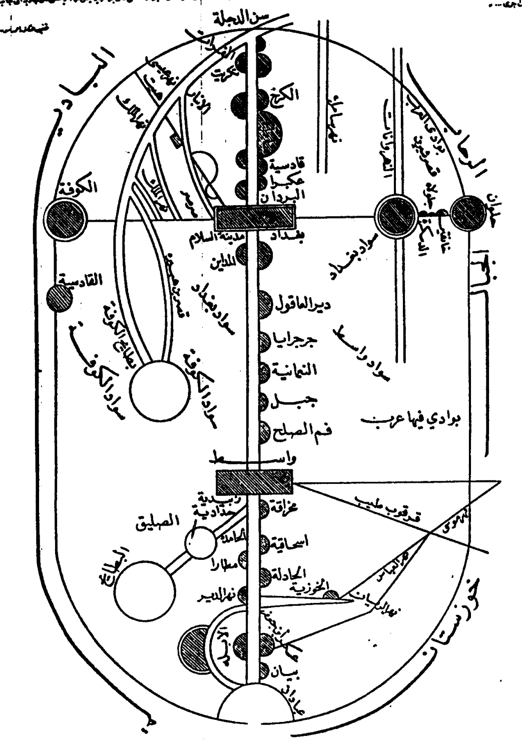
- تحقيق الدكتور احمد سوسة -

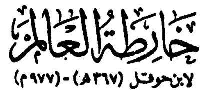


ملاحظة، ان الخارطة الأصلية كانت مقلوبة على الطريقة القديمة أي ان الشمال في اسفل الخارطة والجنوب في أعلاها وقد عكسناها على الطريقة الحديثة في رسم الخرائط لتسهيل المراجعة.

صورة العراق

المقدسي (نحو سنة ٣٧٥هـ ، ٩٨٥ م)





خارطة العالم

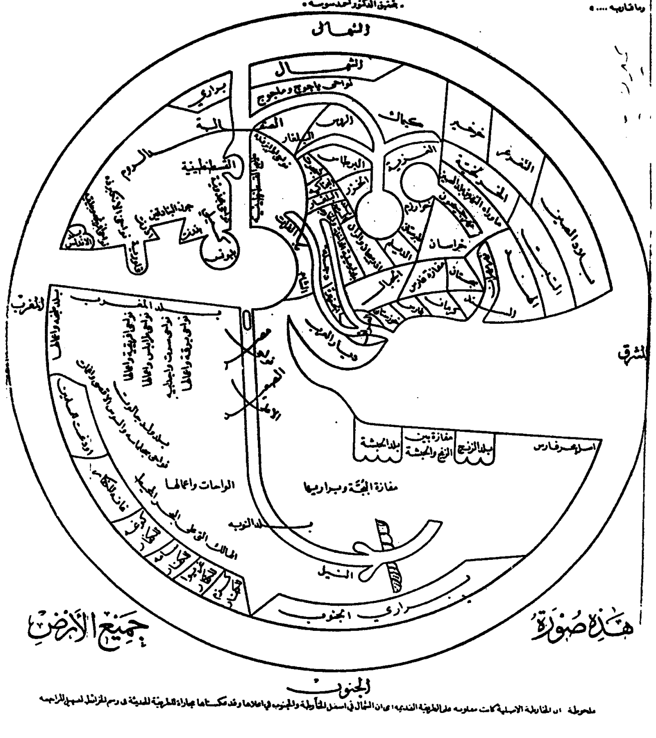
لابن حوقل (٣٦٧هـ) - (٩٧٧م)

هو ابو محمد بن علي الموصلي التاجر الرحالة، ولد في بغداد ونشأ بها واقبل على التجول في انحاء المعمورة خاصة العالم الاسلامي بقصد دراسة البلاد والشعوب وبقصد الكسب عن طريق التجارة واستمر في حل وترحال ثماني وعشرين سنة وذلك من سنة ٩٤٣م الى سنة ٩٧٠م، ودوّن اخبار رحلته في سنة ٣٦٧هـ (٩٧٧م) في كتاب سماه «المسالك والممالك والمفاوز والمهالك». اقتصر فيه على ذكر صفات الممالك الاسلامية ولم يتعرض لغيرها الا قليلاً، ووشح كتابه هذا بالخرائط فرسم لكل اقليم من اقاليم الاسلام خارطة او اكثر. وهذا الكتاب خاص بالجغرافية فهو وصف الاقطار والاصقاع والمدن والبلدان والانهار والصحارى والقفار ووصف فيه ثروة البلاد وتجارة اهلها وجباية الضرائب وذكر مسافات الطرق والمسالك. وقد طبع هذا الكتاب مع الخرائط طبعة اولى في ليدن سنة ١٨٧٣م بعنوان «صورة الارض» وذلك باعتناء دي غويه من ضمن المكتبة الجغرافية العربية (مجلدها الثاني في قسمين)، طبعت الطبعة الثانية في ليدن ايضاً سنة ١٩٣٨-١٩٣٩م. وقد ترجم الكتاب الى الانكليزية السير وليم اوسلي وطبعت هذه الترجمة سنة ١٨٠٠م. وقد درس ابن حوقل مؤلفات الجغرافيين المتقدمين كالجيهاني وابن خرداذبه وقدامه والاصطخري، وجاء تقسيمه للاقطار مثل تقسيم الاصطخري في كتابه «مسالك الممالك» والبيان تكاد تكون واحدة في كثير من الاماكن.

• مقتطفات من كتاب (المسالك والممالك).

• .... وقسمة الارض على الجنوب والشمال فاذا اخذت من المشرق من الخليج الذي يأخذ من البحر المحيط بارض الصين الى الخليج الذي يأخذ من هذا البحر المحيط من ارض المغرب بين أرض الاندلس وطنجه فقد قسمت الارض قسمين ويشكل هذه القسمة يأخذ من بحر الصين حتى يقطع بلد الهند ووسط مملكة الاسلام حتى يمر على ارض مصر الى المغرب، فما كان في حد الشمال من هذين القسمين فأهله بيض وكلما تباعدوا في الشمال ازدادوا بياضاً وهي اقاليم باردة، وما كان مما يلي الجنوب من هذين القسمين فاهله سود وكلما ازدادوا تباعداً في الجنوب ازدادوا سواداً واعدله هذه الاقاليم المستقيم وما قاربه .... ».

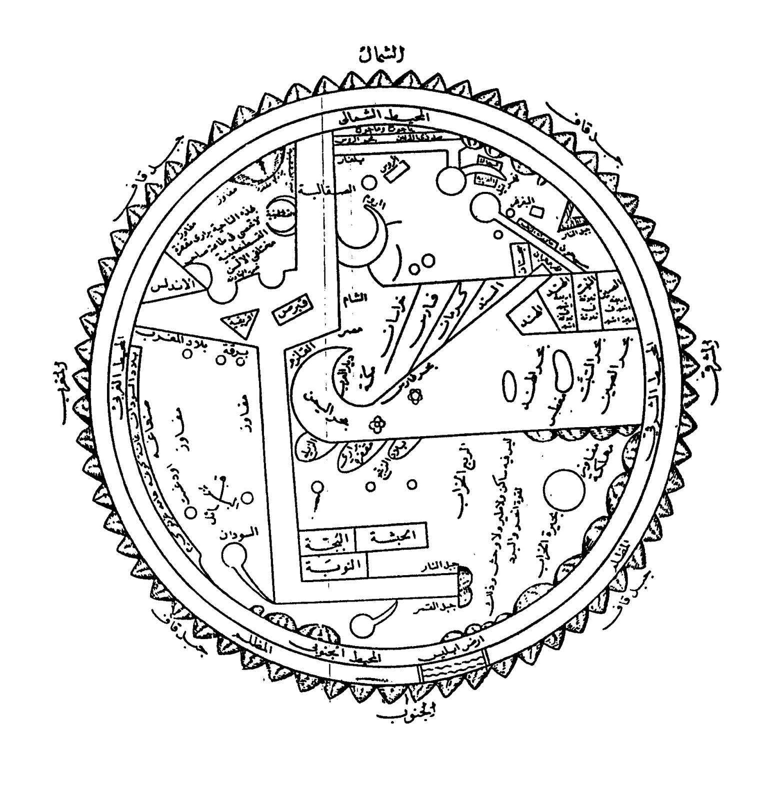
• بتحقيق الدكتور احمد سوسه.

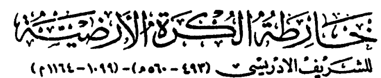


ملحوظة: ان الخارطة الاصلية كانت معكوسة على الطريقة القديمة اي ان الشمال في اسفل الخارطة والجنوب في اعلاها وقد عكسناها مجاراة للطريقة الحديثة في رسم الخرائط لتسهيل المراجعة.



تحقيق الدكتور





للشريف الادريسي (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ) - (١٠٩٩ - ١١٦٤ م)

هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس المعروف بالشريف الادريسي الصقلي ، ولد في سبته سنة ٤٩٣ هـ (١٠٩٩م) ودرس في جامعة قرطبة ثم طاف في الأندلس وشمالي افريقيا وأسيا الصغرى وبعض البلدان الاوروبية حتى اصبح من الجغرافيين الأعلام الذين نبغوا في القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي)، فاستقدمه رجار الثاني ملك صقلية ليتعرف بواسطته على جغرافية بلاده واحوال العالم فطلب منه تأليف كتاب شامل في وصف مملكته وسائر الآفاق المعروفة في ذلك العهد. وقبل اشتغاله بتأليف هذا الكتاب صنع كرة فضية ضخمة الحجم تمثل الارض بما عليها ، وهي أول كرة ارضية عرفت في التاريخ زنتها من الفضة اربعمائة رطل بالرومي بكل رطل مائة درهم واثنا عشر درهما ، فقد رسم فيها جميع الاقاليم واقطار المعمورة المعروفة في ذلك الزمن " رسما فائزا مشروحا بالاستيفاء. " ثم وضع كتابا مفصلا في وصف كرته الفضية هذه رتبه على الاقاليم السبعة واورد فيه اوصاف البلاد والممالك ومسافاتها . وقد تم تأليف هذا الكتاب المسمى " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " او " جغرافية الادريسي " في سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣م) ونظرا الى الكتاب ينسب الى امير البلاد فسمي " كتاب رجار " . وقد استعان الادريسي في تصنيف كتابه هذا بمصنفات من تقدمه من علماء الهيئة والجغرافية وبما نقله عن غيرهم من اخبار التجار والملاحين وجعل لكتابه (٦٩) رسما نقلها من كرته المنوه عنها فوضحها واضاف اليها اسماء جديدة لكثير من المدن والمواضع الاخرى . وكتاب جغرافية الادريسي هذا من اجل وانفس ما وضعه العرب في تخطيط البلدان وهو مزين بخوارط عديدة ملونة زاهية توجد منه نسختان قديمتان كاملتان مزينتان بالخوارط الملونة الواحدة في مكتبة باريس الاهلية والاخرى في خزانة كتب اوكسفورد ، وفي مكتبة المجمع العلمي العراقي نسخ مصورة منهما .

ملاحظة : ان الخارطة الاصلية المنقولة عن الادريسي كانت مقلوبة على الطريقة القديمة أي أن الشمال فيها في أسفل الخارطة والجنوب في اعلاه وقد عكسناها مجاراة للطريقة الحديثة في رسم الخرائط (المترجمة)

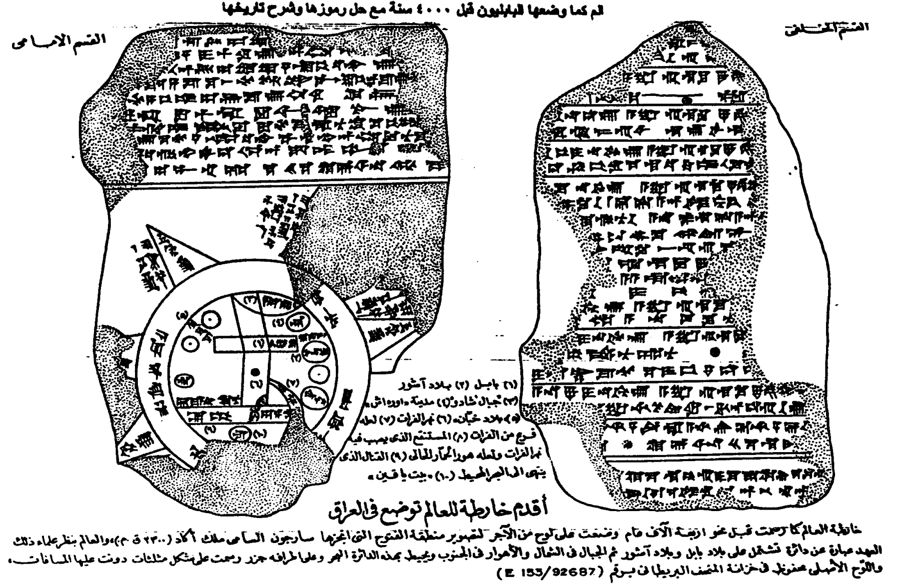
شمال



... الأرض مدورة ... الكرة ، والأرض ... الاستواء ... الأرض وهو اكثر حدة ... واستدارة الفلك في موضع الاستواء ٣٦٠ درجة ... وعشرون فرسخا ... مساحة الأرض ... الاستواء وكل واحد من القطبين ... عرضا مثل ذلك والأرض ... مستديرة غير صادقة الاستدارة فيها منخفض ومرتفع والماء يجري فيها ... الى انحصها والبحر المحيط يحيط بنصف الارض احاطة متصلة ... كالمنطقة لا يظهر منها الا نصفها ... كانها صفرة بيضة مغرقة في ماء ... الأرض نصفها معرق في البحر والبحر يحيط به الهواء والهواء ... والمعمور ... ربع الشمالي من الأرض بعد خط الاستواء اربعة وستون درجة والباقي من الأرض لا عمارة فيه ... البرد والجمود والربع الجنوبي غير مسكون ولا معمور لشدة الحر به وممر الشمس ...

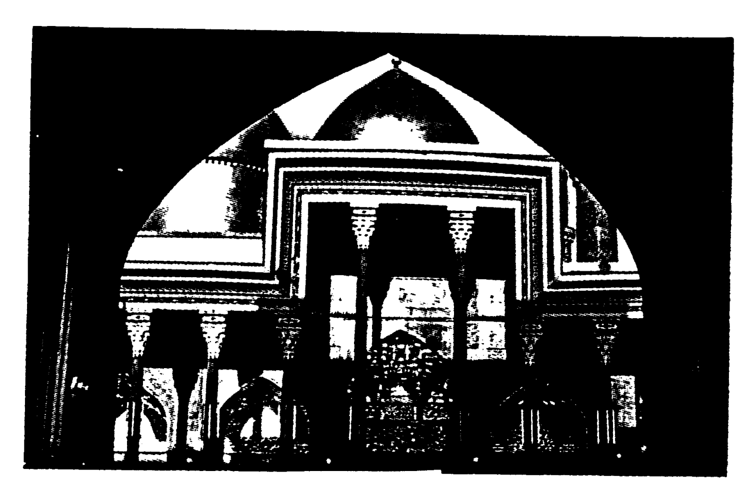
... ونسيم ... تنكب على ... جميع ... مياهه ... حيوانه ونباته وجميع المخلوقات على ظهر الأرض ... جاذبة لما في ابدانهم من الخفة والأرض جاذبة لما في ابدانهم من الثقل بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب الحديد اليه والربع المسكون من الأرض قسمه العلماء سبعة اقاليم وليست هذه الأقاليم خطوطا طبيعية لكنها خطوط وهمية موجودة في العلم النجومي وفي كل اقليم منها جبالا شامخة ووهادا متصلة وعيونا وانهارا جارية وبركا راكدة ومعادن ونباتات وحيوانات مختلفة ويخترق هذه الاقاليم السبعة سبعة بحور ستة منها متصلة وبحر واحد منفصل لا يتصل بشيء من البحور .

• تحقيق الدكتور احمد سوسة •



أقدم خارطة للعالم توضع في العراق

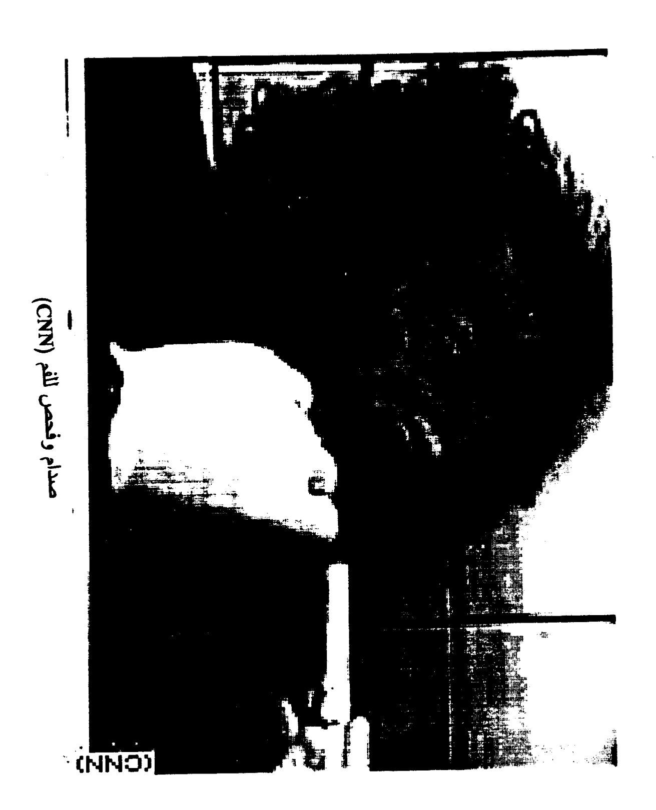
خارطة العالم كما رسمت قبل نحو اربعة آلاف عام وضعت على لوح من الآجر لتصوير منطقة الفتوح التي انجزها سارجون السامي ملك أكاد (٢٣٠٠ ق م)، والعالم بنظر علماء ذلك العهد عبارة عن دائرة تشتمل على بلاد بابل وبلاد آشور ثم الجبال في الشمال والأهوار في الجنوب ويحيط بهذه الدائرة البحر وعلى اطرافه جزر رسمت على شكل مثلثات دونت عليها المسافات، واللوح الأصلي محفوظ في خزانة المتحف البريطاني برقم (E 153/92687)



مسجد الكاظمية



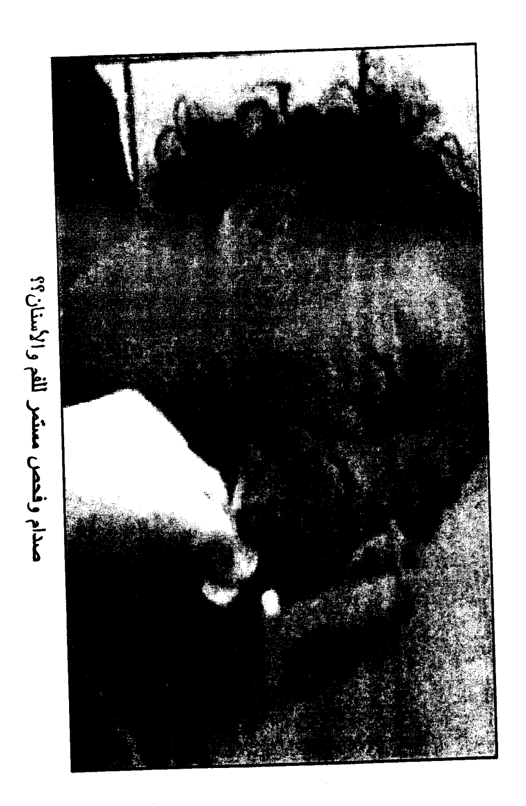
مسجد الإمام العظم



صدام وفحص للفم (CNN)



صدام بعد القبض عليه



صدام وفحص مستمر للفم والأسنان؟!



صدام ملقى على الأرض وجندي أمريكي يقلبه (وكالة الأنباء الفرنسية)



صورة مكبرة لوجه صدام وهو ملقى على الأرض

صورة لصدام ويظهر فيها جرح في الجبهة



فحص الرأس ، واستسلام من صدام



زيارة من مندوب من الصليب الأحمر لصدام



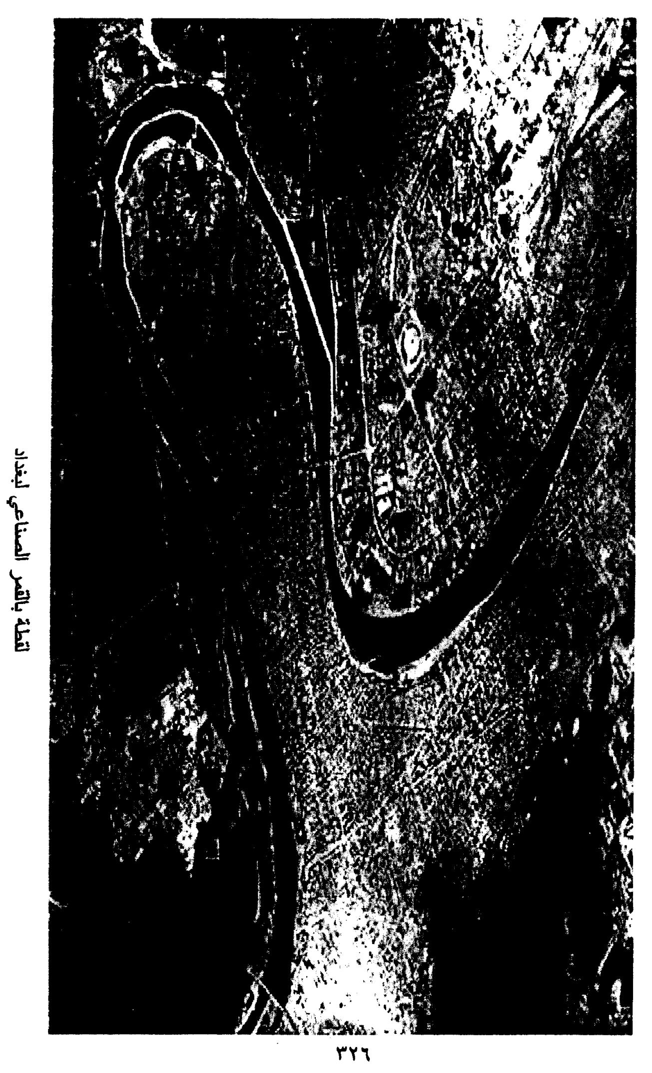
زيارة لصدام ويداه مقيدتان ! ؟

عائلة عراقية تهرب بطفلها من مدينة البصرة
جنوب العراق ، يوم ٣٠ مارس/ آذار ٢٠٠٣
بعد مواجهات بين قوات التحالف والقوات العراقية



العراقيون يتجمعون في الساحات العامة
للاحتفال بالقبض على صدام حسين





لقطة بالقمر الصناعي لبغداد

لقطات صحفية تحكي قصة الإفراج عن ٢٥٥ أسير إيراني استجابة من الرئيس صدام حسين لطلب أستاذة مصرية هي الدكتورة انشراح الشال الأستاذة بكلية الإعلام جامعة القاهرة ، لتصبح بحق "أم الأسرى" كما لقبت بعد هذه الواقعة ، خصوصا بعد استجابة السلطات الإيرانية هي أيضا لطلبها وأفرجت عن أكثر من ٣٥٠ أسير عراقي بعد عدة برقيات أرسلتها لهم الدكتورة انشراح الشال ومنها برقيات على صفحات الجرائد ، ووساطة من طبيب كريم بينها وبين الإمام الخميني ، كما اهتمت أيضا بالأسرى الكويتيين لدى العراق وكانت لها صولات وجولات بخصوصهم مع المسئولين وعلى صفحات الجرائد ومع هيئة الصليب الأحمر للإفراج عنهم .

كما استحقت الدكتورة انشراح الشال تكريما آخر تعتز به وذلك بعد خمسة عشر عاما من بداية هذه الحكايات عندما اختارتها كلية الإعلام "الأم المثالية" للكلية في أبريل ٢٠٠٤م في أول سابقة من نوعها على مستوى الجامعات المصرية .



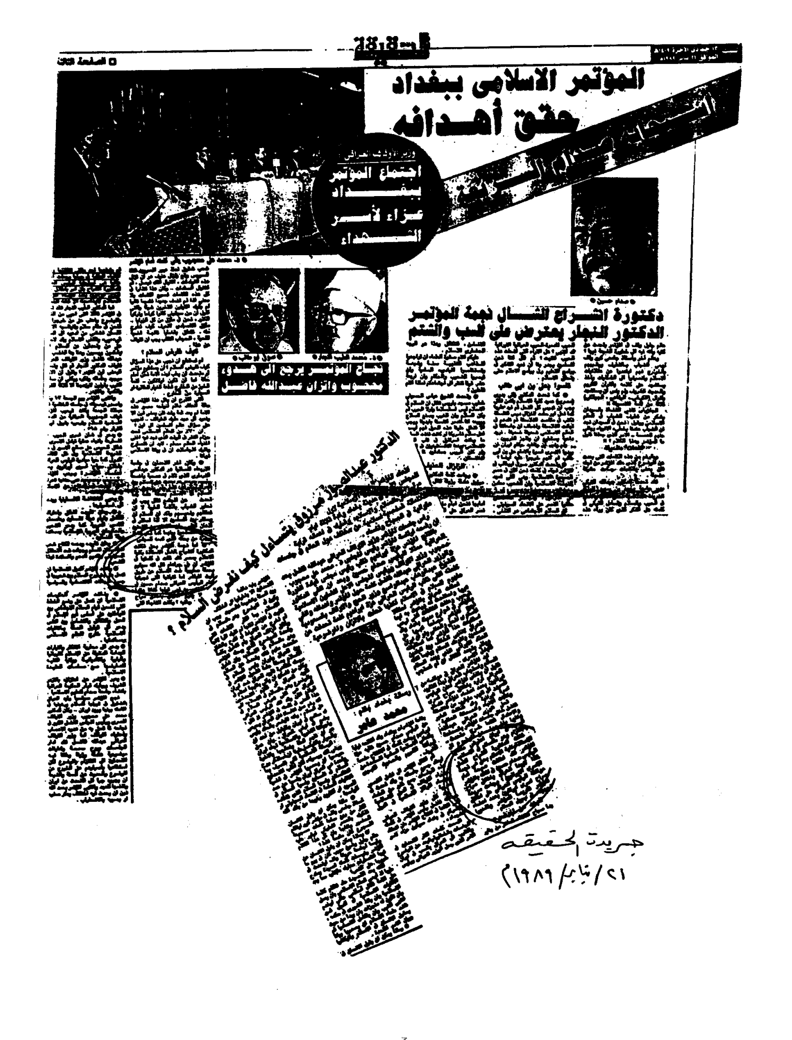
حكاية الدكتورة "الشراح"

التى أفرجت عن ٢٢٥ أسيرا ايرانيا !

محمد الزرقاني
عبد بلطه

تصوير :
أحمد مهدي

جريدة مايو
٢٣/يناير/١٩٨٩


الحقيقة

المؤتمر الاسلامي ببغداد حقق أهدافه

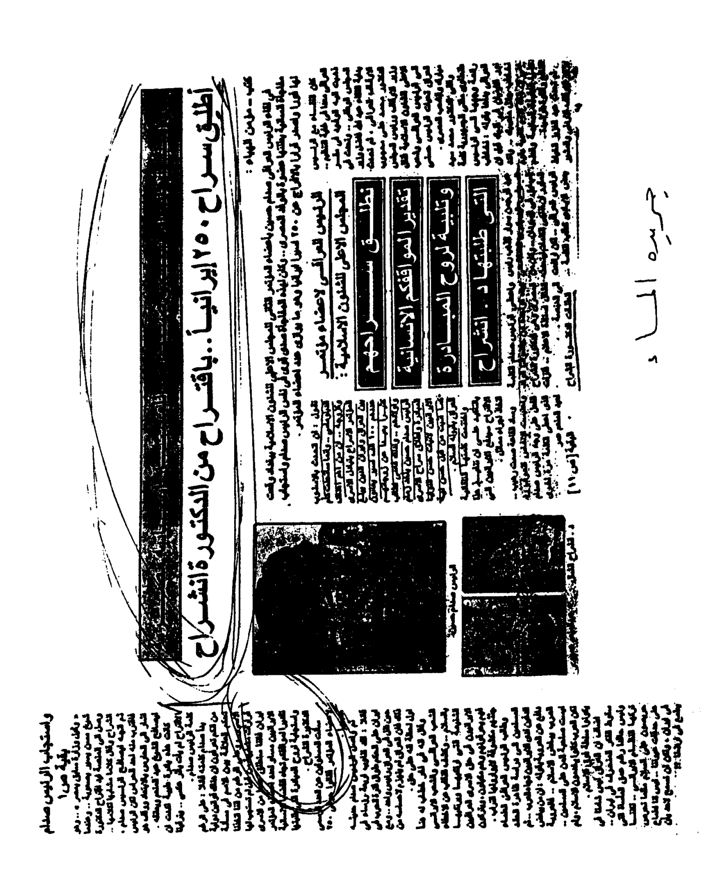
وزير الأوقاف العراقي: اجتماع المؤتمر ببغداد عزاء لأسر الشهداء

دكتورة الشراح الشاغل نجمة المؤتمر
الدكتور النجار يعترض على السب والشتم

نجاح المؤتمر يرجع الى هدوء محجوب واتزان عبدالله فاضل

الدكتور عبدالصمد مرزوق يتساءل كيف نفرض السلام ؟

جريدة الحقيقة
٢١/يناير/١٩٨٦م



أطلق سراح ٢٥٠ إيرانياً .. باقتراح من الدكتورة الشراح

أطلق سراحهم

تقديراً لمواقفهم الإنسانية

وتلبية لروح المبادرة

التي طلبتها د. الشراح



قلمية — مؤتمر — فى بغداد

مفاجآت ولقاءات وملاحظات فى ٥ أيام

فى اللقاء مع صدام .. اقتراح الدكتورة « كهرب » الج

رسالة بغداد

مؤمن الهباء

د. محجوب

وزير الأوقاف العراقي

إسلام بين عدل ورسالة

...قراطية وسعة الصدر

الحمزة دعبس

جريدة النور

١٠ جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ



□ المؤتمر الثاني للمجلس الأعلى للشئون …

□□ الرئيس صدام حسين لاعضاء المؤتمر

رغم عمق … في النفو…

حول المؤتمر

● ترحيبا بكم سأطلق اس…

جانب من أعضاء الوفود العربية والعالمية الذين حضروا المؤتمر الثاني للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذي عقد في بغداد

جريدة الحياة
٢٢/يناير/١٩٨٩م



رسالة بغداد يكتبها : حامد سليمان

ما وراء مبادرة صدام بالافراج عن الأسرى الايرانيين

- الرئيس العراقي يستجيب لطلب أستاذة مصرية لتكثيف العناد الايراني
- من القتال إلى الاحتفال في مؤتمر إسلامي من أجل السلام



رسالة العراق من:
فاروق عبد السلام

أخطأ عمر .. وأصابت إمرأة ..
والمرأة لها مكان بين علماء الدين

الرأي والتلفزيون ٢٨/ نيسان/١٩٨٩م

مشاركة الصفوة الخيرة من علماء الامة ومفكريها في هذا الملتقى الإسلامي شهادة عرفان بعطاء ابناء العراق



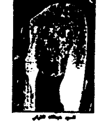













الف باء - العراق
١٣/ايار/١٩٨٩م



رسالة العراق

كتبها
عبده مباشر

تصوير: أحمد مهدي

٢١/ايار/١٩٨٩

الرئيس صدام قرار اطلاق سراح عدد من الاسرى ... لاعضاء المؤتمر

المحطة الاولى

التضامن مع الاسرى

المحطة الثانية

المحطة الثالثة

المحطة الرابعة

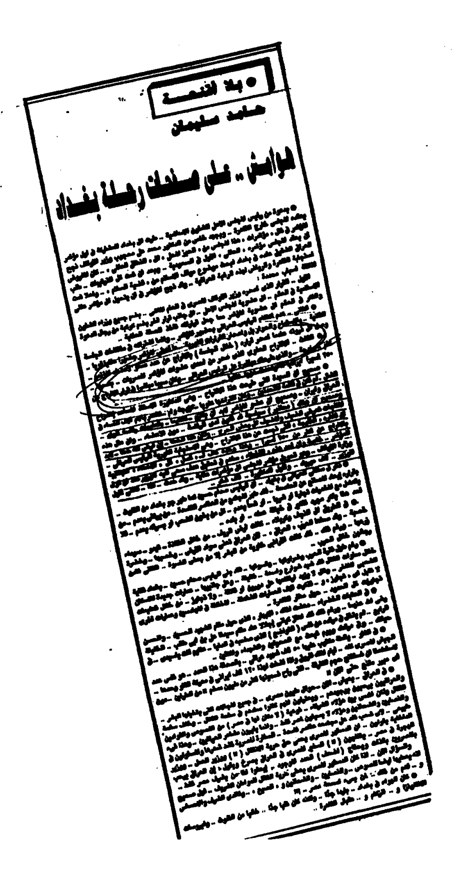
المحطة الخامسة

المحطة السادسة

الدكتور محجوب

العراق والأخطار

لجنة دائمة لمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر


• بلا أقنعة

حامد سليمان

هوامش .. على صفحات رحلة بغداد



«حسبنا الله ونعم الوكيل»

بقلم د. انشراح الشال

بقلم د. انشراح الشال

بقلم محمد عامر

تلغراف

الزعيم علي خامنئي طهران
بعد النقاط الاثنتي عشر نرجو
أن تعملوا على تحقيق السلام
الشامل والدائم بينكم وبين
أشقائكم في العراق باستكمال
ما بدأتموه من إطلاق سراح
الأسرى وفقكم الله لما فيه
خير الإسلام والمسلمين ..
دكتورة انشراح الشال
الأستاذ بكلية الإعلام.

الحقيقة ١٧/يونيو/١٩٨٩م

الحقيقة ٢٠/٦/١٩٨٨

جريدة الحقيقة ١٥ سبتمبر ١٩٩٠

حواء ١٩/٣/١٩٨٩

حواء ١٩/٣

أجرى الحديث:
حلمي النمنم



المرأة والسلام

حديث مع:
د. إنشراح الشال

● الرجال أشعلوا الحرب.. والنساء دفعن الثمن

● تزوجت الزوجة بعد أن غاب الزوج ٦ سنوات ثم عاد فانتحرت

حكايات مأساوية



استراحة لكل الأعمار

إطلاق الأسرى تكريما لأعضاء المؤتمر

محمد النحاس

أكتوبر
٢٩/ يناير/ ١٩٨٩م

■ وفود المؤتمر العام الثاني للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية يتحدثون للجمهورية

قرار الرئيس القائد صدام حسين يمثل الشهامة التي املاها عليه دينه وتعاليمه السمحة

■ شعورنا يملؤه الفخر والاعتزاز حينما جلسنا وسمعنا سيادة الرئيس المجاهد وهو يتحدث حديث القلب .العقل الايمان ■

■ كتب ـ مجيد اللامي

جريدة الجمهورية - العراق .
١٢/نيسان / ١٩٨٩م

مؤتمر علماء المسلمين ببغداد يطلب ..

• الاسراع بتبادل الأسرى بين العراق وإيران

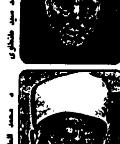
• محاربة الأفكار المنحرفة الدخيلة على الاسلام

أكد المؤتمر العام الثاني للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أثناء انعقاده في بغداد على ضرورة الاسراع بتبادل الأسرى بين العراق وايران. ومحاربة الأفكار الهدامة. والتيارات المنحرفة الدخيلة على الاسلام كالبهائية والقاديانية لتعارضها مع العقيدة الإسلامية. ودعا المؤتمر جميع الحكومات والمنظمات وأجهزة الدعوة الى مد جسور الصداقة بينها وبين الجاليات الاسلامية ووقف حملات التشاتم بين الحكومات الاسلامية

حضر المؤتمر نحو مائتين وخمسين عالما ومفكرا وصحفيا، وأحد عشر وزيرا للشئون الدينية من مختلف الدول الاسلامية كما حضره وزير أوقاف الصين



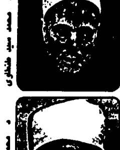




• • وقف حملات الشتائم بين الحكومات الاسلامية

رسالة بغداد

تهامي منتصر

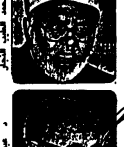


• محمد علي محجوب



• د. محمد سيد طنطاوي





• د. محمد الطيب النجار





• د. عبدالصبور مرزوق

الاسلام بريء من المهاترات

موقف مصر بجانب العراق

سقوط نظرية ولاية الفقيه

نصر اكتوبر

عظمة التشريع الالهي

قرارات وتوصيات المؤتمر

وفي جلسة الختام التي عقدت بفندق المنصور تلا الدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف قرارات وتوصيات المؤتمر

• يعبر المؤتمر عن ارتياحه لقبول ايران القرار رقم ٥٩٨ ويناشدهما بحسن اللزوم بتنفيذه وابداء حسن النوايا تجاه عملية السلام مع العراق بروح الاخوة الاسلامية وحسن الجوار

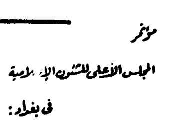
• كما يدعو المؤتمر انطلاقا من أحكام الشريعة الإسلامية في شأن أسرى الحرب وكذلك قواعد القانون الدولي الى المسارعة بانهاء عملية تبادل الأسرى بين العراق وايران

• يرى المؤتمر أن سرعة تبادل الأسرى تمهد لتهيئة المناخ المناسب للوصول الى سلام شامل وعادل ودائم بين العراق وايران

• يدعو المؤتمر الى محاربة الافكار الهدامة والتيارات المنحرفة الدخيلة على الاسلام كالبهائية والقاديانية

• كما يدعو المؤتمر جميع الحكومات والمنظمات وأجهزة الدعوة الاسلامية الى التعاون الوثيق ومد جسور الصداقة بينها وبين الأقليات والجاليات الاسلامية

مؤتمر



المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في بغداد:



● قرارات وتوصيات مهمة



مجلة منبر الإسلام
[illegible] ١٩٨٩م



القادسية العراقية
١٤/٧/١٩٨٩م







الاهرام

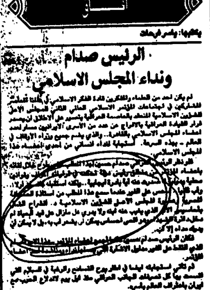
الرأي العام

السرق الاوسط
١٠/٤/١٩٨٩م

الاسوة الحسنة

عن المؤتمر الاسلامي في بغداد:
.. واستجاب القائد لمشاعر الانسان

بغداد – حلمي البلك :



آفاق

يكتبها: ياسر فرحات

الرئيس صدام
ونداء المجلس الاسلامي

المؤتمر العام الثاني للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية يختتم اعماله ويصدر بياناً يشيد بموقف العراق الإسلامي المبدئي ودعواته المستمرة لتحقيق السلام

المؤتمر يحيي المبادرة الاسلامية الانسانية للرئيس القائد المجاهد صدام حسين لدعم الجهود الرامية الى تسريع تبادل الاسرى

تقييم عال لحرص العراق على سرعة تبادل الاسرى بينه وبين ايران وتعاونه الكامل مع الهيئات الدولية

مطلوب محاربة جميع الافكار والتيارات الهدامة الدخيلة على الاسلام

المؤتمرون يشيدون بالتشريعات العراقية الخاصة بالشهداء وما تكفله من منزلة رفيعة لهم ولذويهم

□ وزراء الاوقاف في الكويت والسودان والبحرين وبنغلاديش ومالي □

اعراض ايران عن الاستجابة لمبادرة الرئيس المؤمن صدام حسين يشكل تضييعا لفرص تحقيق السلام وكشفا للمواقف التي تتعارض مع روح الاسلام

الوحدة - العراق - ١٤/ايار/١٩٨٩م

الصليب الأحمر يستعد لتسلم الأسرى من العراق

ترحيب عربي ودولي بقرار الإفراج عن ٢٥٠ أسيرًا إيرانيًا

القاهرة - مكتب «الشرق الاوسط»

علمت «الشرق الاوسط» من مصادر دبلوماسية عليمة ان العراق اجرى اتصالات مع رئيس هيئة الصليب الاحمر الدولية في جنيف للاتفاق على الترتيبات الخاصة بشأن قرار الرئيس العراقي صدام حسين للافراج عن ٢٥٠ اسيرا ايرانيا كمبادرة من جانبه استجابة لنداء مؤتمر «السلام في الاسلام» والذي اختتم اعماله امس الاول في العاصمة العراقية بحضور وفود من مختلف بلدان العالم العربي والاسلامي

وذكرت هذه المصادر ان العراق ابلغ منظمة الصليب الاحمر بان قرار الافراج عن هؤلاء الاسرى لا يرتبط باي شروط ومطالب من الجانب الايراني وانه سيفرج عن الدفعة الاولى وعددها ٥٠ اسيرا من بعض الاسرى الايرانيين من كبار السن والمرضى

في الوقت نفسه حظيت مبادرة الرئيس العراقي صدام حسين بترحيب عربي وعالمي واسع من كل الاوساط السياسية والدبلوماسية والدينية

واشاد اعضاء المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية المشاركون في المؤتمر في تصريحات خاصة لـ «الشرق الاوسط» بقرار الرئيس صدام ودعوا الجانب الايراني الى الاستجابة لتلك المبادرة والافراج عن مجموعة مماثلة من الاسرى العراقيين

كما اكد اعضاء المؤتمر من مصر ان المسؤولين العراقيين اكدوا اهتمام العراق البالغ بقضية الاسرى المصريين المحتجزين في ايران. وان مباحثات العراق بشأن قضية الاسرى تعطي اولوية لهذا الموضوع

ومن ناحية اخرى يعود للقاهرة ظهر اليوم الدكتور محمد علي محجوب وزير الاوقاف المصري ورئيس المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية

وفي تصريح خاص لـ «الشرق الاوسط» من بغداد اكد ان مبادرة الرئيس العراقي صدام حسين بالافراج عن ٢٥٠ اسيرا ايرانيا تعتبر تتويجا لقرارات واعمال المؤتمر وتقديرا من الرئيس العراقي لانعقاد المؤتمر في بغداد كأول واكبر تجمع اسلامي عالمي ينعقد بعد وقف الحرب

كما اكد الدكتور عبد المنعم النمر رئيس لجنة الشؤون الدينية بالبرلمان المصري ان قرار الرئيس صدام حسين بالافراج عن ٢٥٠ اسيرا مساوين لعدد اعضاء المؤتمر يعد بمثابة تكريم لعلماء المسلمين وتأكيدا على حسن نوايا العراق الذي ينطلق في سياسته من الاطار والمنهج الاسلامي القويم واكد عليه الرئيس العراقي في خطابه امام المؤتمر

الشرق الأوسط ١٥/مارس/١٩٨٩م



د. اشراح الشال :

استطاعت د. اشراح الشال أستاذة الإعلام بجامعة القاهرة وأحد أعضاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن تكون نجمة المؤتمر الثاني للمجلس الذي عقد مؤخرا في العراق، حيث كانت وراء خبر عالمي بالإفراج عن الأسرى الإيرانيين بالعراق حين وجهت نداءها الى الرئيس العراقي بأن تبادر العراق بالإفراج عن الأسرى الإيرانيين دون قيد أو شرط وجاءت استجابة الرئيس على الفور لهذا النداء

لا خروج للعالم الاسلامى من أزماته إلا بتطبيق الشريعة

المسلسلات والأفلام تدعم القيم السلبية فى المجتمع

وحول بعض القضايا الخاصة بالإعلام في المجتمع الإسلامي كان الحوار مع د. اشراح الشال والتي أكدت فيه على أن الحل الوحيد لخروج العالم الإسلامي من أزماته المتعددة هو تطبيق الشريعة الإسلامية وأن الغزو الثقافي يعد من أخطر القضايا التي تلعب فيها أجهزة الإعلام دورا كبيرا وهو يأتي كموجة الغزو الذي يعيشه المسلم دينيا وحضاريا وثقافيا.

الغرب يستخدم الأقمار الصناعية فى حربه ضد الإسلام

د. اشراح الشال

حوار
نرمين العطار

الإعلام الديني

التبعية الثقافية

الغزو الثقافي

الأقمار الصناعية

جريدة الجمعة
١٨ مارس ١٩٨٩

كشف مخطط لشن حرب صليبية ضد المسلمين

تؤكد مصادر عديدة أن مجلس الكنائس العالمي قرر في المؤتمرات السرية والندوات التي يعقدها تباعا شن حرب صليبية ضد المسلمين في كل مكان



الرأي العام
١٩٩٠/٢/٢٨م



الدين والحياة

قضية

قصة صورة.. وحكاية ٣ معارك فى قصر صدام:

● تهامى منتصر

علماء الأزهر يرفضون التطاول على مصر

أستاذة مصرية تتهم صدام بالصلف والغرور فى حضوره

فيقول لها: أحيى فيك شجاعة المرأة المصرية

● لقاء صدام بالوفد المصري وفي الصورة يصافح تهامي منتصر

ـــ إنتاج علمي للمؤلفة

(أ) باللغة العربية (كتب ودراسات ومذكرات تعليمية ومداخلات في مؤتمرات محليـــة وإقليمية وعالمية) .

ـــ **(١٩٧٦م)** " دلالة نشرات الأخبار لدى سكان القـــاهرة ". **رســـالة ماجســـتير** ، كليـــة الإعلام ، جامعة القاهرة ونشرت بعنوان : **علاقة سكان القاهرة بنشرات أخبار التليفزيون المصري** ، الطباعي العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

ـــ **(١٩٨٣م)** " **المســـؤولية الاجتماعية للتليفزيون في الدول النامية** "**دكتوراه الدولة فـــي الآداب والعلوم الإنسانية** من جامعة بوردو II بفرنسا **(ثلاثة مجلدات) ونشرت** على نفقة جامعة ليل باللغة الفرنسية على "**ميكروفيش**" ، فرنسا ١٩٨٤م.

ـــ **(١٩٨٥م) مدخل إلى علم الاجتماع الإعلامـــي** . (طبعة أولى) مكتبة نهضة الشـــرق ، جامعة القاهرة .

- " المخدرات والشباب ووسائل الإعلام" **(المرجع السابق)** .
- " قصة الفيلم التليفزيوني : اليوم التالي"**(المرجع السابق)** .

ـــ **(١٩٨٥م) الطفل المصـــري بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافي** . مكتبة نهضـــة الشرق ، جامعة القاهرة .

- " مورفولوجية الأسرة المصرية ودور التليفزيون في تحديد النسل " **(المرجع السابق)** .
- " التليفزيون وتشكيل خيال الطفل: دراسة تحليلية للصورة " **(المرجع السابق).**

- **(١٩٨٥م)** " **دور التليفزيون في معرفة الأطفال للوقت بوصفه حاجـــة مـــن الحاجـــات الأساسية**" **(المرجع السابق)** .

- " الطفل العربي وتكنولوجيا الأقمار الصناعية" **(المرجع السابق)** .

ـــ **(١٩٨٧م) الإعلام الدولي عبر الأقمار الصناعية** :دراسة لشـــبكات التليفزيـــون . دار الفكر العربي ، القاهرة (طبعتان) .

- " قمر الفقراء " **(المرجع السابق)** .
- " الموسيقى والأغنية العربية في عصر الأقمار الصناعية" **(المرجع السابق)** .

- **(١٩٨٧م)**" استراتيجية التكامل الإخباري العربي من أجل نشرة أخبار عربية متميـــزة" **(المرجع السابق)** .

ـــ **(١٩٨٧م) علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والإليكترونيـــة** . دار الفكـــر العربـــي ، القاهرة (طبعتان) .

- " استهلاك ورق الطباعة في عدة دول "**(المرجع السابق)** .
- " تأثير المجتمع على الوسائل المطبوعة والإليكترونية " **(المرجع السابق)** .
- " شباب الجامعة ووقت الفراغ " **(المرجع السابق)** .

" **هل البروتستانت أكثر تحفظا في تعاملهم مع جهـــاز التليفزيـــون ؟"(المرجـــع السابق).**

ـــ **(١٩٨٧م) المغترب ووسائل الاتصال** . دار الفكر العربي ، القاهرة .

- "اتجاهات بعض طلبة الجامعة للهجرة الخارجية "**(المرجع السابق)** .
- " الأهرام الدولي: الطبعة الدولية للأهرام" : دراسة تحليلية **(المرجع السابق)** .

– " البرامج الموجهة من الإذاعة المصرية والتي تخدم المصريين في الخارج" (المرجع السابق) .

– " تعليم اللغة العربيـة والدين الإسـلامي لأبنـاء الجيل الثاني للمغتـربين " (مداخلة نوقشت في مؤتمر مجلس السكان العالمي) .

– " رؤية في إصدار مجلة خاصة بالطفل العربي " (مداخلة في مؤتمر خاص بإعلام الطفل) .

— (١٩٨٨م) الأقمار الصناعية والتنمية : تجربة هندية . مكتبة نهضة الشرق ، جامعـة القاهرة.

– " الأقمار الصناعية والإعلام الدولي " (المرجع السابق) .

– " الفيديو في الهند وفي مصر " (المرجع السابق) .

– " قرصنة الفيديو : الفيديو سندر " (المرجع السابق) .

– (١٩٨٨م) " القوانين التي تحكم بث الإعلانات التجارية " (المرجع السابق) .

– " وسائل الإعلام الجماهيرية والتنمية الريفية " (المرجع السابق) .

— (١٩٨٨م) الحرب الإذاعية (ترجمة) ، تأليف فؤاد بن حالـة . دار الفكـر العربـي ، القاهرة (ثلاث طبعات) .

— (١٩٨٨م) دولنا النامية في عصر الأقمار الصناعية . دار الفكر العربي ، القاهرة .

— (١٩٨٩م) صوت العرب بين الأمس واليوم . دار الثقافة العربية ، القاهرة .

— (١٩٩١م) إشكاليات منهج البحث العلمي . دار الفكر العربي ، القاهرة .

– " التليفزيون الكابلي" (مذكرات غير منشورة ، كلية الإعلام) .

– وناريمان محمد رفاعي "دراسة مدى تأثير انتماء الطفل المصـري بحـرب تحرير الكويت" في : مجلة كلية التربية جامعة عين شمس .

— (١٩٩٢م) وسـائل الإعلام الإليكترونية في دول الكتلة الشـرقية : يوغسـلافيا . دار الفكر العربي ، القاهـرة .

– " الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال في مجال التليفزيون "(مداخلة فـي مؤتمر دولي عقد بالقاهرة) .

– " البث الوافد : هل هو شر لابد منه ؟ "(جريدة الحقيقة ، القاهرة) .

– " يوميات الغزو والحرب " (جريدة الحقيقة ، القاهرة)

– "كيف يواجه الإعلام الإسلامي خطر البث المباشر ؟ " . في : مجلـة زهـرة الخليج العدد ٧٠٦، أبو ظبي ٦ من ربيع الآخر ١٤١٣هـ ٣ من أكتوبر ١٩٩٢م.

– "الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال في مجال التليفزيون" . ندوة الإعـلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، جامعة الأزهر ، ذو القعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م .

— (١٩٩٣م) قنوات للتليفزيون فضائية في عالم ثالث . دار الفكر العربي ، القاهرة.

– " القناة الفضائية المصرية وأقمار الاتصال " (المرجع السابق) .

– " القناة الفضائية المصرية : دراسة جدوى " (المرجع السابق) .

– " هوائيات للبث الوافد عبر الأقمار الصناعية " (المرجع السابق) .

– (١٩٩٣م) " الشائعات من منظور اجتماعي ونفسي " (مذكـرات غير منشورة ، كليـة الإعلام) .

- (١٩٩٤م) بث وافد على شاشات التليفزيون . دار الفكر العربي ، القاهرة .
  - " المضمون الأجنبي الوافد عبر الأقمار الصناعية على شاشات التليفزيون في مصر" (المرجع السابق) .
- (١٩٩٤م) رسوم الأطفال من منظور إعلامي : دراسة تحليلية اجتماعية نفسية فنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
  - "الهوية في أسماء الأطفال المصريين" . (المرجع السابق) .
- (١٩٩٦م) الأقمار الصناعية والتجربة السعودية . دار جدة ، المملكة العربية السعودية.
- (١٩٩٧م) رسوم الطفل بين المحلية والعالمية : دراسة تحليلية على عينة من رسوم تلاميذ المدارس في المنطقة الغربية بالسعودية مع تحليل لأسماء الأطفال في العينة المدروسة . دار المسافر ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- (١٩٩٨م) وسائل الإعلام في إطار سسيولوجية وقت الفراغ . (طبعة أولى) ، دار حافظ ، جدة ، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة ، دار حافظ ٢٠٠٠م .
- (٢٠٠٠م) الدش والعولمة في قرية "ماكلوهان" الإليكترونية . دار حافظ ، جدة .
- (٢٠٠٣م) الدش والإنترنت في إطار علم الاجتماع الإعلامي . المدينة بريس ، القاهرة
- (تحت الطبع) : وسائل الإعلام الإليكترونية في دولة عربية : اليمن ، (ترجمة) .

إلى جانب الإشراف على عدد من رسائل الدكتوراه والماجستير ومقالات وحوارات ومقالات ومداخلات في الجرائد والمجلات والإذاعة والتليفزيون .

(ب) إنتاج علمي للمؤلفة باللغتين الإنجليزية والفرنسية (كتب ومداخلات في مؤتمرات)

- (1982) "Regards sur le journal télévisé en Egypte". Paper presented at **the Paris Conference**, august 1982.
- (1983) **La responsabilité sociale de la télévision dans un pays en développement. Thèse de Doctorat d'Etat. Université de Bordeaux II, publiée par l'Atelier des thèses, Université de Lille, France, 1984..**
- (1984) "Les loisirs et la communication dans un village égyptien". Paper presented at **the Prague conference**. AIERI, august.
- (1986) ' Third World on Eurovision ' .
- (1987) 'L'introduction de la video en Egypte : Remarques et hypothèses ' .
- (1991) 'Egyptian TV and Satellites' .
- (1992) 'Les effets de la télévision sur les enfants égyptiens durant la Guerre du Golfe . Paper presented at the Garuja , SAO Paulo , BRESIL Conference. AIERI , august.

حكـــايتي مـــع صـــدّام

وحكايات أخرى

*** لقطات ***

عفوا

(ممنوع النقل أو التصوير أو الاقتباس إلا بموافقة كتابية من المؤلفة)